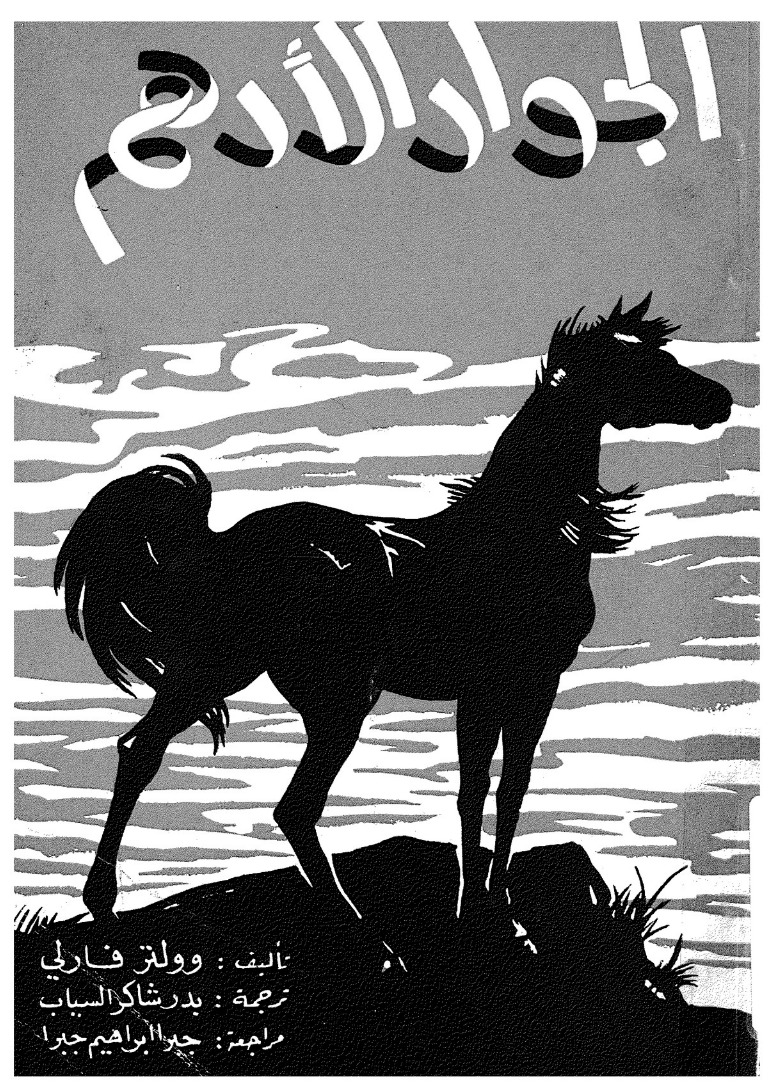

الجواد الأدهم
تأليف : وولتر فارلي
ترجمة : بدر شاكر السياب
مراجعة: جبرا ابراهيم جبرا

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباظة

القاهرة



الجوارُ الأَدْهَمُ

(روايـــة)

نشر بالاشتراك مع
مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر
بغداد ــ نيويورك
١٩٦١

الجوادُ الأدهمُ

تأليف : وولتر فارلي
ترجمة : بدر شاكر السياب
مراجعة : جبرا ابراهيم جبرا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

« المسهمون في هذا الكتاب »

المؤلف : وولتر فارلي : روائي أمريكي نال شهرة واسعة بعد ان ألف روايته هذه « الجواد الادهم » التي أخرجت فيلماً سينمائياً لقي نجاحاً منقطع النظير ، مما دفعه الى تأليف عدد من الروايات التي تابع فيها حياة الجواد الأدهم وسلالته .

المترجم : بدر شاكر السياب : ولد في أبي الخصيب (البصرة) عام ١٩٢٦ وتخرج من دار المعلمين العالية مختصاً باللغة الانكليزية والأدب الانكليزي عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ . شاعر معروف ، من دواوينه الشعرية : أزهار ذابلة ، اساطير ، انشودة المطر .

ترجم كتاب « مولد الحرية » تأليف فرجينيا إيفرت .

المراجع : جبرا ابراهيم جبرا : تلقى العلم في الكلية العربية في القدس ، وجامعة كمبردج في انكلترة ، وجامعة هارفرد في الولايات المتحدة ، وكان احد مدرسي الأدب الانكليزي في الكلية الرشيدية حتى عام ١٩٤٨ ، وفي كلية الآداب ببغداد من ١٩٤٨ — ١٩٥٢ ، وهو الآن من مترجمي شركة النفط . له كتب عديدة منها : «عرق وقصص اخرى» ، ورواية «صراخ

في ليل طويل» و رواية « Hunters in a narrow Street » ومقالات نقدية بعنوان : الحرية والطوفان ، ومجموعة شعر باسم : « تموز في المدينة » وله ترجمة ادونيس « من كتاب الغصن الذهبي » للسير جيمس فريزر ، « وهاملت لشيكسبير ». وقد ترجم لمؤسسة فرنكلين عدة كتب منها كتاب « ما قبل الفلسفة » كما راجع لها عدة كتب ايضاً.

نحو الوطن

شقت الباخرة جوابة الآفاق (دريك) المياه مبتعدة عن ساحل الهند ودفعت حيزومها الكليل في البحر العربي ، تقصد الوطن . وفي بطء أخذت طريقها الى الغرب نحو خليج عدن . وكان عنبرها محملاً بالقهوة والرز والشاي وبنور الدهن والجوت . تدفق الدخـــان الأسود من مدخنتها الفرد ، صابغاً السماء الحـــارة الصاحيه بالقتام .

كان الكسندر رامسي الابن ، الذي كان معروفاً بين اصدقائه في الوطن في مدينة نيويورك بـ (أليك) ، يتكىء على درابزين السفينة ويراقب الماء وهو ينزلق مبتعداً عن جانبي السفينة . كان شعره الأحمر يتوهج أشد احمراراً من اي وقت مضى في الشمس الحارة . وكان كوعاه المسمران برتاحان ، بتثاقل ، على الدربزين وهو يستدير بوجهه الجعد نحو الشاطىء الذي راح يختفي سريعاً .

كانا فكاهة وأنسا ــ هذان الشهران في الهند . ولسوف يفتقد العم رالف ، ويفتقد الأيام التي قضياها معاً في الأحراش ، وحتى صيحات الفهود وأصوات ليل الأحراش العديدة المفزعة . لن يفكر مرة أخرى بعمل المبشر كعمل للمخنثين . كلا ، ياسيدي لا بد ان تكون ضخماً قوياً ، قادراً على ان تمتطي ظهر الجواد ساعات طويلة في دروب الغابة المتشابكة .

وحدق أليك ، في ازدهاء ، في العضلات القوية التى في ساعديه . لقد علمه

العم رالف كيف يركب الحصان،وكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي يريد ان يفعله.

ولكن ذلك كله قد انتهى الآن . ولن يمتطي صهوة الجواد في الوطن الا قليلا . وانفتحت قبضته ، وفي ود راح يتأمل سكينة الجيب الصدفية التي كان يمسكها بيده . كان مكتوباً عليها بماء الذهب : « الى أليك في عيد ميلاده ،بومباي، الهند » . تذكر ايضاً كلمات عمه : « ان السكينة ، يا أليك ، تكون مفيدة بعض الأحيان ».

وعلى حين غرة هبطت يد ضخمة على كتفه . وقال صوت غليظ ، بلهجة انكليزية اكيدة : « إذن يا بني ، أنت في طريقك الى الوطن » .

ورفع أليك بصره الى وجه القبطان المجعد الذي لفحته الريح ولوحته بالسمرة ، وأجاب « هلو ، كابتن واطسون . انه ، بالأحرى ، طريق طويل الى الوطن رغم ذلك يا سيدي». الى انكلترا معك ، ثم الى نيويورك على ظهر الباخرة ماجستيك» « حوالي الأربعة أسابيع من الابحار ، كلها ، أيها الفتى . ولكنك تبدو كمن يحسن مقاومة البحر » .

— « انني كذلك ، يا سيدي . لم أمرض مرة طوال الطريق الى الهند ، وقد لاقينا عبوراً شاقاً ايضاً » . قال أليك في ازدراء .

ومتى جئت ؟ — « في حزيران يا سيدي ، مع بعض اصدقاء أبي . وقد تركوني مع عمي في بومباي إنك تعرف العم رالف ، أليس كذلك ؟ لقد صعد الى السفينة معي وتحدث الي » .

— « بلى ، انني اعرف عمك رالف . رجل فاخر ايضاً ... وأنت عائد الى الوطن وحدك ؟» .

— « نعم ، ياسيدي ، ان المدارس تفتح في الشهر القادم وعلي ان أكون هناك » .

ابتسم القبطان وتناول ذراع أليك وقال : « تعال معي . سوف اريك كيف

توجه دفة هذه السفينة وما الذي يجعلها تنطلق » .

كان القبطان والبحارة وكل من في السفينة لطفاء مع أليك ، ولكن الأيام كانت تمضي رتيبة على الفتى العائد الى الوطن بينما أخذت الـ « دريك » تشق طريقها خلال خليج عدن داخلة في البحر الأحمر .

كانت الشمس الاستوائية تضرب ، دون رحمة ، رؤوس المسافرين القلائل على ظهر السفينة .

بقيت الـ (دريك) قريبة من ساحل جزيرة العرب ـ تحاذي أميالا لا تنتهي من الصحراء العارية . لكن أفكار أليك لم تكن تدور حول الرمل المحرق . جزيرة العرب ـ حيث تربى اعظم الجياد في العالم ، أكان الآخرون يحلمون بالجياد بالطريقة نفسها التي كان يحلم بها ؟ كان الجواد ، بالنسبة اليه ، أعظم حيوان في العالم .

ثم في ذات يوم توجهت الـ (دريك) الى ميناء عربي صغير . وبينما راحوا يقتربون من المرسى الصغير ، رأى أليك حشداً من الأهالي يتطاحنون في هياج عظيم فالظاهر ان رسو سفينة هناك لم يكن من الاحداث المألوفة كثيراً .

ولكن ، حين نزلت لوحة العبور مرسلة صوتاً قوياً ، استطاع أليك ان يرى ان السفينة ذاتها لم تكن هي التي أجتذبت كل ذلك الاهتمام .

كان الأهالي يحتشدون صوب وسط المرسى . سمع أليك صفيراً حاداً ، عالياً ، واضحاً لا يشبه أي صفير سمعه من قبل . ورأى جواداً أدهم جباراً يقف على قائمتيه الخلفيتين ، وقدماه الأماميتان تضربان الهواء وعيناه مشدودتان بعصابة بيضاء وتفرق الحشد وهرب .

كان زَبد أبيض يتصبب من جسد الجواد . وكان فمه مفتوحاً وأسنانه مشرعة . كان جواداً جباراً ، أسود لماعاً ـ كأنه اكبر جسماً من ان يكون جواداً عربياً خالصاً . كان عرفه كريشة خوذة ، يرتفع ثم ينخفض . وكانت رقبته طويلة نحيفة تتصل ، مقوسة بالرأس الصغير ، الوحشي الجمال . كان رأسه رأس شد الحيوانات الوحشية كلها وحشية ـ جواداً ولد وحشياً ـ وكان جميلاً ، ضارياً

رائعـــا . كان جواداً ذا كمال جسماني مدهش يتلاءم وروحه الضارية التي لا تعرف الرحمة .

ومرة أخرى حمحم الأدهم وارتفع على قائمتيه الخلفيتين . ولم يستطع أليك ان يصدق عينيه وأذنيه الا بصعوبة ـ جواد ، جواد وحشي ـ غير مذلل كالذي كان يقرأ عنه ويحلم به .

كان حبلان يؤديان من الرسن الى رأس الجواد ، وكان اربعة رجال يحاولون ان يجذبوا الجواد نحو لوحـة العبور . ورأى أليك رجلا قـاتم البشرة يلبس بذلة أوروبية وعمامة بيضاء عالية ، يوجه الأوامر والارشادات . كان يمسك سوطاً بيده . وأعطى أوامره بايجـاز في لغة لم يكن أليك ليعرفها . وعلى حـين غرة سار الى مؤخرة الجواد وجعل السوط القاسي يهبط على قـائمتي الأدهم الخلفيتين . . . وجمح الجواد بسرعة وصدم أحد الاهالي الممسكين بالحبل . وانطرح الرجل على الأرض ساكنا . وشخر الأدهم ووثب ، واذا كان أليك قـد رأى الحقد يعبر عنه جواد فقد رآه آنئذاك .

وكانوا قد اوصلوه الى لوحة العبور . تساءل أليك أين سيضعونـه اذا ما نجحوا في ايصاله الى السفينة .

ثم صعد الى السفينة ! ورأى أليك الـكابتن واطسون يلوح بـذراعيه في جنون مشيراً الى الرجـال صارخاً بهم ان يجذبوا الجواد نحو الدفة . وتبعهم الفتى على مسافة تبقيه في مأمن من الأذى . والآن رأى الأصطبل المؤقت الذي كانوا يحاولون أن يدخلوا الأدهم فيـه ـ لقد كان في وقت مـا قمرة ذات اتساع لا بأس بـه . لم يكن لا (دريك) الا وسائل قليلة لنقل الحيوانات ، وكان عنبرها محملا تحميلا ثقيلا بالبضاعة .

وأخيراً جاءوا بالجواد أمام الاصطبل . تسلق أحد الرجال الى أعلى القمرة ومد نفسه الى أسفل وانتزع المنديل من على عيني الجواد .

وفي الوقت ذاته ضرب الرجل الأسمر الجواد على قائمتيه الخلفيتين فجمح الجواد

مندفعاً الى الداخل . وفكر أليك بأن الاصطبل لن يكون فيه من القوة مايكفي لاحتواء الجواد . وهدّ الجواد الخشب وأرسله متطايراً ، وقعقع الرعد من تحت سنابكه . وجرشت قوائمه الجبارة جوانب القمرة . وبعث صفيره الوحشي الحاد العالي الرعشة في صلب أليك . وأحس بشفقة عميقة تتسلل طاغية عليه ، فقد كان هنا جواد وحشي اعتاد على المدى الطلق ، يحبس في اصطبل لايكاد يكون فيه قادرا على ان يستدير .

كان الكابتن واطسون يتحدث ، في غضب ، الى الرجل الأسمر . ولعله لم يكن يتوقع ابداً ان يحمل في سفينته شحنة كهذه الشحنة . ثم اخرج الرجل محفظة نقود منتفخة من داخل سترته وعدّ النقود وفرزها وسلمها الى الكابتن . ونظر الكابتن واطسون الى القوائم ثم الى الاصطبل . وأخذ النقود وهز كتفيه ومضى .

وجمع الرجل الاسمر الأهالي الذين ساعدوه في اصعاد الجواد الى السفينة واعطاهم نقوداً من محفظته وغادروا هابطين لوحة العبور .

وسرعان ما استأنفت الـ (دريك) سفرها . حدق أليك الى الميناء ، وهو يرقب الجماعة وقد تجمعت حول جثة المواطن الخامدة ، ذلك الرجل الذي سحقته سنابك الأدهم الجبارة . ثم استدار نحو الاصطبل . كان الرجل الاسمر قد ذهب الى قمرته وكان المسافرون والمنفعلون هم وحدهم الواقفين خارج الاصطبل ، والجواد الأدهم ما زال يقاتل في جنون داخل الاصطبل .

كانت الأيام التي تلت ذلك أياماً محمومة بالنسبة لأليك والمسافرين والبحارة . لم يكن يحلم قطّ ان حصاناً يمكن ان تكون له مثل هذه الروح ، وان يكون عصياً على الترويض كهذا . كانت السفينة تُصدي الى اعماق الليل من الضربات التي تضربها تلك القوائم القوية .

كان خارج الاصطبل مغطى بالتحصينات الآن . واصبح الرجل الأسمر أكثر غموضاً مما كان ـ فهو على الدوام وحيد لايتحدث الى أحد غير القبطان .

وابحرت الـ (دريك) عبر السويس الى البحر الأبيض المتوسط .

في تلك الليلة تسلل أليك الى سطح السفينة تاركاً بقية الركاب يلعبون الورق ، أصغى بعنـاية . كان الأدهم هادئاً الليلة . وبسرعة سار في اتجـاه الاصطبل . وفي أول الامر لم يستطع ان يرى او يسمع شيئاً وفيما ألفت عيناه الظلام ، مـيز منخري الادهم القرمزيين وكان الادهم قد ابرز رأسه من النافذة .

سار أليك في بطء نحوه . ووضع احد يديه في جيبه ليرى ما اذا كان السكر الذي أخذه من مائدة العشاء ما يزال هناك .

كانت الريح تهب تجاهه ، حاملة رائحته بعيداً معها . لقد اقتربنا الآن .

كان الادهم يطل الى البحر الطليق ، واذناه منتصبتان ومنخراه بشرتها الرقيقة يرتجفان وعرفه الاسود يرفرف كشعلة لعبت بها الريح .

لم يستطع أليك ان ينتزع عينيه عنه . لم يستطع ان يصدق أن في الدنيا حيواناً رائع الكمال كهذا .

استدار الجواد ونظر مباشرة اليه ــ وتألقت عيناه السوداوان . ومرة اخرى مـلأ ذلك الصفير الحـاد هواء الليل ، واختفى الجواد في اصطبله . أخرج أليـك السكر من جيبه وتركه على دكة النافذة . وذهب الى قمرته . وحين عـاد فيما بعد كان السكر قد اختفى . وفي كل ليلة فيما بعد كان أليك يتسلل الى الاصطبل ويترك السكر ويغادر وكان يرى الادهم في بعض الاحيان وفي احيان أخرى يسمع قرقعة السنابك على أرض الاصطبل ، وحسب .

- ٢ -

العاصفة

توقفت الـ (دريك) في الاسكندرية وبنغازي وطرابلس وتونس والجزائر ، واجتازت صخرة جبل طارق واستدارت شمالاً صاعدةً الى جانب ساحل البرتغال . والآن كانوا قد خلصوا من رأس (فنستير) على ساحل اسبانيا وأخبر الكابتن واطسون أليك بأنهم سيكونون في انكلترا خلال ايام قليلة .

وتساءل أليك في نفسه لماذا يشحن الأدهم الى انكلترا ... ربما ليحفظ في اصطبل للخيل ، ربما لينسل ذرية . الكتفان المائلان ، واللبان العميق العريض ، والقوائم القوية والركب التي لا هي عاليه جداً ولا واطئة جداً ، كانت هذه ، كما علمه عمه ، امارات السرعة والتحمل .

في تلك الليلة قام أليك برحلته المعتادة الى الاصطبل وجيباه منتفختان بالسكر . كان الليل حاراً ساكناً . وغشت سحب ثقيلة على النجوم ، وفي المدى البعيد كانت عروق طويلة من البرق تتسابق عبر السماء . اطل الادهم برأسه من النافذة مرة أخرى ، كان ينظر الى البحر ومنخراه يرتجفان أكثر من أي وقت مضى . واستدار وصفر حين رأى الفتى ، ثم واجه الماء مرة أخرى .

أحس أليك بالازدهاء — كانت المرة الاولى التي لم ينسحب الجواد فيها الى

داخل الاصطبل لدى رؤيته . واقترب الفتى ، ووضع السكر في راحة يده وفي تردد بسطها الى الجواد . استدار الادهم ومرة أخرى صفر صفيراً ، ارق هذه المرة . ووقف أليك حيث كان . لم يكن هو ولا سواه على مثل هذا القرب من الجواد منذ ان جاء الى السفينة . لكنه لم يغتنم الفرصة فيمد ذراعه الى الاسنان المشرعة والمنخرين الملتويين . وبدلاً من ذلك وضع السكر على قاعدة النافذة . نظر الادهم الى السكر ثم الى الفتى . وفي بطء تحرك من مكانه وبدأ يأكل السكر . راقبه أليك للحظة من الزمن وهو يشعر بالرضى ، ثم عاد الى قمرته فيما بدأ المطر يهطل .

واستيقظ على حين غرة مذهولاً في وسط الليل . لقد ترنحت الـ (دريك) في جنون وانقذف الى الارض . وفي الخارج كانت هناك قعقعات قوية من الرعد ، وعروق البرق تضيء قمرته كالنهار .

العاصفة الاولى التي يشهدها في البحر ! جذب حبل الضياء ، لقد كان ميتاً لا حياة فيه . ثم أنارت القمرة مرة أخرى ومضة من البرق . كنست مائدة الكتابة في غرفته ما كان عليها ، وتغطت ارض الغرفة بالزجاج المحطم . وفي عجالة لبس بنطلونه وقميصه وخفيه وتوجه نحو الباب ، ثم توقف . وعاد الى الفراش وركع على ركبتيه ومد يده تحت السرير . سحب طوقاً للنجاة وربطه حول نفسه . وامل انه لن يحتاجه .

فتح الباب واخذ طريقه وهو يتعثر الى سطح السفينة . ودفعه غضب العاصفة وغيظها الى الممر . وتعلق بدربزين السلم وحدق في الخواء الاسود . سمع صيحات الكابتن واطسون والبحارة تطفو واهنة على زئير الرياح . وكانت امواج هائلة من الماء تكتسح الـ (دريك) من جانب الى آخر . وازدحم الركاب الثائرة اعصابهم في الممر . كان أليك خائفاً بحق الآن ، فلم يسبق له أن رأى عاصفة كهذه !

وطوال الفترة التي بدت له ساعات ، راحت الـ (دريك) تشق طريقها خلال موجة بعد موجة وهي تضطرب مائلة على جانبها لكنها استطاعت بطريقة ما ، ان تظل طافية . ولم تتلاش عروق البرق الطويلة او تقل . كانت قرقعاتها الحادة

ــ وهي تسلك طريقاً ملتوياً في السماء ــ تصدى على الماء .

ومن الممر رأى أليك أحد البحارة يأخذ طريقه على طول سطح المركب باتجاهه وهو يكافح بيأس ، لكي يتمسك بالدربزين . وترنحت الـ (دريك) الى الجانبين واكتسحتها موجة هائلة . وبعد ان انحسرت الموجة ، كان البحار قد اختفى . اطبق الفتى عينيه وصلى .

بدأت العاصفة تهدأ قليلاً وأحس اليك بأمل جديد . ثم بدا ، على حين غرة ، ان قذيفة من النار تسقط من السماء عليه . قعقعة حادة واهتزت السفينة . وانقذف أليك على وجهه ، مخدر الحس . وفي بطء استعاد وعيه . كان منطرحاً على معدته . وأحس بوجهه حاراً لزجاً . رفع يده وسحبها ملوثـة بالدم . ثم أحس ، بأقدام تطـأه . كان الركاب ، مولولين صارخين ، يتسلقون ويزحفون عليه . فقد كانت الـ (دريك) ساكنة ــ ومحركاتها ميتة .

دفع أليك بنفسه ، بعد نضال ، واقفاً على قدميه . وفي بطء أخذ طريقـه على سطح السفينـة . والتقطت عيناه المذعورتان المشهـد من حوله . بدت الـ (دريك) وقـد صعقها البرق مشطورة الى نصفين ! كانوا يغرقون ! ومن الغريب ان يكون شعوره بارداً ، مع ما بدا من ان النهاية قريبة جداً ، كانوا يزودون زوارق النجاة بالرجال ، وكان الـكابتن واطسون هناك يصرخ بالأوامر والارشادات . كان أحد الزوارق ينزل الى الماء . وأخذته موجة كبيرة من جانبـه وقلبته ــ واختفى من فيه تحت الماء .

كان زورق النجاة الثاني يملأ وانتظر أليك دوره . ولكن حين جاء ذلك الدور ، كان الزورق قد بلغ غاية حمولته ، وقال الـكابتن واطسون بصرامـة : « انتظر الزورق الثاني يافتى » . ووضع ذراعه على كتف الغلام . وحاول أليك جهده لكي يبتسم . وفيما كانوا يراقبون زورق النجاة الثاني ينزل الى الماء ، ظهر الرجل الأسمر واندفع الى القبطان ، ملوحاً بذراعيه مثرثراً بصورة هستيرية .

هتف الـكابتن واطسون به : « تحت السرير ! تحت السرير ! » ثم رأى أليك

ان الرجل كان دون طوق نجاة . والتفت — والرعب في عينيه — عن الكابتن إلى أليك . وفي جنون اندفع الى الغلام وحاول ان ينزع طوق النجاة من ظهره . كافح أليك وناضل ، ولكنه لم يكن يوازي الرجل نصف المجنون قوة ،ثم وضع الكابتن واطسون يديه عليه ورماه على الدربزين .

رأى أليك عيني الرجل تتجهان الى زورق النجاة الذي كان ينزل الى الماء . وقبل ان يستطيع القبطان ايقافه ،كان يتسلق من على الدربزين . كان يريد ان يقفز الى الزورق !تمايلت الـ(دريك)على حين غرة . ففقد الرجل توازنه وسقط الى الماء وهو يصرخ . ولم يبرز الى سطح الماء ابداً .

لقد غرق الرجل الأسمر . وفي الحال فكر أليك بالادهم .ما الذي يحدث له ؟ شق أليك مدفوعاً بحافز لا يقاوم ، طريقه ، نحو دفة السفينة . اذا كان الجواد حياً فسوف يطلق سراحه ويعطيه الفرصة لان يقاتل من أجل حياته .

كان الاصطبل ما يزال قائماً . سمع أليك صفيراً حاداً يرتفع على العاصفة . اندفع الى الباب ورفع القضيب الثقيل واشرعه . ولثانية من الزمن توقفت السنابك الجبارة عن قرع الارض وكان ثمة صمت . وتراجع أليك منسحباً في بطء .

ثم رأى الادهم ، وقد رفع رأسه عالياً ومنخراه متسعان من الهياج . وعلى حين غرة شخر وقفز الى الدربزين . شل أليك فلم يستطع حراكاً . كانت احدى يديه على الدربزين الذي كان مكسوراً في ذلك المكان غير تارك شيئاً بينه وبين الماء الطليق . انحرف الادهم حين اقترب منه وأدرك الفتى ان الجواد يتجه نحو الفجوة . احتك به متن الجواد وهو ينحرف ، وانقذف أليك طائراً الى الفضاء وأحس بالماء يطبق على رأسه .

حين ارتفع من تحت الماء ، كان اول ما فكر به : السفينة . ثم سمع انفجاراً ورأى الـ(دريك) تغوص عميقاً في الماء . وفي جنون تلفت حواليه باحثاً عن زورق نجاة ، لكنه لم ير أي زورق . ثم رأى الادهم يسبح على بعد لا يزيد عن ياردات عشر . هفّ شيء ما الى جانبه — حبل ، وقد كان موصولاً برسن الادهم .

كان نفس الحبل الذي استعملوه لاصعاد الجواد الى السفينـة والذي لم يحلوه . ثم جذب أليك خلال الماء ، الى البحر الطليق .

كانت الامواج ما تزال هائلة لكن أليك ، بمعونة من طوق النجاة ، استطاع ان يبقى على القمة منها . لقد ذهب الآن الى أبعد مما يستطيع معه ان يفكر كثيراً بما قد فعل . كان لا يعرف غير انه مخير بين ان يبقى في الماء وحيداً ، او ان يجره الادهم . اذا كان لا بد من الموت فأحرى به ان يموت مع الجواد الجبار من ن يموت وحيداً . نظر نظرة اخيرة وراءه ورأى الا (دريك) تغطس الى الاعماق .

راح أليك يصارع الامواج لساعات. كان قدربط الحبل ربطاً محكماً حول طوق النجاة الذي يلبسه ، وبصعوبة متناهية استطاع ان يبقي رأسه مرفوعـاً . أحس بالحبل يرتخي على حين غرة . فقد توقف الادهم عن السباحة ! وانتظر أليك بقلق . استطاع وهو يخترق الظلـاء ببصره ، ان يتبين راس الجواد وحده . مزق صفير الادهم اديم الهواء . بعد دقائق قليلة توتر الحبل مرة اخرى . كان الجواد قد غير اتجاهه . مرت ساعة اخرى ثم تضاءلت العاصفة وتلاشت الى امواج عالية متلاطمة . وظهرت على الافق الخيوط الاولى من الفجر .
كان الادهم قد توقف اربع مرات في اثناء الليل،وفي كل مرة كان يغير اتجاهه. وتساءل اليك في نفسه عما اذا كـانت غريزة الجواد الوحشيـة تقوده الى البحر . اشرقت الشمس وشعت ملتمعة على راس الغلام . وجعله الماء المالح الذي ابتلعـه في اثناء الليل ، يكاد يجن من الظلـاء . ولكن حين احس اليك بأنه لم يعد يستطيع الصبر مدة اطول ، تطلع الى الحيوان المكافح المقاتل امامه ، فأنبعثت فيه شجاعة جديدة .

ادرك ، على حين غرة ، انهما ذاهبان مع الامواج ، بدلا من الذهاب ضدها . هز راسه محاولاً ان يصفي ذهنه . نعم ، لقد كانا يبتعدان عن وسط اللجة ، ولابد انهما قريبان من البر . وبلهفة اشرأب بعينيـه الملوعتين ملحاً ونظر الى المدى . ثم رآه – على مسافة مايقارب ربع الميل ، الشاطىء ! جزيرة وحسب ، ولكن لا بد ان يكون هناك طعام وماء ، وفرصة للبقاء على قيد الحياة . واسرع فأسرع حتى

وصلا الى الرمل الابيض. كانا وسط الامواج المتكسرة على الشاطىء .بدد السكون تصهال الادهم .. وهو يقدر على المشي . تعثر قليلا ثم هز راسه الاسود . ثم تغيرت حركته على نحو عجيب ، وراح اسرع من ذي قبل خلال الماء الضحضاح .

دار راس اليك وداخ ـ يا لقوة هذا الحصان وتحمله ! كان يسحب نحو الشاطىء بسرعة متزايدة ابداً . وعلى حين غرة ادرك خطر مركزه . يجب ان يحل الحبل من حول خصره ، والا فسيسحب ، حتى الموت ، على الرمل . وفي يأس طارت اصابعه الى العقد . كانت مشدودة بقوة ، لقد تأكـد من ذلك . وفي جنون راح يعمل اصابعه فيها والشاطىء يقترب متسارعاً ...

كان الادهم الآن على الساحل . بدا الرعد يقعقع من تحت سنابكه حين انفلت خارجاً من الماء ان الساعات التي قضياها في الماء قد اورمت العقدة فلم يستطع اليك ان يحلها . ثم تذكر السكين الصغيرة في جيبه . ايمكن ان تكون هنـاك ؟ انطلقت يده الى داخل الجيب الذي في مؤخرة بنطلونه . كان قـد زرره لحسن الحظ . وصلت اصابع اليك الى داخل الجيب وخرجت تقبض على السكين .

هو الان على الساحل والجواد يجره . تطاير الرمل في وجهه ، وبسرعـة فتح السكين وبدأ يقطع الحبل . كان جسده يحترق من الرمل وملابسة قد تمزقت عنه . كانت سرعته تزداد كل ثانية من الزمن ! وفي جنون راح يحز في الحبـل . وفي سحبة نهائية للسكين ـ تحرر . احتضنت يداه الممدودتان الرمل . وبينما اغلق عينيه، غمغمت شفتاه الجافتان : « نعم ـ ايها العم رالف ـ لقد افادتني » .

- ٣ -

الجزيرة

فتح أليك عينيه . كانت الشمس ، وهي عالية في السماوات ، تصب نارها على رأسه العاري ، أحس بوجهه ساخنا وبلسانه متورما . وفي بطء دفع جسده المتعب من الأرض ثم سقط على الرمل . اضطجع ساكنا دقائق قليلة . ثم جمع نفسه وحاول ثانية ان ينهض على ركبتيه ثم على قدميه . ارتجفت رجلاه من تحته . وفك بكلة طوق النجاة الممزق وتركه يسقط الى الارض .

تلفت حواليه . انه في حاجة يائسة الى الماء . رأى آثار سنابك الأدهم في الرمل. ربما ستقوده ، اذا تبعها ، الى ماء عذب .

كان واثقاً من ان الجواد ظامىء مثله . سار أليك متعثراً متخبطاً . آثار السنابك تنحرف عن المحيط انحرافاً حاداً متجهة نحو داخل الجزيرة .

لم يكن أثر من خضرة حوله — الرمل وحده . أستدار ونظر الى البحر الذي اصبح الآن هادئاً ساكنا . كل هذه الاحداث وقعت في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ! ما الذي حدث للآخرين ؟ أطبق عينيه وحرك شفتيه .

بعد بضع دقائق استدار وأخذ طريقه نحو تل كبير من الرمال . وعند القمة

توقف . ومن حيث وقف استطاع ان يرى الجزيرة كلها . كانت صغيرة – لا يزيد محيطها عن ميلين . وهي تبدو عارية الا من اشجار قليلة وشجيرات وبقع قليلة متناثرة من العشب المحترق . كانت قمم صخرية عالية تنحدر الى البحر على الجانب الآخر من الجزيرة. كانت آثار سنابك الأدهم تنحدر من التل ،وعلى مسافة قصيرة تحت اشجار قليلة متناثرة رأى أليك بركة صغيرة من ماء ينبوع . مر لسانه الجاف على شفتيه اليابستين المتفطرتين وتعثر سائراً الى يمين الينبوع ، على مسافة مائة ياردة ، رأى الادهم يأكل العشب الجاف في جوع . ورأى أليك ، مرة أخرى ، ذلك الميناء العربي الصغير والحشد المتجمع حول جسد ذلك الرجل الممدد الذي ضربه الادهم . هل سيكون هو في مأمن من الجواد ؟

تطلع الادهم رافعاً رأسه من العشب الذي كان يرعاه . لاحظ الصبي ان لجامه والحبل قد ذهبا – استطاع الجواد بطريقة ما انيتخلص منهما ، ساطت الريح عرفه . كان جسده الناعم الاسود يتألق تحت الشمس . رأى أليك فتجاوب صفيره الحاد خلال الهواء . وقب على قائمتيه الخلفيتين وقائمتاه الاماميتان تضربان الهواء . ثم هبط وخبطت قائمته الامامية اليمنى القانورات .

تلفت أليك حوله . لم يكن هناك مكان يلتمس المأوى فيه ، كان اضعف من ان يركض ، حتى لو كان ثمة مأوى . عاد بصره الى الجواد مسحوراً بمخلوق وحشي قريب كهذا القرب. كان هنا اشد جميع الحيوانات الوحشية وحشية–لقد قاتل من اجل كل ما يحتاج اليه : من اجل الطعام ، من أجل القيادة ، من أجل الحياة نفسها . كانت طبيعته ان يقتل او يقتل . ارتفع الجواد على قائمتيه الخلفيتين مرة اخرى ثم شخر وجمح نحو الغلام .

لم يتحرك أليك. كان جسده متخدراً. راقب الجواد يتوجه،وهو ممغنط.ثم توقف الادهم على مسافة خمس وعشرين ياردة منه . تألق بياض عينيه ،والتوى منخراه ، والتصقت اذناه على رأسه . صفر صفيراً حاداً واضحاً طويلاً . وعلى حين غرة تحرك بين أليك والينبوع . كان يخبط الارض في غيظ .

وقف أليك ساكناً ، لا يجرؤ على ان يتحرك . وبعد ما بدا ساعات ، توقف

الجواد عن ضرب الارض بقدمه . وانصرفت نظرته عن الصبي الى البركة ثم عادت اليه . وصفر وقب نصف قبـــة على قائمتيه الخلفيتين ، ثم انطلق بخطواته الطوال راكضاً في الاتجاه الذي جاء منه .

أرغم أليـك رجليه على ان تتحركا وبلـغ الينبوع والقى بنفسه على الارض بجانبه . وترك وجهه ينغمس في الماء البارد الصافي . بدا له انه لن يحصل من المـاء على ما يكفيه . بلل رأسه وترك الماء ينحدر على قفاه . ثم اقتطع جزءاً من قميصه وغسل جسمه الذي لم يبق منه الا العظم والجلـد . زحف ، بعد ان انتعش ، تحت الشجيرات الظليلة الى جنب البركة . مدد نفسه واغمض عينيه وغرق في النوم وهو منهك .

مرة واحدة وحسب اثناء الليل تحرك أليك . فتح عينيه وهو نعسان . استطاع ان يرى القمر من خلال الشجيرات ، عاليا في السماء المرصعة بالنجوم . تحرك شبح اسود ضخم عند الينبوع ـــ الأدهم على مسافة اقدام قليلة وحسب ! عب من الماء ثم رفع رأسه الجميل واذناه مشرعتان الى الأمام . ثم استدار وابتعد يسير خببا .

استفاق أليك في الصباح التالي وهو في غاية الجوع ، لقد قضى يوماً ونصف يوم دون ان يأكل . نهض وشرب من الينبوع . كان الشيء التالي ان يجد طعاماً . سار مسافة غير قليلة قبل ان يجد ما يصلح للأكل . كانت شجيرة من شجيرات العليق . كان الثمر يختلف عن أي شيء ذاقه من قبل . لكنه قد لا يسهل عليه ان يجد اي شيء سواه مما يستطيع ان يأكله ، وهكذا اغتذى بالعليق .

ثم راح يستكشف الجزيرة ، وجدها منبسطة بين التل الذي كان قد تسلقـه في اليوم الفائت ، وبين الأجراف الصخرية في الجانب الاخر من الجزيرة . لم يحاول ان يتسلق الجلاميد الكبيرة . كان ثمة قليل من شجيرات العليق ومن العشب ، وادرك أليك ان الطعام سيكون نادراً له وللأدهم . بدت الجزيرة وكأنها غير مسكونة نهائياً . لم ير طيوراً ولا حيوانات من اي نوع .

سار في بطء عائداً في اتجاه الينبوع . من قمة التل أطل على البحر ، وهو يؤمل

في ان يرى سفينة . كانت مسافات الماء الازرق الشاسعة تنبسط امامه . وتحت رأى الادهم يخب على طول الشاطىء .نسي أليــك مشاكله في جمال الجواد وهو يتخطر بهيا في خطوته السريعة وعرفه الاسود وذيله يتطـاير . حين اختفى الحصان حول عطفة الجزيرة ، هبط أليك الى الشاطىء .

كان الشيء التالي الذي يجب عليه القيام به ان يقيم مأوى ما لنفسه . وعليــه ، اولاً ، ان يجد الخشب . أكتسحت عينا أليك الشاطىء . رأى قطعــة ثم اخرى .

وطوال الساعات القليلة الباقيـــة تصارع مع الخشب الذي وجده مرمياً على الشاطىء ، وهو يسحبه نحو الينبوع . كومة ، ودهش حين رأى كم جمع منـــه . بحث عن قطعة طويلة ثقيلة ووجد واحدة تلائم غرضه.سحبها نحو شجرتين متلاصقتين وحشرها بين الساقين وعلى حين غرة اهتز ذراعــه فتوقف . كان الاسم (دريك) مكتوباً على اللوحة الشهباء ــ لقد كانت جزءاً من احـد زوارق النجاة ! وقف أليك ساكناً لمدة دقيقة ثم ثبت اللوحة في موضعها تثبيتاً جيداً في عبوس .

ثم تكأ القطع الباقية من الخشب على كل جانب من اللوحة ، صانعاً مأوى له على هيئة خيمة . ملأ النهايتين المكشوفتين كأحسن ما استطاع . وبسكينتــه قشر اللحاء من احدى الاشجار وربط قطع الخشب معاً .

عاد أليــك الى الشاطىء وجمع كـل اعشاب البحر التي استطاع ان يحملها . وحشاها في جميع الحفر والثقوب العارية . وتأمل مأواه الذي اكمله ــ كان خائفاً من ان ريحاً قوية ستعصف به وتسقطه عليه .

تطلع الى الشمس الساخنة وخمن ان الوقت قريب من الظهيرة . كان جبينه وملابسه مبللة بالعرق من الحرارة الرهيبـــة . قطع عصا طويلة رقيقــة من شجرة وجربها فوجدها قوية . وفي عناية قشرها وقصها الى الطول المنـاسب . ثم ربـــط سكينته ، ربطاً وثيقاً ، الى نهاية العصا بقطعة من اللحاء .

بعد وقت قصير وقف أليك الى جانب خليج صغير اكتشفه ذلك الصباح . كان الماء صافياً والرمل يلتمع ببياض من تحته . جلس على الضفة وحدق بلهفة في الماء ،

وكان قد قرأ عن الناس الذين يصيدون الاسماك بهذه الطريقـــة . وبعد مضي بعض الوقت رأى تموجا ، وفي حذر رفع حربتـــه المرتجلة ، ثم قذفها بكـــل قوته . وهسهست العصا الطويلة ، هابطة وشقت طريقها الى الرمل الابيض . لقد اخطـأ !

جذب حربته من الماء وانتقل الى بقعة اخرى . ومرة اخرى انتظر في اصطبار. مضى وقت طويل قبل ان يرى سمكة اخرى . تحرك شكل نحيل طويل في الماء الضحضاح تحته . رفع حربته وسدد هدفه وقذف حربته مرة اخرى. رأى السكين تصيب ! وجذب الحربة، خائفاً ان تنفلت السكين من السمكـة ، ووثب الى الماء الضحضاح ودفعها نحو القعر . وفي يأس خفت ذراع أليك منحدرة على العصا،باحثة عن السمكة . كان الماء معكراً بالرمل . ووصل الى النهاية فلم تلاقي اصابعه الممدودة الا النصل الحديدي . لقد اضاع السمكة !

ولبقية ما بعد الظهر ، كافح أليك ليصطاد سمكـــة . وفيما هبط الظلام نهض متعباً على قدميه وسار في بطء عائداً الى (بيته) الجديد . وكانت عيناه تؤلمانه من جراء جهد ساعات البحث المستمر في اعماق الماء .

وفي طريقه ، توقف عند شجرة العليق وأكل في جوع . وحين بلغ الينبوع،رأى الأدهم غير بعيد عنه . تطلع الجواد فرأى الغلام واستمر يأكل. كان ، وهو ينتقل من مـكان الى اخر ، يقضم رقع العشب الصغيرة التي يقع عليها . فكر أليـــك : (أراهن انه لا يقل جوعاً عني) . وخر على الارض وشرب من الينبوع .

جاء الظلام بسرعة . وعلى حين غرة احس أليك بسكون الجزيرة وهدوئها — لا اطيار ولا حيوانات ولا اصوات . فكأنه هو والأدهم المخلوقان الحيان الوحيدان في العالم . اشعت ملايين النجوم فوق رأسه وبدت قريبة جداً . واشرق القمر عالياً مستديراً ، ملقياً انعكاسه على البركة .

تطلع الأدهم من مرعاه . بدا وكأنه هو ايضاً يراقب القمر . صفر أليك صفيراً انخفضاً ثم صفيراً اعلى لايلبث أن يتلاشى . لحظة من الصمت ثم مزق صفير الجواد حاد هواء الليل . رأى أليك الأدهم ينظر في اتجاهه ثم يواصل بحثه عن العشب .

فابتسم وزحف الى مأواه . لقداتعبه عمل النهار وسرعان ماغرق في النوم .

واطل الصباح التالي على أليك قرب الخليج الصغير وحربته في يده وهو مصمم على ان ــ يصطاد سمكة للفطور . وعند الظهر أكل العليق . وعند العصر شعر بأنه مريض داخ رأسه ودار ، وماكان الا بصعوبـة ، ليستطيع ان يمنع مقلتيه عن الانطباق .

ظهرت دوامة صغيرة على سطح الماء . قبض أليك الحربة بجانبه ونهض على ركبتيه فرأى جسماً اشهب في الماء تحته . فرفع حربته وحركها متابعاً حركـــة السمكة ثم اطلقها . ارتجف النصل في انطلاقه . لقد اصاب . وثب الى الماء ، دافعاً الحربة والسمكة نحو القعر . يجب الا يفقد هذه السمكة ، وصلت يده الى السكينة كانت السمكة هناك ــ تتلوى وتناضل . ثم اخذها وبسرعة رفع السمكة من المـاء ورمى بها وبالحربة الى الضفة . وصعد الى الضفـة في تعب ونظر الى صيده .وقال في جوع : (قدمان ولو كانت انشاً واحداً) . سحب الحربة والتقط السمكـــة وعاد الى المخيم .

غسل أليك السمكه في الينبوع.ثم وضعها على قطعة من الخشب وسفطها . والآن لو انه استطاع ان يحصل على نار تذكى ! .

تذكر انه راقب احد اهالي الهند يشعل ناراً دون ثقاب . ربما استطاع ان يفعل الشيء نفسه .

جمع بعض قطع اللحاء الصغيرة والخشب الجاف وعش طائر مهجوراً ، ونثرها وعلى الارض امامه . التقط اجف قطعة من الخشب وحفر ثقباً في منتصفها بسكينته. في عناية انتزع خيوطاً صغيرة من القش من عش الطائر ووضعها داخل الثقب . سوف تشتعل بسرعـــة . ثم قطع غصنا قوياً من اغصان المطاط يبلغ طوله حوالي الثمانية عشر انشاً من شجرة قريبة وقشره ووضع احدى نهايتيه في الثقب واتكـأ على العصا فحناها ثم ادار بسرعة القسم المنحني كمثقب نجار .

بدا لاليك ان ساعة مرت قبل ان يتصاعد الدخان ، دفعت ذراعاه المتعبتان

بأقوى من ذي قبل ، وفي بطء تنامت شعلة صغيرة ثم اشتعل الخشب اليابس بالنار . واضاف مزيداً من الخشب . ثم اختطف السمكـــة ولفها ببعض اغشاب البحر التي كان قد غسلها من قبل ، ثم وضعها على قمة النار .

حرك أليك السمكة فيما بعد . جرب قطعة منها فوجدها طيبة . ثم افترس بقيتها وهو في جوعه .

مرت الايام وكافح الفتى في يأس ليجد طعاماً يبقي عليه الحياة . لم يصـد الا سمكه واحدة اخرى ـــ سيكون مستحيلاً عليه ان يعتمد على البحر ليوفر معيشته . تحول مرة اخرى الى العليق ، لكنه كان يتضاءل ويتلاشى بسرعة . دبر ان يبقي ناره مشتعلة بعد ان جعلت الحرارة الوقود اليابس وفيرا . وعلى كل حال ، كانت النار ذات نفع قليل له اذ لم يكن لديه ما يطبخه .

وفي الايام التالية بينا كان اليك يسير على الساحل رأى قوقعة حمراء كبيرة في البعد ، شد قبضته على حربته . كانت تبدو كسلحفاة . ثم جعله الجوع يفقد كـل حذر فاندفـــع الى الامام وحربته مرفوعة . رمى نفسه على القوقعة وغطست سكينته تحفر الفتحة حيث اعتقد ان رأس السلحفاة كان . وفي يأس قلب القوقعة ظهراً لبطن لقد كانت فارغة خاوية الجوف . لم تلاقي نظرة أليك الجائعة سوى القوقعة الخاوية. وقف ساكنا دائخاً . وفي بطء استدار وسار عائداً الى المخيم .

كان الادهم يشرب من الينبوع . كان جسده الكبير قد بـدأت تظهر عليه امارات الجوع . لم يعد أليك يشعر بأي خوف منه . رفع الجواد رأسـه المتكبر ونظر الى الصبي . ثم انصرف وخب مبتعداً . راحت الريح تسوط عرفـه الطويل المتطاير . وملأ صفيره الهواء .

راقبه أليك ، حاسداً روحه الوحشية المتكبرة . كان الحصان معتاداً على مشاق الصحراء ، لعله سيعيش بعد ان يموت هو . طفت فكرة الغلام نصف الواعية على سطح عقله : (هناك طعام ـــ لو انك استطعت مجرد ان تجد طريقة ما لقتله). ثم هز رأسه كارهاً نفسه . يقتل الحيوان الذي انقذ حياته ؟ كلا ابداً ـــ حتى لو

استطاع ، فانه يفضل ان يموت جوعاً ! بلغ الجواد قمة التل ووقف هناك ، كتمثال اسود جميل ، ونظرته متجهة الى البحر .

في ذات صباح اخذ أليك طريقه ، في ضعف ، نحو الجانب الصخري من الجزيرة ، أتى الى الصخور الضخمة وتسلق الى قمة واحدة منها. كانت اكثر عرياً من اي جزء اخر من الجزيرة ، كان البحر في حالة جزر . جالت عينا أليك على الشاطىء الصخري ، لاحظ مادة تشبه الطحلب على جميع الصخور عند حافة الماء ، وعلى الصخور الممتدة خارجه وقد عراها المد. ما الذي كان ذلك الشيء الذي جعلهم معلم علم الحياة يأكلونه في احدى تجاربهم ؟ الم يسمه (الطحلب الايرلندي) ؟ نعم ، ذلك هو . قال المعلم انه نوع من اعشاب البحر ينمو بوفرة على طول الاقسام الصخرية من ساحل الاطلسي في اوروبا وامريكا الشمالية ، وانه حين يغسل ويجفف يصبح صالحاً للأكل . ايمكن ان يكون الطحلب الذي على الصخور من تحته ، من ذلك النوع ؟ لم يكد أليك يجرؤ على ان يأمل في ذلك .

وفي بطء قام بذلك الهبوط الخطر . بلغ حافة الماء وتخبط عبر الصخور . أخذ حفنة من الطحلب الناعم الأخضر الضارب الى الصفرة الذي كان يغطيها ورفعه الى شفتيه . كانت له نفس الرائحة ، ذاقه . كان الطحلب مالحاً بصورة فظيعة من البحر . لكنه كان نفس ما أكله ذلك اليوم ، في غرفة الصف !

وبلهفة ملأ جيبه به ، ثم خلع قميصه فملأه بكل ما اتسع له . تسلق صاعداً مرة اخرى واسرع عائداً الى المخيم . وهناك افرغ الطحلب على الارض في جانب الينبوع . وقضى ربع الساعة التالية يغسله ثم وضعه في الشمس ليجف . وفي جوع ذاقه مرة اخرى . كان احسن ــ لقد كان طعاماً !

حين انتهى من الأكل ، كانت الشمس تهبط الى المحيط والسماوات تظلم بسرعة وفي البعد رأى اليك الجواد مقبلاً نحو الينبوع .

وبسرعة التقط بعض الطحلب لنفسه وترك البقية على الارض بجانب البركة . هل سيأكل الأدهم ! هرع اليك الى مأواه ووقف ساكنا يرقب عن كثب .

اندفع الأدهم مقبلا وهز رقبته الطويلة وغمس فمه في الماء . وعب طويلا . وحين انتهى نظر نحو الغلام ثم ارتجف منخراه القرمزيان . وضع الأدهم فمـه على الأرض وسار نحو الطحلب الذي ، تركـه أليك ، وراح يشمه . ثم التقط قليلا منه بفمـه وراح يأكل ، مضغ طويلا وبعناية . ومد رأسه يطلب المزيد .

في تلك الليلة نام أليك أحسن مما قد نام منذ ان حل بالجزيرة . لقد وجد طعاماً يبقي على حياته وحياة الأدهم !



- ٤ -

أشد المخلوقات كلها وحشية

في اليوم التالي انطلق أليك ليحصل على المزيد من الطحلب الايرلندي .وحين اقترب من الصخور رأى الجواد واقفاً في سكون الى جانب جلمود كبير . لم تكن عضلة لترجف في جسمه الاسود ـ كما لو ان فناناً قد رسم الأدهم على صخرة بيضاء تسلق أليك هابطاً الى حفرة صغيرة وتوقف ليتطلع باحثاً بين الصخور تحتـه . وعلى حين غرة سمع حمحمة الجواد ، كانت اكثر حدة واكثر اثارة للدم مما قد سمع من قبل . نظر الى الأعلى .

كان الأدهم على قائمتيه الخلفيتين وقد كشر عن اسنانه . ثم انطلق ، بقفزة جبارة ، من الجلمود نحو أليك . وجاء بخفة ـ وكانت سرعته تزداد مع كل خطوة رائعة يخطوها . كان يوشك ان يكون على القمة من فوقـه عندما ارعد واقفاً وقب على قائمتيه الخلفيتين مرة اخرى .

وثب أليـك جانبا وعثر بصخرة وسقط ارضاً . وعاليا من فوقه كانت قوائم الأدهم تضرب الهواء ثم هبط فأصبح على مسافة ياردات ثلاث امامه ! ومرة ثانيـة راح يقب ويهبط ومرة بعد اخرى راح يخبط الأرض بقوائمه . اهتزت الأرض التي كان أليك يقف عليها من قوة سنابكه . كان الزبد يتصبب من شدقي الجواد ، ولم تبرح عيناه المجنونتان الأرض من امامه .

وبالتدريج قل ضربه للأرض بالقوائم ، ثم توقف . رفـــع رأسه عاليا وانطلق صفيره يشق الهواء . وهز رأسه وابتعد في بطء ، ومنخراه يرتجفان .

نهض أليك واقفاً على قدميه وفي حذر اخذ طريقه نحو الأرض المحفّرة ، وقـد طغى الاضطراب على ذهنه . وهناك امامه رأى الأجزاء المنشورة من جسم طويل اسود ضارب الى الصفرة ، رأس حيـــة اشبه بماسة ، مسحوقاً لاحياة فيه . وقف ساكنـاً ــ وقد اذهلته فجأة اكتشاف حيـــاة ، غير حياته وحياة الأدهم ، على الجزيرة ! تصبب العرق من جبهته حين ادرك ما الذي كان يمكن ان تعنيه لدغة حية الألم وربما الموت ! نظر ، وهو دائخ ، الى الجواد الواقف على مدى اقـدام قليلة منه هل قتل الأدهم الحية لكي ينقذه ؟ هل بدأ الجواد يفهم انهما يحتاج احدهما الى الآخر لكي يعيشا ؟

وفي بطء سار الغلام نحو الأدهم.تطاير عرف الجواد في الريح وارتجفت عضلاتـه وتحركت عيناه دون انقطاع ، لكنه وقف حيث كان ، فيما اقترب الغلام منـه . اراد أليك ان يفهم الجواد انه لن يؤذيه . وفي حذر مد يده نحو رأس الجواد . جر الجواد رأسه الى ابعد ما استطاع دون ان يتحرك . اقترب أليك الى جانبـه . وفي رفق لمسه لمدة لحظة . لم يتحرك الجواد حاول أليك مرة اخرى ان يلمس الرأس الوحشي . قب الأدهم على قائمتيه الخلفيتين واهتز قليلا . قال أليك ملاطفاً (مهلاً ايها الفتى لن اوذيك). ارتجف الجواد ثم قب على قائمتيه الخلفيتين وانطلق على مسافة مائة ياردة ــ وقف على حين غرة والتفت .

حدق أليـــك فيه وهو واقف هناك دون حراك ــ ورأسه مرفوع عالياً في الهواء . وقال في تصميم : (سنتخلص من هذا بطريقة ما ايها الادهم ــ اذا عملنا معا) .

سار أليك عائداً الى قمة الصخور وبدأ ، مرة اخرى ، يهبط . أخذ طريقه نحو حافة الماء وكان ينظر في حذر قبل ان يخطو . فحيث كانت حية واحـدة ، قد يكون هناك المزيد . حين بلغ القمر ، ملأ قميصه مرة اخرى بالطحلب واخـــذ طريقه عائداً . كان يستطيع ان يرى الأدهم ، عالياً من فوقه ، وهو ينظر خلـــل

القمم ، وعرفه يتطاير في الريح . وتبع أليك على مسافة قصيرة خلفه فيما عاد أليك الى الينبوع .

مرت الأيام وبالتدريج نمت الصداقة بين الغلام والأدهم . واصبح الجواد يأتي الآن حين يناديه ويدع أليك يربت عليه بينما يحدق هو بعينين متسائلتين . وفي ذات ليلة جلس أليك متمتعاً بدفء النار وراقب الجواد يقضم الطحلب الأيرلندي في جانب البركة . وتساءل في نفسه ما اذا كان الجواد قد سئم الطحلب الايرلندي كما سئمه هو . وجد أليك انه اذا ما غلاه في قشرة السلحفاة كون مادة غروية طعمها اطيب بقليل من طعم الطحلب الخام . كان اكل السمك ترفا نادراً بالنسبة اليه الآن .

انتشرت ظلال اللهب والقت اشكالاً شبحية مخيفة على جسد الأدهم . التمعت عينا أليك واصبح وجهه عابساً فيما تدافعت الافكار الى رأسه . سيجرب ذلك غداً ؟ هل يجرؤ على ان يحاول ركوب الأدهم ؟ اعليه ان ينتظر بضعة ايام اخرى؟ فليتقدم — غداً . كلا ، لاتفعل ذلك ! تقدم .

خفتت النار ثم راحت تحترق دون لهب ، ومع ذلك جلس أليك بجانبها وعيناه مثبتتان على ذلك الشبح الأكثر سواداً من الليل في جانب الينبوع .

في الصباح التالي افاق من نوم عميق ليجد الشمس عالية فوقه . ثم بحث بعينيه عن الأدهم ، لكنه لم يقع له على اثر . صفر أليك لكن لم يأته جواب . سار نحو التل . كانت الشمس تصب شواظها وتحدر العرق من جسمه . لو انها تمطر لا غير ! كان الاسبوع الماضي كتنور على الجزيرة .

حين بلغ قمة التل ، رأى الأدهم في طرف الشاطىء . ومرة اخرى ، وفي هذه المرة جاء صفير يجيب صفيره فيما التفت الجواد اليه . سار أليك على الشاطىء نحوه، والعزم منعقد على وجهه .

وقف الأدهم ساكناً فيما اقترب أليك منه . ذهب في حذر اليه ووضع يده على رقبته . وغمغم فيما كان الجسد الدافىء يختلج اختلاجاً هينا تحت يده : (على مهلك

ايها الفتى) . لم يبد الجواد لا خوفاً ولا كرهاً له . كانت عيناه الواسعتان ما تزالان متجهتين نحو البحر .

وقف أليك للحظة ، ويده على رقبة الأدهم . ثم سار نحو كثيب من الرمل على مسافة قصيرة . تبعه الجواد. خطا صاعداً جانب الكثيب ويده اليسرى غارقة في عرف الحصان الكثيف . انتصبت اذنا الأدهم ، وتابعت عيناه الصبي في قلق اعصاب ـ عادت بعض الوحشية اليه ، وارتجفت عضلاته .

وللحظة لم يكن أليك مصمما على ما سيفعل . ثم قبضت يداه على العرف اشد مما كانتا تقبضان ورمى نفسه على ظهر الأدهم . وللحظة وقف الجواد دونما حركة ، ثم شخر وتطاير الرمل فيما تثنى الجواد في الهواء . أحس أليك بالعضلات الجبارة وهي تضطرب وتجيش ثم انقذف في الهواء واستقر ، وبقوة ، على ظهره . وأظلم كل شيء .

استعاد أليك الوعي ليجد شيئاً دافئاً ازاء خده ، فتح عينيه في بطء . كان الجواد يدفع برأسه . حاول أليك ان يحرك ذراعيه ورجليه،فوجدها مرضوضة لكن غير مكسورة ، وفي اعياء نهض على قدميه .

اختفت الوحشية من الادهم مرة اخرى . كان ينظر كما لو ان شيئاً لم يحدث .

انتظر أليك دقائق قليلة ـ ثم قاد الجواد الى كثيب الرمل مرة اخرى ، ووضع قبضة يده على عرف الحصان لكنه لم يفعل هذه المرة اكثر من انه وضع الجزء الأعلى من جسمه على ظهر الجواد ، بينما تكلم في اذنه ملاطفاً . راح الأدهم يرف بأذنه الى الوراء والأمام ، وهو ينظر بعينيه السوداوين .

غمغم أليك وهو يربت على الجواد ويدعه يشعر بثقله (انظر ، انني لن اؤذيك يافتى) . بعد بضع دقائق ، زلق أليك نفسه على ظهر الجواد في حذر . ومرة اخرى شخر الجواد وارسل الغلام طائراً في الهواء.

رفع نفسه من على الأرض ـ ابطأ هذه المرة . لكنه بعد ان استراح ، صفر

للأدهم ثانية ، تحرك الجواد نحوه . وخطا أليك في عزم وتصميم ، على كثيب الرمل ومرة اخرى جعل الأدهم يحس بثقله ، تكلم في اذنه الواسعة في لطف ورقة(انه انا ، ايها الفتى الأدهم . هوا .. ايها الفتى) . وانسل على ظهر الجواد . انسلت احـــدى ذراعيــه حول رقبة الجواد فيما شب على قائمتيه الخلفيتين . ثم انطلق الجواد هابطاً الى الشاطىء ، كطلقة من بندقية ، تغيرت حر كته وبدت خطواته الهائلة و كأنها تجعله يطير في الهواء .

تعلق أليك بعرف الجواد حفــاظاً لحياته . كانت الريح تعول بجانبه ولم يكن يستطيع ان يرى . وعلى حين غرة انحرف الأدهم في سيره واتجـــه نحو التل . بلغ القمة ثم هبط . وبــدا الينبوع كلطخة حينما انطلقا بجانبه . ر كض الى الصخور ، ثم رسم الجواد دائرة واسعةــ دون ان يخفف من سرعته . وهبط منطلقا خلال وهدة. واستطاع بصر أليك المشوش ان يرى جسما اسود امامها ، و كومضة برق تـــذ كر الأخدود العميق الذي كان هناك .

أحس بالجواد يجمع نفسه . وبفعل الغريزة مد نفسه الى الامام وأمسك بالأدهم في قوة بيديه ور كبتيه . واذا هما طائرين على حفرة سوداء ، انزلق أليك قليلاً حين أرسيا على الارض . لكنــــه استعاد نفسه في الوقت المناسب لئلا يسقط من على ظهر الجواد . ومرة أخرى بلغ الجواد الساحل ووقع حوافره منتظم موقـــع في انسجام على الرمال البيضاء .

ساعدت الطفرة كثيراً على تصفية ذهن أليك . اتكأ الى اذن الجواد واستمر يردد (على مهلك ، ايها الفتى الأدهم ، على مهلك) . بدا الجواد و كأنه ينزلق على الرمل ثم بدأت سرعته تقل . استمر أليك يتحدث اليه . وأخذ الادهم يجري ابطـأ فابطأ . وبالتدريج انتهى من ر كضــه الى الوقوف . وارخى الغـــلام قبضته من عرف الجواد واحاطت ذراعاه برقبة الادهم كان ضعيفاً من شدة الإجهـــاد ــ لم يكن في حال تسمح له بمثل هذا الر كوب ! وفي اعيـــاء انزلق الى الارض . لم يحلم ذات يوم بأن حصاناً يستطيع ان ير كض بمثل هذه السرعة ! نظر الجواد اليه ، ورأسه مرتفع ، وجسده الضخم غير مكسو الا بالقليل من العرق .

تلك الليلة اضطجع أليك دون نوم ، وجسده يتقطع ألماً ، لكن قلبه كـــان

خافقاً – بانفعال . لقد امتطى صهوة الأدهم ! لقد ذلل هـــذا الجواد الوحشي غير المذلل وقهره بالرقة وقد أحس واثقاً بأن الأدهم عاد ملكاً له منذ ذلـــك اليوم – له وحده ! ولكن – هل تراهما ينقذان ؟ اتراه يرى وطنه وبيته مرة اخرى ؟ هز أليك رأسه . لقد عاهد نفسه بالا يفكر في ذلك مرة اخرى .

في اليوم الثاني ، امتطى الأدهم ثانية . شب الحصان نصف شبة على قائمتيـــه الخلفيتين لكنه لم يقاومه . تكلم أليك ، بلطف ، في اذنه ووقف الأدهم ساكناً . ثم لمسه أليك لمساً خفيفاً على جانبه ، بينما كان يسير – في خطى طويلة متخطرة . وذهبا بعيداً على الشاطىء ثم حاول أليك ان يديره بأن حوّل ثقـله ، ودفع رأس الجواد برفق . استدار الجواد بالتدريج شدد أليك قبضته على عرفه الطويل وضغط ركبتيه بأوثق مما كانتا على جسمه الكبير . وانطلق الجواد من مشيته ، في خبب سريع . نسفت الريح عرفه الى الوراء في وجه الغلام . كان خطو الجواد خطوا لا جهد فيه . وفيما كانا في منتصف طريقهما الى الشاطىء ، استطاع ان يعيد الجواد الى ان يمشي مشياً ، ثم الى الوقوف وقوفاً كاملا . وفي بـــطء حوله الى اليمين ثم الى اليسار ، ثم اداره في دائرة .

مرت ساعات منهكة فيما كان أليك يحاول ان يجعل الأدهم يفهم ما اراده ان يفعل . كانت الشمس تنحدر الى المغيب بسرعة بينما سار بالجواد الى نهاية الشاطىء . استدار ووقف ساكناً . كان هناك ميل من الرمل الابيض النـــاعم يمتد امامهما .

وعلى حين غرة جمح الجواد ، موشكاً ان يلقيه ارضا ثم ازداد سرعة على نحو عجيب . انطلق اسرع فأسرع . انبطح أليك على رقبـــة الجواد وهو يتنفس تنفساً متقطعاً . راح الجواد يرسل الرعد من سنابكـــه منحدراً على الشاطىء . انحدرت على خدي أليك الدموع من الريح . وبعـد ان قطع ثلاثة ارباع الطريق حاول ان يكبح من سرعة الأدهم . اجتذب العرق المتطاير اليه وصرخ (هوا ، يا ادهم) لكن الريح ذهبت بكلماته معها .

قارب الجواد نهاية الشاطىء بخفة وبسرعة وظن أليـــك ان ركوب الأمس المكرب سوف يتكرر . اجتـــذب العرف اليه بأشد وأقوى . وعلى حين غرة

تباطأت خطى الأدهم . رمى أليك ذراعاً حول رقبة الجواد ،تحول الأدهم الى خببه السريع الذي اصبح ابطأ فأبطأ تدريجياً ، حتى استطاع أليك ان يسيطر عليه . اداره وقد غمره الفرح وركبه عابراً التل الى الينبوع . وشربا معاً الماء البارد المنعش.

في الأيام التي تلت ذلك ، صارت سيطرة أليك على الأدهم اعظم فأعظم. وصار يستطيع ان يفعل به ما يشاء تقريباً . كان الغيظ الوحشي للجواد غير المذلل يختفي حين يرى الغلام أليك يركبه طائفاً الجزيرة هابطاً به نحو الشاطىء ، متعجباً من الخطوات الجبارة والسرعة المرعبة. كان أليك دون ان يشعر ،يحسن الفروسية حتى بلغ الدرجة التي اصبح عندها جزءاً من الأدهم فيما كانا ينهبان الارض .

جلس أليك ذات ليلة الى جانب النار في (مخيمه) محدقاً الى الشُعل والسنة النار التي كانت تمس الهواء في جوع . كانت ركبتاه متقاطعتين واستقر عليها كوعاه ، وقد وضع ذقنه في يديه . كان مستغرقاً في التفكير . لقــد غادرت الـ (دريك) بومبي في يوم سبت ، في الخامس عشر من آب .وغرقــت السفينة بعـد اقل من اسبوعين بقليل ، ربما في الثاني من ايلول ، لقد مر عليه وهو على الجزيرة تسعة عشر يوماً بالضبط . انه اذن في الحادي والعشرين من ايلول تقريباً . لا بد ان عائلته تظنه قد مات الان ، شد قبضتيه . عليه ان يجد طريقاً للخلاص. لابد لسفينة من أن تمر بالجزيرة يوماً ما . لقد كان يقف ، كل يوم على قمة التل محدقاً الى البحر ،يأمل ، في جنون ، ان يرى سفينة ما .

فكر أليك بالطقس البارد الذي كان يقترب موعده ، للمرة الاولى كان الحر شديداً للغاية على الجزيرة منذ وصوله بحيث انه لم يخطر له على بال ان الجو سرعان ما سيبرد . ترى هل يوفر له الملجأ حماية كافية ؟ لقد استعمل كــل قطعة من الخشب وقعت عليها عينه ويداه في الجزيرة لكي يحصنه ويعززه ، ولكن هل سيكون ذلك كافياً ؟ كيف سيكون بردها ؟ نظر أليك الى السماء الصافية المضاءة بالنجوم ، من فوقه .

نهض على قدميه وسار نحو التل . رفع الأدهم ــ وهو واقف الى جانب الينبوع ــ رأسه وصفر حين رآه . وتبع أليك في تسلق الى القمة . اكتسحت عينا الغلام البحر

المعتم المتلاطم . كانت امواج يغشاها الرغو الأبيض تندفع الى الساحل ثم تتدحرج الى الشاطىء ، وكان الجواد ايضاً يبدو وكأنه يرقب ــ عيناه محدقتان في الليل ، واذناه منتصبتان الى الامام . مرت ساعة ، ثم استدارا واخذا طريقهما عائدين الى المخيم .

بدأت ريح تهب من الغرب . اوقد أليك النار لليل ثم زحف الى مخبئه متعباً . كان متعباً ، فقد انفق معظم يومه يجمع الطحلب ، تمدد وسرعان ما اغفى .

لم يدر كم من الوقت نام ، لكن صرخة الأدهم الحادة ايقظته على حين غرة . فتح عينيه مغالباً النعاس . كان الهواء قد صار حاراً ، ثم سمع صوتاً مقرقعاً من اعلى ، فرفع رأسه الى الأعلى ، كان سقف الملجأ يشتعل بالنار ، وكانت ألسنة النار تزحف هابطة الى الجوانب . قفز أليك على قدميه واندفع خارجاً . كان اعصار يكتسح الجزيرة وادرك في الحال ما حدث . لقد حملت الريح شرارات من ناره الى سقف الملجأ فأشعلت النار في الخشب اليابس ، بسهولة . تناول قوقعة السلحفاة وركض الى الينبوع . ثم عاد راكضاً ، وقد ملأها ، ورمى الماء على اللهيب .

كان الأدهم يقفز ، بعصبية ، الى جانب الينبوع ومنخراه يرتجفان بينما كان أليك يندفع غادياً رائحاً بقوقعة السلحفاة مليئة بالماء ، محاولاً ان يمنع الحريق عن الانتشار ، لكن النار كانت قد بدأت منذ مدة وسرعان ما أحاطت بالكوخ كله . ملأ الدخان الهواء ، فارغم الولد وحصانه على ان يتقهقرا ابعد فأبعد .

سرعان ما اصيبت الشجرتان القريبتان بالنار . لقد ادرك أليك ان الحريق لا يستطيع ان ينتشر الى ما هو ابعد كثيراً ــ فلقد كانت الجزيرة خاوية من اي وقود لكن السنة النار اصبحت الآن تفترس كل ما تقع عليه العين . كانت تزمجر وترتفع عاليا في الهواء . لم يكن ثمة ما يستطيع أليك ان يفعله . الشيء الوحيد الذي كان يحتاجه حقاً ــ كوخه ــ قد ذهب . ولم يبق لديه شيء من الحطب .

اشتعل الحريق زمناً طويلاً قبل ان يبدأ بالخمود . ثم بدأت الريح ايضاً تضمحل.

جلس أليك بجانب الينبوع ، يراقب السنة النار ، حتى ظهرت الخيوط الأولى من الفجر في السماء . رمش بعينيه الملوثتين بالدخان ، وجرش اسنانه ـ لم يجرد من كل شيء بعد . سيجد طريقة ما لكي يصنع كوخاً ، واذا لم يكن ذلك ممكناً ، فانه حينذاك سينام في الصحراء مثل الأدهم .

قصد الشاطىء مملوء النفس بالعزم والتصميم .فلعل الأمواج تجرف شيئاً من الخشب خلال الليل .

كان الأدهم يخب امامه ، ثم رآه يسخر ويقب على قائمتيه الخلفيتين عندما بلغ قمة التل ، ثم اندفع هابطاً مرة اخرى . اسرع أليك ، ومن كتف التل نظر الى الأسفل ، فرأى سفينة قد القت مراسيها على بعد اربعمائة يارد من الجزيرة .

سمع اصواتاً ، ورأى زورق تجذيف يسحبه خمسة رجال الى الشاطىء ، واندفع وهو غير مصدق ، وهو غير قادر على ان يهتف ، هابطاً التل .

وسمع احد الرجال يهتف للآخر « لقد كنت على صواب يا بات ، فان هناك احداً على هذه الجزيرة» .

وأجاب الآخر بلهجة ايرلندية غليظة : « بالتأكيد . واعرف انني رأيت ناراً تبلغ عنان السماء ! » .

- ٥ -

الإنقــاذ

غشيت عينا أليك ، فلم يستطع ان يرى ، تعثر وهوى ثم نهض على قدميه . ومرة اخرى اندفع الى الامام ، ثم احاطوه بأذرعتهم . زمجر الرجل المسمى بات : « القديس باتريك ، انه مجرد غلام » .

اختلطت الكلمات والتصقت في حلق أليــك فيما نظر الى الازواج الخمسة من العيون ــ المحدقة فيه . ثم عاد له صوته فصرخ : « لقد انقذتنا ! لقد انقذتنا ، يا ادم ، لقد انقذتنا ! ».

نظر البحارة اليه ــ كان منظراً غريباً . شعره الأحمر طويل اشعث ، وجهــه وجسمه داكنان حتى انهم كادوا يحسبونه احد الأهالي ؛ لولا البقايا الممزقــة من ملابسه التي كانت تتعلق مرخاة طليقة عليه .

تقدم احد الرجال ، كان واضحاً من بزته انه قبطان السفينة . وقال وهو يلف ذراعه حول أليك ويهدئه : « كل شيء سيكون على ما يرام يا بني » .

وفي بطء استعاد أليك السيطرة على نفسه . قال : « انني في حالة جيدة الآن ، يا سيدي » . تحلق البحارة حوله . سأل القبطان : « هل هنالك شخص آخر معك على الجزيرة ؟ ».

ـ « الأدهم وحسب ياسيدي » .

نظر الرجال بعضهم الى بعض ، ثم تكلم القبطان ثانية . سأل : « من هو الأدهم يا بني ؟ ».

أجاب أليك « انه حصان يا سيدي » .

ثم روى لهم قصته ـ روى لهم عن العاصفة وغرق السفينة ، والساعات التي قضاها في البحر الصاخب وهو ممسك ، في يأس ، بالحبل المشدود الى رقبة الجواد ، وعن كفاحهما معا تجاه الجوع على الجزيرة ، وتذليله للأدهم ، وعن الحريق الذي احال، تلك الليلة ، ملجأه الى كومة من الرماد . تفصد العرق من جبهته فيما عاش مرة ثانيه ، في الصور اللفظية الحية ، ايام المشقة والعناء العشرين منذ ان غرقت الـ (دريك) .

حين انتهى ، كانت لحظة من الصمت ، ثم تكلم احد الرجال : « هـذا الصبي يتوهم اشياء ، ايها القبطان . ان ما يحتاج اليه هو طعام حار وفراش مريح ! ».

نظر أليك من وجه الى آخر ورأى انهم لم يصدقوه . ملأه الغيظ . لم كانوا في مثل هذا الغباء ؟ اكانت قصته خيالية الى هذه الدرجة ؟ سيثبتها لهم وسيدعو الأدهم . رفع اصابعه الى فمه وصفر : صرخ : (أصغوا ! اصغوا) وقف الرجال ساكنين ، مرت دقيقة ، ثم اخرى ـ لم يكن ليسمع الا الامواج وهي تصطفق على الشاطئ في صمت الجزيرة المروع .

ثم جاء صوت القبطان اليه : « علينا ان نذهب الآن يابني . اننا قد خرجنا عن طريقنا وتخلفنا عن جدول المواعيد » .

اتجهت عينا أليك ـ وهو دائخ ـ من الجزيرة الى السفينة الملقية مرساها ، والدخان يندفع من مدخنتها ، كانت اكبر من الـ (دريك) .

مرة اخرى اقتحم صوت القبطان أفكاره : «نحن ذاهبون الى امريكا الجنوبية ـ ريودي جانيرو ـ محل وقوفنا الأول ، نستطيع ان نأخذك الى هناك ونبرق لأبويك من السفينة انك حي » .

حمله القبطان وبات من الذراعين . وكان الآخرون في الزورق مستعدين للانطلاق . حاول أليك ، في يأس ، ان يجمع افكاره .. لقد كان يغادر الجزيرة . ولسوف يترك الأدهم وراءه . الأدهم — الذي انقذ حياته ! انفلت منهما وراح يركض على الشاطىء .

راقبه البحارة ، وافواههم فاغرة في دهشة ، وهو يتعثر صاعداً التل . رأوه يبلغ القمة ويرفع اصابعه الى فمه . وصل صفيره اليهم — ثم كان صمت .

على حين غرة ، مزق السكون صراخ غير بشري — نداء وحشي مرعب ! وقفوا ساكنين — وهم مخدرون — وخيل اليهم ان الشعرات على مؤخر رقابهم قد تجمدت والتوت . ثم كما لو بسحر ظهر الى جانب الغلام حصان اسود عملاق ، يتاوج عرفه كشعلة . صهل الحصان مرة ثانية ، ورأسه مرتفع عالياً ، واذناه منتصبتان الى امام . واستطاعوا — حتى على هذا البعد — ان يروا انه كان حصاناً جسيماً هائلاً — جواداً وحشياً .

رمى أليك ذراعيه حول رقبة الأدهم ودفن رأسه في عرفه الطويل قال : «نحن مغادران معاً ، يا ادهم — معاً » . في لطف تكلم الى الجواد مهدئاً . بعد بضع دقائق نزل التل وتبعه الحصان في تردد . قب الجواد على قائمتيه الخلفيتين حين شارفوا البحارة ، وقائمتاه تخبطان الهواء . تدافع الرجال الى الزورق ، بات والقبطان وحدهما وقفا حيث كانا . وفي خوف راقبا الأدهم فيما كان يخطو نحوهما ، تراجع الى الوراء . ونظرت عيناه الوحشيتان في قلق عصبي ، من أليك الى مجموعة الرجال . ربت عليه أليك ولاطفه . كان سيره بديعاً ، وكان ، كل بضع خطوات ، يقفز بخفة الى جهة .

على بعد ثلاثين ياردة تقريباً ، وقف أليك . صرخ : « عليك ان تأخذنا معاً ، ايها القبطان ! لا استطيع ان اتركه » . جاء الجواب « انه وحشي للغاية لا نستطيع ان نأخذه ولا نستطيع ان نسوسه » . « انا استطيع ان اسوسه . انظر اليه الآن » . كان الأدهم ساكناً وقد استدار رأسه نحو السفينة كما لو انه فهم ما الذي يحدث

فعلا . كانت ذراع أليك حول رقبته فقال : « لقد انقذ حياتي يا كـابتن ، ولا استطيع ان اتركه » .

استدار القبطان وتحدث مع الرجال الذين في الزورق . ثم هتف : « لاطريقـة لدينا لنقل هذا الشيطان الى ظهر السفينة ، على اية حال » . وتوقف ، ثم قال : « كيف ستخرجه من هناك ؟ » واشار القبطان الى السفينة .

أجاب أليك : « انه يستطيع ان يسبح » .

ثم كان نقاش آخر بين القبطان والبحارة . وحين التفت الـكابتن الى أليك ، كان وجهه الجعد اكثر عبوساً مما كان . رفع قبعته وأمر يـداً ضخمة خلال شعره المشتعل شيباً .

ثم قال : « حسناً يا بني . لقد ربحت ــ ولكن عليك انت ان تخرجه هناك » .

خفق قلب أليك بشدة وهو ينظر الى الجواد . قال : « تعال ايها الأدهم » . سار الى الامام بضع خطوات . تردد الأدهم ثم تبعه . مرة اخرى تحرك أليك قدماً . وفي بطء بلغا الجماعة . ثم توقف الأدهم وارتجف منخراه وقب على قائمتيه الخلفيتين .

هتف أليـك : « انزل في الزورق يا كابتن . تحرك الى المقدمة . سـأمسك بمؤخره حين تنزلونه في الماء » .

أمر القبطان رجاله ان يدفعوا ، وصعـد هو وبات الى الزورق . ثم انتظروا أليك .

التفت أليك الى الأدهم وقال : « هذه فرصتنا يا ادهم . لا تخذلني ! » . لقد ادرك ان الجواد كان عصبياً . فالحصان تعلم ان يثق به ، لكن غرائزه الطبيعية ما زالت تحذر منه ومن الآخرين . وفي لطف تكلم أليك اليه . وفي بطء تراجع الى الوراء ـ رفع الأدهم رأسـه في عصبية ، ثم تبعه ، ولما قارب الغلام الزورق ، توقف الجواد . ظل أليك يرجع الى الوراء حتى تسلق الى الزورق . قال : « جذفوا في بطء » دون ان يدير عينيه عن الحصان .

فيما تحركا مبتعدين عن الشاطىء ، كان أليـك ينادي : « تعال ايها الفتى ــ

الأدهم ». حمحم الجواد ورأسه وذيله منتصبان، واذناه مندفعتان الى امام . قب على قائمتيه الخلفيتين نصف قبة ، ثم خطا الى الماء . وفي لمح البرق كان قد عاد الى الشاطىء . كانت قدمه الامامية تضرب الرمل وترسله متطايراً . لم تبارح عيناه السوداوان الزورق ابداً فيما كان يتحرك في بطء نازلاً الى الماء، ركض مسافة قصيرة هابطاً الشاطىء ، ثم عاد من حيث أتى .

ادرك أليك القتال الرهيب الذي كان الجواد يخوضه مع نفسه . صفر ،فتوقف الأدهم حيث كان واجاب . وفي بطء تحرك الزورق مبتعداً في الماء اكثر مما كان .

على حين غرة شب الجواد عالياً في الجو ، على قائمتيه الخلفيتين ، ثم وثب الى الماء ، هتف أليك « تعال يا ادهم ، تعال ! » .

كان الأدهم في الماء حتى لبانه الضخم الآن ـــ ثم اخذ يسبح ويتقدم بخفة نحو الزورق .

صاح أليك « جذفوا الى السفينة ، يا كابتن » .

ارتفع الرأس الاسود في الماء من خلفه ، والعينان تتبعان أليك ، بصورة مرعبة، فيما تدلى الى نصفه خارج الزورق وهو ينادي الجواد . كان الجسم الضخم الاسود ينزلق خلال الماء وارجله تعمل كأنها الاساطين الكابسة .

سرعان ما بلغوا السفينة . صعد القبطان وثلاثة رجال السلم الى السفينة . بات وحده تخلف مع أليك . صاح القبطان من على كتفه : « أبقه هناك مدة دقيقتين ! »

وصل الأدهم الى زورق التجذيف واستطاع أليك ان يوصل يده الى رأس الجواد . غمغم في اعتزاز « ايها الولد الطيب ! » ثم سمع تحية القبطان من على سطح السفينة . تطلع الى الأعلى فرأى الرافعة التي تستعمل لرفع الحمولة تنزل . كان في نهايتها رباط جرمي الشكل ربط حول الأدهم ليمكن رفعه ، عليه ان يجعل ذلك الرباط حول معدة الجواد !

رأى أليك عيني الجواد تتركانه وتحدقان في خوف في الحبل الهابط على رأسه.

على حين غرة ، سبح مبتعدا عن الزورق . وفي جنون ، ناداه أليك .

حين اصبح الرباط في متناول اليد ، أمسك بات به ــ قبضت اصابعه على الشرائط والبكل .صاح بأليك: « علينا ان نضع هذا حوله بطريقة ما . انها الطريقة الوحيدة ! ».

حاول أليك ، في يأس ، ان يفكر . لا بد ان تكون هناك طريقة ما ، ولا ريب ان الجواد كان قد استدار مرة اخرى ، ناظرا في اتجاههما. لو انه استطاع فقط ان يقترب منه . قال « ناولني الرباط يا بات ، ومزيداً من الحبل » . ناوله بات اياه، وأشار بيده الى الأعلى . سأل « وما انت فاعل ؟ »

لكن أليك لم يبد وكأنه قد سمع سؤاله . قبض على شرائط الرباط بقوة . قال لنفسه : « لقد وصلنا الى هذا الحد » . تسلق على جانب الزورق ودلى نفسه الى الماء . سبح أليك ياردات قليلة نحو الأدهم ، والرباط ممدود من ورائه . ثم توقف وراح يخطو في الماء . نادى بلطف فسبح الجواد نحوه .

اصبح الجواد على مرمى ذراع فلسه أليك ، مبعداً جسمه بصورة كافية لان يتحاشى قوائم الجواد المتحركة . كيف يستطيع ان يجعل الرباط حول الجواد ؟ كان بات يصرخ بالاقتراحات غير ان أليك لم يستطع ان يفكر الا بطريقة واحدة قد تنجح .

غطس في الماء قليلا ويده تنزلق بالتدريج على رقبة الجواد ، منحدرة وأمسك بشرائط الرباط باليد الاخرى بقوة . اخذ نفسا عميقاً وملأ رئتيه بالهواء . ثم غاص في الماء متحركاً الى جانب واحس بالماء يطبق على رأسه . هبط اعمق فأعمق ، مكافحاً جهد امكانه ان يهبط الى عمق يكفي لان يصبح في منجى من قوائم الجواد. ثم سبح مباشرة تحت بطن الأدهم . كان الماء يمخض أبيض من فوق رأسه ، واستطاع ان يلمح السنابك الضاربة في الماء .

حين أحس ، واثقاً ، انه كان في الجانب الآخر ، بدأ يصعد الى الاعلى واصابعه ما تزال تطبق بشدة على الشرائط والرباط المنسحبة من ورائه .

حين بلغ سطح الماء ، وجد الجواد في نفس الوضع وعيناه تبحثان عنه والآن ، كـــان الرباط تحت الأدهم مباشرة . وأشار الى بات ان يقلل الفجوة بين الزورق والحصان . كل ما كان عليه ان يعمله الآن ، هو ان يشد من الرباط حول الجواد بأن يدخل هذه الشرائط في البكل التي على الجانب الآخر! اقترب أليك من الأدهم، سيكون عليه ان يتحمل صدفة ان يرفسه الحصان . بقي قريباً من وســـط الجواد غاية ما امكـنه ان يقترب ، ثم اصبح بجانبه . احس بالمياه تردم على كلا الجانبين . كان الحبل متوتراً الآن ، نازلا في الهواء الى قمة الرافعة على الباخرة .

اصبح الأدهم قلقا،مد أليك يده الى ظهره وحاول يائسا ان يسحب الشرائط خلال البكل . سرى الم ممزق في رجله فيما ضربته احدى سنابك الأدهم . اصبحت رجـله عرجاء . مرت الدقائق فيما راحت اصابعه تعمل في جنون . ثم ادخل الشرائط في البكل وبدأ يشد الرباط شداً اقوى . التهب الجواد غيظاً لما أحس به يشد عليه . جذب أليك جذباً اقوى . ومرة اخرى أحس باحدى سنابك الجواد تضرب رجلهـ لكن لم يكن هناك من أمل . ادخل الشرائط في البكل الى ابعد ما تدخل،تأكد من انها كانت مشدودة بصورة محكمة ، ثم دفع نفسه ، في اعياء ، مبتعدا عن الأدهم .

حين اصبح أليك على بعـــد مأمون ، اشار الى الرجال الذين على السفينة ان يرفعوا . سمع محركاً يبدأ بالعمل ، واصبحت السلسلة الحـــديدية اكثر توتراً . ثم سحب الجواد خلال الماء حتى اصبح بجانب السفينة . كانت اسنانه مشرعة وعيناه مليئتين بالحقد ! ثم بدأت الرافعة ترفعه الى الاعلى . وفي بطء تحرك الأدهم خـــارج الماءـ الى الاعلى والى الاعلى في الهواء ارتفع ، وقوائمه تخبط في جنـــون !

سبح أليك نحو زورق التجديف ؟ وقدمه تتعلق عرجاء من ورائه . وحين بلغه ، مال بات على جانب الزورق وساعده في الصعود اليه . قال : (ولد طيب) .

جعل الألم الذي في رجل أليك رأسه يدور . بدا ان الظلام اخذ يطبق عليه ـ هز رأسه ثم احس بذراع بات الضخمة حول خصره وغاب عن الوعي .

حين استعاد أليك وعيه ، وجد نفسه في الفراش . والى جانبه بات ـ وعلى وجهه تكشيرة عريضة وعيناه الزرقاوان متجعدتان في زواياهما .

غمغم قائلا : «يا الله ، ظننتك ستنام الى الأبد » .

سأله أليك: «ما الوقت يا بات ؟ هل نمت لمـــدة طويلة ؟ » أمر بات يداً ضخمة مليئة بالعقد على شعره وقال : « مدة غير طويلة يا بني — كنت متعباً للغاية ، كما تعلم » . وتوقف ثم قال : « دعني ارى ، لقد التقطناك صباح الثلاثاء ، ونحن في ليلة الاربعاء الآن » .

قال أليك : « يا الله انه نوم لايستهان به ! »

— « ايقظناك مرتين لنعطيك بعض الشوربة ، ولكن اظنك لا تتذكر الآن » . تحرك أليك قليلا واحس بألم يتخلل رجله . اتجهت عيناه الى بات وسأل « هل أوذيت كثيرا ؟ »

— « الطبيب يقول ان لا — وصل الأذى الى العظم لكنه أخذ في البرء بصورة جيدة . ستكون الحال حسنة في ايام قليلة » .

— « الأدهم — ما الذي حدث ؟ »

— « ايها الصبي ، لم اتوقـــع في حياتي ان اری مثيلا له » التمعت عينا بات الزرقاوان ثم قـال : « اي قتال خاض — يحطم الزورق فلقتين ! يا الهي ، اي شيطان كان ! في اللحظة التي لمست فيها سنابكه سطح السفينة اراد ان يقاتل . لو لم يكن الرباط لا يزال حوله ، لـكان قد قتلنا جميعاً ! لقد جمع وضرب برجـــله الى الامام مما لم ار مثيلا له من قبل . رفض ان يقف ساكناً ، كنت تستطيع ان تساعدنا يا بني . رفعتاه في الهواء مرة ثانية ، حتى فارقت قوائمه الارض . ظننت انه قد جن ، وغدا وجهه شيئا رهيب المنظر — وتلك الصرخات ، سأسمعها الى يوم اموت ! »

توقف بات ، وتحرك ، غير مرتاح في مقعده . ثم واصل الكلام :« حدث حين اقترب اليه احد الرفاق اكثر مما ينبغي وضربه ذلـــك الشيطان الأسود في جنبه فسقط عند اقدامنا ، أننا قررنا انه لم يكن ثمة من شيء نفعله غير ان نخنقه . لففنا حبـــالنا حول رقبته وجذبنا حتى كاد ان يهلك . كان ذلك صعبا عليه ، لكن لم

يكن هناك سبيل غير ذلك السبل . حين اوشك ان يفقد الوعي انزلناه مرة ثانية ودبرنا امر تخفيضه . « كانت مهمة ، ايها الفتى ، آمل ان لا اتولاها مرة اخرى ، لدينا بعض الخيول الاخرى والماشية في العنبر ، وهي خائفة كلها منه حتى الموت. انها دار للمجانين الآن واني لأكره ان افكر فيما عسى ان يحدث حين يعود الجواد الى وعيه مرة ثانية . لقد وضعناه في اقوى حظيرة ولكني اتساءل عما اذا كانت تلك الحظيرة كفيلة بان تبقيه في مكانه ! نهض بات من كرسيه وسار الى الجانب الآخر من القمرة » .

كان أليك صامتا ، ثم تكلم في بطء : « انني آسف على انني سببت لكم جميعاً مثل هذا الازعاج . لو انني كنت قادراً وحسب على ان ــ » .

قاطعه بات قائلاً : ــلم اهدف الى جعلك تشعر كذلك ايها الفتى . كنا عالمين ماذا نفعل ، ومن منظر ذلك الجواد ، يبدو انه يستحق ذلك ، سوى اننا نــدرك جميعاً الآن انه يحتاجك انت للسيطرة عليه ــ وكان الله في عون كل من يحاول ذلك سواك ! » .

ــ « اخبر القبطان انني سأروضه واياكم ، ايضاً يا بات ، بطريقة ما » .

ــ « لاشك ، لاشك ، ايها الفتى الصغير ، والآن لدي ما أعمله . حاول ان تحصل على مزيد من النوم وغدا او في اليوم الذي يليه ستنهض على قدميك ثانية » وتوقف وهو في طريقه الى الباب وقال : « اذا اعطيتني عنوانــك ، فاننا نستطيع ان نبرق الى والديك بأنك سليم معافى ، ونخبرهما الى اين نحن ذاهبون » .

ابتسم أليك وكتب عنوانه على قطعة الورق التي ناوله بات اياها .وقال فيما انتهى من الكتابة : « اخبرهما انني سأكون معهما ــ في الحال » .

٦

ملك القطيع

بعد ايام قليلة نهض أليك من فراشه للمرة الاولى . كانت ساقه المصابة تسنده في ضعف وفيما كان يرتدي ملابسه ، سمع طرقة على الباب .

هتف : « ادخل » .

ودخل بات ، كانت في يده برقية . كشر قائلاً : « انها من اهلك » . أخذها أليك وقرأ : « حمداً لله على سلامتك . حولنا نقوداً الى ريو دي جانيرو . اسرع للبيت . مع حبنا . أمك وأبوك » .

صمت للحظة ثم رفع عينيه الى بات وقال : « لن يكون بعيداً الآن » .

ابتسم بات وسأل : « كيف حال قدمك » ؟

اجاب أليك وهو يكمل ارتداء ملابسه « لا بأس بها . كيف حال الادهم ؟ » .

فأجاب بات : « اخشى انه احسن . انه لامر حسن انك قادر على ان تنزل اليه اليوم ! » .

تناول أليك بنطلوناً كبيراً اعطاه اياه احد البحارة . سأله بات :« كبير عليك نوعاً ما . اليس كذلك ؟ » .

« خير من السير دون لباس » قال أليك مبتسماً . انتهى من ارتداء ملابسه وسار يعرج في بطء ، الى الباب . ابتسم وقال : « علي ان اذهب الى الأدهم قبل ان يحطم المكان » . طوى البرقية ووضعها في جيبه بعناية وقال : « شكراً يا بات » . حذره بات قائلاً « لا تبق على قدميك اطول مما ينبغي يا بني » تذكر ما قال الطبيب » .

حين دخل أليك العنبر ، سمع ضرب حوافر الأدهم يعلو على ضوضاء الخيول الأخرى والماشية . جاء الى حظيرة الجواد ورأى رأسه الاسود مرتفعاً فوق الباب . كانت عيناه الواسعتان تدوران في قلق من حوله . ناداه أليك فانحرف رأس الجواد نحوه . ارتجف منخراه وصهل . مد أليك يده وقال « هالو ، يا فتى . هل افتقدتني ؟ » هز الجواد رأسه ورمى انفه نحوه . مر أليك بيده على المنخر الناعم .

اخذ من جيبه تفاحة كان قد ادخرها من فطوره . مد بها يده الى الأدهم الذي اختطفها منها . التقط أليك الحسة والفرشاة من الارض ، وفتح الباب وولج الى الداخل وقال : « اظن ان الامر كان عسيراً عليك نوعاً ما ايها الفتى ، لكن لم يكن لهم من خيار » . قضى الساعة التالية يفرش الأدهم حتى اصبح جسمه يلمع في اشراق .

مرت الايام بسرعة بالنسبة لأليك ، فيما كان يقضي معظم وقته في العنبر مع الأدهم شفيت رجله وسرعان ما اصبح على أحسن ما يكون . حاول القبطان وبات في اول الامر ان يثيرا اهتمامه بالسفينة والرحلة ، لكنهما تخليا عن ذلك اخيراً . كانت الصداقة بين الغلام والجواد شيئاً اصعب من ان يفهماه .

ارتفعت يد القبطان الى ذقنه فيما كان هو وبات يراقبان أليك داخل الحظيرة . قال : « انت تعرف يا بات . انه شيء عجيب سلوك هذين الاثنين معاً ــ حيوان وحشي قاتل كهذا لكنه لطيف كقطيطة حين يكون مع الغلام » .

اومأ بات برأسه وقال : « نعم يا سيدي ، انه لمن اغرب الاشياء التي رأيتها في عمري واني لاتساءل الى اين سيؤدي ذلك بها ؟ » .

بعد خمسة ايام وصلوا الى ريو دي جانيرو . اوفد القبطان لان يذهب مع أليك الى دائرة اللاسلكي حيث يستطيع ان يحصل على النقود التي ارسلتها عائلته اليه، وان يدبر امر ابحاره الى الولايات المتحدة .

فيما كان أليك يمشي مع بات لمح المدينة الاميركية الجنوبية ، فكر كم كان يقترب من بيتهم — كان في المرحلة الاخيرة من سفرته ! بلغا الدائرة ودخلا .

تحدث بات الى الرجل الجالس على المنصة باللغة الاسبانية . بعد بضع دقائق سلمه الرجل قلماً ، ووقع أليك باسمه . ثم سلم اليه بعض المال .

ثم ذهبا الى دائرة البطاقات . وهناك وجدا ان الباخرة التالية الى الولايات المتحدة ستبحر في اليوم التالي . كان لدى أليك من المال ما لا يزيد على ان يكفيه هو والادهم وسجل سفره . تطلع الى بات وقال : « ذلك لن يبقي معي شيئاً للقبطان ولكم انتم » .

اجاب بات « لا تقلق بشأن ذلك ، يا أليك » .

حين عاد الى السفينة اخذ طريقه الى مكتب القبطان . وجده وراء منضدته الضخمة يشتغل في بعض الاوراق امامه . رفع القبطان بصره ، واشار الى الغلام ان يجلس واستمر هو يكتب واخيراً توقف واتكأ على كرسيه . قال : « حسناً يا بني . اتينا الى مفترق الطريقين ، أليس كذلك ؟ » فأجاب أليك : « نعم ياسيدي ، لقد اخذنا ، بات وانا ، النقود وكل شيء كما يرام » . ودس يده في جيبه واخرج « الفكة » من النقود وقال : « لكن هذا هو كل ما بقي — كما ترى يا سيدي حسناً ، ان امي وابي لم يعرفا بشأن الادهم،وان ما ارسلاه كان كافياً لارسالنا كلينا الى نيويورك » .

قاطعه القبطان قائلاً :« والآن انت تفكر بكم انت مدين لنا ، اليس كذلك ؟» فأجاب أليك : « نعم يا سيدي . فلولاكم من المحتمل ان نبقى حتى الآن على الجزيرة » .

نهض القبطان من الكرسي وسار الى جانب أليك . وضع ذراعاً على كتفه

وقال : « لا تقلق بشأننا يا بني ، فنحن لا نتوقع منك شيئاً ــ وانت وذلك الحصان هيأتما لنا من الاثارة ما هو اكثر مما لقيناه هنا منذ سنين ». وابتسم ثم سار نحو الباب، واكمل القبطان قائلاً «عليك ان تقطع بقية الطريق الى البيت في امان . ذلك كل ما نشتهيه » .

فقال أليك وهو يخرج الى سطح المركب : « شكراً يا كابتن » فرد الكابتن قائلاً « لا تدع احداً يسرق ذلك الشيطان المارد منك !

« لن ادع احداً يفعل ذلك يا سيدي ، وشكراً مرة اخرى » .

بعد ظهر اليوم التالي انزل الادهم على لوح العبور . كان قد امسك بلجام الجواد بيد ثابتة ، وظل يتكلم معه ملاطفاً . كانت السفينة التي ستقلها الى الوطن قد وصلت خلال الليل وكانت الآن تحمل بحمولتها . وتجمع بات وبعض البحارة حوله حين وصل الى الرصيف .

ودعوه واحداً بعد الآخر ، حتى لم يبق سوى بات ، فقال : « وداعاً يا أليك ، اعتن بنفسك جيداً » .

أجاب أليك : «هو كذلك . وتذكر يا بات ، لقد وعدت بأن تزورنا كلما جئت الى نيويورك » .

قال بات : « بالتأكيد ، ربما زرتكم يوماً ما ــ حين اتعب من البحر وأمله » وتوقف ثم قال : « ما الذي ستفعل بالادهم حين تصل به الى البيت ؟ »

اجاب أليك : « لا ادري يا بات ، لم افكر في الامر كثيراً ، انني آمل وحسب في ان يسمح لي بابا وماما بأن احتفظ به » .

كان بات ينظر الى الجواد : « ان تركيب جسمه معد للسرعة . اراهن انه يستطيع ان ينهب طريقاً .

سأله أليك : « تعني سباقاً ؟ »

قال بات: « ربما ..قبل سنوات ثمان ، وقبل ان اذهب الى البحر ، دربت بعض

الخيول الجيدة في ايرلندا . انني لم ار منها ما يبدو اكثر استعداداً للجري من هذا الجواد ! »

قال أليك : « بوسعك أن تراهن بآخر بنس لديك على ذلك » .

وومضت في ذهنه الذكريات عن ركوبه مرة بعد مرة ، ركوبا يبهر الانفاس على ظهر الجواد في الجزيرة . ثم قال : « حسناً يا بات ، علي ان اذهب الآن ، لقد اوشكوا ان ينتهوا من التحميل . الى اللقاء » . ومد يده وقبض الآخر عليها مجيباً : « وداعاً يا أليك وحظا سعيداً » .

قال أليك : « وداعاً يا بات » .

قاد أليك الادهم الى الطرف الآخر من الرصيف . كان عدد من الخيول مجتمعاً في زاوية وهي تنتظر دورها لكي تشحن في السفينـــة . كان حمالو الرصيف وعماله يندفعون ، في جيئة وذهاب . وروائح الماشية والفاكهة تمتزج معاً وتملأ الهواء . شب الادهم على قائمتيه الخلفيتين ، وحمحمت الخيول الاخرى مرعوبـــة حين ابصرته . أخذ أليك الجواد الى زاوية بعيـدة . كانت اذناه منتصبتين الى الامـام ، وعيناه تحدقان ، في سيطرة ، في الخيول الاخرى .

قال أليك : « تذكرك بالايام القديمة ، أليس كذلك يا فتى ؟ »

ابتسم وتساءل في نفسه عما عسى ان تقوله امه وابوه حين يريان الادهم .

كان فرحاً الآن بأنهما قد تحولا من المدينة في العام الماضي الى فلاشنغ ، احدى ضواحي نيويورك . كان واثقاً من انه سيستطيـع ان يجد مـكاناً قرب منزله ليبقي الادهم فيه ، شريطة ان تدعه امه وابوه يفعل ذلك .

على حين غرة حمحم الادهم عالياً واحس به أليـــك يرتجف . ومـــلأت الجو حمحمة جوابيـة . راحت الخيول الاخرى يدفع بعضها بعضاً في اضطراب . رأى أليك جواداً كستنائي اللون يقاد نحو الرصيف . كان كبيراً ضخماً ، يـكاد يساوي الادهم في ضخامته .

توقف الرجال الذين يقودونه في الطرف الاقصى من الرصيف ..وشكر أليك الحظ ، على ان هذا الحصان لن يشحن معاً في نفس الزورق مع الأدهم .

جذب الجواد الادهم حبله في قلق ، ورأســه مرتفع في الهواء ، وعيناه لا تبارحان الجواد الكستنائي .

كان للرجل الذي يقوده مشاكله ايضاً . ارتفع الجواد الكستنائي في الهواء . حمحم الادهم وجذب حبله بأشد وأقوى . بدأت الخيول الاخرى تصهل عالياً . حاول أليك ان يهدىء الادهم لكنـــه استطاع ان يرى ان شيئاً وحشياً غريزياً كان يصعـــد في نفسه . وتذكر القصص التي كان عمه قد رواها له عن قطعان الخيـــول الوحشية ــ كيف ان جواداً واحداً كان هو الملك .

قال : « هو ، ايها الفتى الادهم » . كان الجواد ينخر واحدى قوائمه تضرب في الخشب واذناه مبسوطتان على جانب رأسه . ارتفع صفير الجواد الكستنائي عالياً واضحاً . وارتفعت صرخات ونداءات من البحارة . ثم رأى الرجـــل الذي كان يمسك بالجواد الكستنائي يسقط على الارض .وصار الجواد مطلق السراح !

شب الادهم على قائمتيه الخلفيتين ، وكـــان صهيله وحمحمته مرعبتين . .عرف أليك الآن انه لا يستطيع ان يمسكه . لقد انبت الحبل من يديه .اندفع الكستنائي والادهم احدهما نحو الاخر وحوافرهما المرعدة تهز الواح الخشب من تحتها .ضاقت المنافسة بين الجوادين في سرعة ، ثم اصطدما .

ارتفعا عالياً في الهواء ، على قوائمهما الخلفية ، وارجلها الامامية تخبط وتضرب احدهما الاخرى في جنون . اخذ الادهم بمسك الكستنائي وتعلق ، حيث كان ، في وحشيه . وفي غيظ ، راحا يتضاربان ويتوافسان وعرفاهما يتموجان في الهواء . افلت الكستنائي من قبة الادهم ، وللحظة تهيأ للكفاح . ثم هاجم احدهما الآخر كرّة اخرى .

لم يطق أليـــك ان ينظر ــ ولم يستطع ان يصرف بصره . كانت اصوات السنابك وهي تضرب الاجسام وصيحات الرعب من الخيول الأخرى تمتزج مـــع

حمحمات الجوادين الوحشيين اللذين كان يتصارعان في سبيل السيادة .

صرخ الادهم باعلى مما سبق لأليك ان سمعه من قبل ،كانت قوته وتدريبه يغلبان الكستنائي في بطء . اكتسحت حوافره الضارية قوائم الجواد الكستنائي من تحته، فسقط على الرصيف . وارتفع الادهم عالياً في الهواء ثم هبطت سنابكه ، على جسد الجواد الكستنائي . اغمض أليك عينيه . وبعد لحظة ، وصل الى اذنيه صهيل الادهم .

رأى الادهم واقفاً فوق الكستنائي ، وعيناه تتوقدان وجسده ملوث بالدم والرغو الابيض . ما الذي سيفعل بعد ذلك ؟

استدار رأس الادهم صوب مجموعة الخيول المتكأكئة في الزاوية . وفي جلال خطا نحوها . صهلت الخيول في عصبية ، لكن احداً منها لم يتحرك . وفي بطء سار من حولها ، وعيناه تجرحان الهواء في انتصار .

تبعه أليك . سمع اصواتاً تزعق به : « ابتعد ، ايها الفتى ، ابتعد حتى يهدأ » . لكنه ظل يمشي . والتفت الادهم فرآه . وقف الجواد ساكناً . واقترب أليك منه . كان الجسد الاسود الضخم ممزقاً يتصبب دما ، لكن رأسه كان عالياً ، وعرفه يتسرح مع الريح . راقب أليك عينيه — لقد عرف الكثير من عيني الجواد . رأى قليلاً من الوحشية يتركها . توقف منخراه عن الارتجاف . وتحدث أليك اليه في رقه .

مرت دقيقة ، ثم اخرى . التقط الحبل الذي ما زال مشدوداً بلجام الادهم . سحب الارتخاء ثم جذب في لطف . استدار رأس الجواد الادهم نحوه . تردد لحظة ثم استدار نحو الخيول الأخرى . انتظر أليك صابراً بينما كان الجواد يتفحص القطيع . ثم نظر أليك مرة اخرى . بدا لأليك كما لو انه كان يحاول أن يقر على رأي بينهما . اخذ بضع خطوات اخرى نحو الخيول — ثم استدار وسار في هدوء نحو الغلام .

وارتفعت بين البحارة صيحات الدهشة والعجب . حاول أليك ان يقود الجواد

نحو عـــارضة العبور . وقف الادهم وادار رأسه مرة اخرى نحو الخيـول . ظل يحدق فيها مدى دقيقة وصفرت صفارة الباخرة . فجذب أليك الجواد بأشد قليلاً من ذي قبل . قال : « تعال ايها الفتى الأدهم » . مرت دقيقـة اخرى ، ثم التفت الجواد مرة ثانية .

تعثر البحارة وسقطوا وهم يتقدمون . وحين بلغوا عارضـة العبور ، نظر أليك وراء كتفه فرأى حشداً يتجمع حول الجواد الكستنائي الذي كان يرتفع على قدميه في بطء . كان الرجـــل يمر بيديه على قوائم الجواد . ثم سار به ــ بدا الكستنائي وكأنه غاية ما يرام . كان أليك فرحاً ــ فرغم ان الكستنائي هو الذي بدأ القتال ، فلو ان الادهم كان قد آذاه ايذاء خطيراً لـكان معنى ذلـك التخلف والانتظار .

صعدوا العارضة الى السفينة . ونادى أليك بحار اشجع من باقي زملائه : « اتبعني ايها الولد ــ من هذا الطريق » . وقاده الى حظيرة على شكل صندوق ، ثم ابتعد مسافة يكون منها في مأمن .

قاد أليك الأدهم الى لوحة العبور ، ونزع اللجام ، ثم مهد فراش الجواد . ملأ سطلاً بالماء ، وجلب اليه البحار قارورة من المرهم . كان فتياً ، لا يكبر أليك الا قليلاً ، وكان وجهه مليئاً بالدهشة والعجب . قال « لم ار في حياتي شيئاً كهذا » . اجاب أليك « ولا انا رأيت » . تحسس قوائم الادهم وجانبيه وقـال : « سيكون فضلا منك ان استطعت ان تأتيني ببعض الخرق النظيفة . علي ان اعنى بهذه الجراح والكدمات » .

اجاب الفتى البحار : « بالتأكيد . سنبحر خلال دقائق قليـلة ، لكني سأعود بها بأسرع ما استطيع » .

-٧-

إلى البيت

سمع أليك الباخرة تصفر ثلاث صفرات قصيرة . جاء آخر حصان الى العنبر وهو منكمش في عصبية حين مر بحظيرة الادهم . مد الجواد رأسه الضخم من على الباب ، واذناه منتصبتان الى الامام وعيناه تتجولان من حظيرة الى حظيرة .

اضطرب الزورق حين بدأت المحركات دورانها . وانحنى أليك ليبلل الخرقة التي في يده . فكر ان : « لن يطول الوقت الآن » . وفي عناية نظف جرحاً عميقاً في جانب الادهم حيث ضربه الجواد الكستنائي . احس الجواد يرتجف حين دخل الماء الى الجرح . كان الجواد ضخماً قوياً اتراه سيكون اصعب مراساً من ان يقدر عليه ؟ وماذا ستقول امه وابوه حين يريانه ؟ لقد فكر في مكان يحفظه فيه . على بعد عمارتين من بيتهم في « فلوشنغ » كانت مزرعة قديمة مخربة . كان البيت الكبير ذو اللون البني يستعمل الآن لايواء السياح . ولكن ... كان في مؤخرته عنبر قديم ، في امس الحاجة الى تعمير ، ومساحة فدان من الارض . مكان مثالي لايواء الادهم .

لو ان والديه يسمحان له بأن يحتفظ بالجواد ، فسيصلح العنبر بنفسه ، ويجد لنفسه عملا بعد انتهاء وقت المدرسة ليستطيع دفع نفقات طعامه .

فرك أليك الجرح بالمرهم في رفق . ادار الادهم رأسه ، فقال أليك : « كان

يوما عصيبا للغاية . اليس كذلك ايها الفتى ؟ » هز الجواد رأسه ، وحبك انفه في صدر الغلام ، دافعا اياه الى الحائط . ضحك أليك والتقط السطل والخرق .

اغلق الحظيرة وراءه . ولم تجف منخرا الجواد وتبعت عيناه أليك وهو يتراجع في بطء الى الوراء . قال أليك : « خذ الامر في يسر الآن ايها الفتى الادهم . علي ان ارى كيف هو حال فراشي ! » .

جمجم الادهم حين بدأ أليك يرتقي الدرج . ارتفع صوت اصطدام عال فيما خرقت حوافر الجواد جانب الاصطبل . عاد أليك مسرعا . قال : « هو ... ايها الفتى . هو ... » مد الادهم أنفه نحوه ، فوضع يده على الجلد الرقيق .

جاء السواس من الحظائر الاخرى راكضين نحوهما . سأل احدهم : « أكل شيء على ما يرام ؟ » .

فأجاب أليك : « نعم ، انه متهيج قليلا .. وحسب » .

قالوا : « انه مخلوق وضيع عليك ان تراقبه » .

فقال أليك: « انه لا يحب ان يترك وحيدا . ولهذا فسأظل على مقربة منه .. كما اظن » .

عاد السواس الى اعمالهم . ونظر أليك الى الجواد وقال : « ايها الادهم . انت كثير المشاكل » . وسار الى جانب الحظيرة ودفع اللوحة المكسورة معيدا اياها الى موضعها وتلفت حواليه في العنبر فلحظ ابن السواس قد فتحوا الاسرة السفرية . وكانوا يضعونها الى جانب الحظيرة . عثر أليك على واحد منها وفعل نفس ما فعلوا . قال : « يبدو كما لو انني سأرقد هنا اردت ذلك ام لم ارده » .

بدأ أليك يتقلب على سريره تلك الليلة ، بينما الباخرة تشق طريقها خلل البحار الدائبة الثقيلة . كانت كل موجة تبدو كما لو ان القدر اراد لها ان تدحرجه من فراشه . كان الامر صعبا على الحيوان ايضا ، واحال ضربها الحوافر العنبر الى دار المجانين . كان في وسع أليك ان يسمع الادهم وهو يضرب الارض في حظيرته .

كان الجو ما يزال عكرا في الصباح التالي واستمر كذلك طوال النهار .

بدأت الخيول تمرض وظل السواس في شغل دائم . مساعـد القبطان الاول وحده ، الذي قام بدور الطبيب على السفينة ، هو الذي نزل اليه وحاول ان يجعله يعود الى قمرته لكنه ، وهو المريض ادرك انه لن يستطيع ان يترك الادهم .

بعد اصبحة ثلاثة ، قام أليك على قدميـه في وهن وسار حتى اتى الجواد . كانت السفينة قد كفت عن التأرجح . قال : « هالو ايها الفتى . ارى انك نحيف كما كنت على الدوام » . انتصبت اذنا الجواد الى الامام وهز رأسه .

اقبل سائس وسأل : « كيف تشعر ايها الولد » .

اجاب أليك : « ضعيف قليلا . لكني ، فيما عدا ذلك ، على احسن ما يرام » .

وتوقف ثم سأل : « كم سيطول بنا الوقت قبل ان نصل نيويورك ؟ » .

اجـاب السائس « حوالي يومين آخرين ، ما لم نصادف جواً سيئاًمرة اخرى ، لكن ... أظن اننا قد نلنا نصيبنا من ذلك » .

قال أليك وهو يعني ما يقول : « ارجو ذلك » .

بعـد يومـين صفرت السفينة لدائرة الحجر الصحي ، حيث كـانت ستفتش قبل مرورها الى ميناء نيويورك . دخـل مفتشو الحجر الصحي الى العنبر وذهبوا من حظيرة الى حظيرة يفحصون الخيول . لاحظ أليك ان كل سائس يبرز اوراقا ويريها للضابط المسؤول . ماذا سيفعل حين يأتون اليه ؟ لعل الافضل ان يذهب اليهم ويوضح لهم انه لا يملك اية اوراق . سار أليك نحو الضابـط . وفجأة اوقفته حمحمة الادهم في طريقه . التفت ورأى ان واحدا من المفتشين قد عبر العنبر وصار يفتح باب الجواد . هتف أليك « حذرك ! » ، لكن صيحته كانت بعـد فوات الاوان .. كان الجواد قد شب على قائمتيه الخلفيتين وراح يضرب الرجل بقائمتيه الاماميتين . فارسله طائرا حتى صدم الباب .

اندفع أليك الى الحظيرة ورمى نفسـه بين الجواد وبين المفتش . لم تفارق عينا الادهم المذعورتان الرجـل المطروح على الارض . وقف المفتش ، وهو يغمغم في

غضب ، على قدميه . فأحس أليك بعبء يزاح عنه . ان كان غاضبا فلا يمكن ان يكون قد أصيب بأذى كبير . كان بنطلونه ممزقا حيث ضربه الادهم ، لكن لم تكن ثمة دلائل اخرى على الاذى .

جاء المفتشون الآخرون راكضين ، وسأل الضابط المسؤول : « ماذا يجري هنا ؟ » .

قال الرجل : « هذا الحصان هاجمني ياسيدي . انه حيوان خطر » . اقترب الضابط من الباب وسأل أليك الذي كان يمسك بزمام الأدهم بقوة « ما عندك لتقوله بشأنه ؟ »

نظر أليك الى الرجل الطويل ذي الملامح الحادة ، وتساءل في نفسه عما اذا كان يستطيع ان يمنع الأدهم من دخول البلاد . شعر بالسقم بعد هذه المخاطرة . انهم لن يستطيعوا ان يفعلوا ذلك . قابل عيني الضابط بعينيه وقال : « انا متأسف ياسيدي لما حدث واني لأعرف انه ما كان ليفعل ما فعل لو لم يدخل مفتشك الى الاصطبل بتلك الطريقة . انت ترى انه غير معتاد على الناس يا سيدي . لم يسبق لاحد ان اقترب منه عداي انا » .

تنقلت عينا الضابط على الجواد . ثم سار نحو الباب وذهب الى الداخل . شدد أليك قبضته على اللجام وقال : « لا بأس ايها الأدهم . هو ... يافتى » . تحرك الجواد في قلق .

سار الضابط في بطء من حوله وسأل : « انه جواد حقاً . اهو لك ؟ » اجاب أليك : « نعم ياسيدي » .

ـ « اجميع اوراقك كاملة ؟ »

ـ « ليست لدي اية اوراق يا سيدي ولكن الربان أخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام . لقد غرقت سفينتنا و .. » . قال الضابط مقاطعاً : « اوه ، انت الشخص اذن . لقد تلقينا أوامر بشأنك . انك ستدخل البلد » وابتسم ثم قال : « لقد وجدت في سفرتك ما يكفيك من مشاق ولا حاجة الى جعلها أشق

مما هي .».

التفت إلى المفتش الذي شمر بنطلونه عن ساقيه وراح يغسل جرحاً عميقـاً فسأله : « كيف حال رجلك يا ساندي ؟ » اجاب : « حسنة كما أظن ياسيدي ، لكـن ذلك الحصان أوحش جواد وقعت عليه عيناي هنا خلال أربعة عشر عاماً » . فابتسم الضابط وقال : « أظنه أحسن ما رأيت أيضاً » . ثم التفت إلى أليك وقال : « لا بد أن لديك قصة رائعة يا ولدي ــ غرق السفينة ونجاتك أنت وحيوان كهذا ».

أجاب أليك : «وهو كذلك ، ياسيدي . لقد كنا كلانا على ظهر الـ (دريك) حين غرقت ، ونحن ، كما استنتجت مما سمعت ، الناجيان الوحيدان » . وتوقف ثم تابع كلامه : « انهـا قصة طويلة للغاية يا سيدي » . والتفت الى الجواد وقال : « ما رأيك فيها ، أيها الرجل » ؟ فنخر الادهم .

بعد ان ثبتت سلامة السفينة صحيا ، غادرت منطقة الحجر الصحي وسارت خلال المضايق نحو الميناء. حدق أليك في لهفة خلال الكوة التي في جانب ــ الأدهم . قصلب حلقومه حين ارتفع خط السماء من البحر . ها هو ذا يعود الى الوطن ! وبأية طريقة مختلفة عن هذه غادر البيت منذ خمسة أشهر ! لقد بدت اشبه ماتكون بخمسة اعوام !

احس أليك بأنفاس الأدهم الثقيلة على ذراعه . التفت وامر يـــده على المنخرين الرقيقين قال : « حسنا ، ايها الأدهم ، لقد عدنا الى الوطن ! »

استطاع ان يرى الناحنتين الصغيرتين تدفعان الشاحنة الكبيرة دون جهـــد . كانت الأبنية تشمخ اعلى فأعلى نحو السماء . ومرت بهم سفينة اكبر ، تقصد المحيـــط . وزحفت ناقلات نفـط وزوارق حمل مسطحة بعربات قطار . وفي المـــدى ، رأى أليك تمثال الحرية . امتلأت عيناه بالدموع . ما خطبه ؟ كان اكبر من ان يصبح عاطفياً . لكن حنجرته تصلبت وراح يبتلع ريقـــه بصعوبة حينما اقتربوا من رمز الحرية والوطن !

شقت عبارة كهربائية طريقها خلال الماء الى جانب السفينة وسطوحها مزدحمة

بالناس . كانت الشمس تغرق وراء الابنية على شاطئ جرسي . راح الأدهم يشم يد أليك . فالتفت هذا وابتسم ثم قال : « دقائق قليلة وحسب ، ايها الأدهم » مد يده الى جيبه واخرج قطعتين من السكر وورقة برقية . اخـــذ الجواد السكر من يده . فتح أليك قطعة الورق الصفراء وقرأها مرة اخرى : « سنكون على رصيف الميناء . نكاد لا نستطيع صبراً مع الحب . ماما وبابا » .

كانت الباخرة الآن مقـــابل بروكلين حيث سترسو . دار زورقا السحب بالسفينه ثم توجها نحو الشاطىء . كان العنبر مليئا بالضوضاء ، وتهيأ البحارة لافراغ حمولة السفينة . واصبح الأدهم قلقا .

ثم انزلقت السفينة الى جانب رصيف الميناء . سمع أليـــك صوت احتـــكاك السفينة برصيف الميناء وصلصلت سلسلة المرساة وهي تنحدر الى القعر . بعد دقائق قليله فتحت ابواب العنبر .

بدأ البحارة ينزلون الخيول الى البر . وبسبب سمعة الأدهم ، تركـــوه ينتظر حتى انزلت جميع الخيول الأخرى . ثم أشار احد البحارة اليه فقال (حسناً) وابتسم أليك فيما رآه يتحرك بسرعة متنحياً عن الطريق .

قاد الأدهم خارج حظيرته ، ويده مشدودة على اللجام .

ارتفع رأس الجواد عالياً ، كان يعرف ان شيئاً غير عادي سيحدث . وفي خفة خطر نحو الباب . كان رصيف الميناء مزدحماً بالناس . وقد هبط الغسق واضيئت الأنوار نحو الأدهم ، اذ لم تسبق له رؤية شيء كهذا . شب على قائمتيه الخلفيتين ، لكن أليك انزله من شبوبه . كانت ليلة باردة من ليالي الخريف . والنسيم يهب خلال الباب المشرع ، يسوط عرف الجواد . تحركت عيناه الواسعتان في عصبية ، فيما اطلق صفيراً حاداً قصيراً . هزّ رأسه وحمحم بصوت أعلى .

هبط على رصيف الميناء سكون مفاجىء ، واتجهت العيون كلهـــا نحو الأدهم عندما وقف بالباب . وفي بطء قاده أليك نحو لوحة العبور . احس بجسده الأسود يضطرب فيما اصبحت ضوضاء المدينة اعلى فأعلى ، بعد ان هدأ رصيف الميناء .

وفي منتصف طريق الهبوط ارتفع الأدهم عالياً في الفضاء . فأنزله أليك . وهرع ثلاثة من البحـــارة يرتقون لوحة العبور لمساعدته . رآهم الأدهم فارتفع ثانية ، وقائمتـــاه الأماميتان تخبطان الهواء . فوقف الرجال . وتصبب العرق من جسد الجواد .

عرف أليك انه اخذ يفقد السيطرة عليه . وشدّد قبضته على اللجام بكلتا يديه . أقبلت سيارة نقل على رصيف الميناء . وضوءاها الأماميان البـــاهران — يقتربان منهم . حمحم الأدهم وانتصب مرة اخرى . ورُفع أليك من الأرض وهو ما يزال قابضاً على اللجام . طوح به الجواد الى جانب فأفلتت قبضته اللجام وسقط الى لوحة العبور . وعالياً فوق جسمه رأى السنبكتين الخابطتين . ومزقت السكون صرخات من المشاهدين .

هبط الأدهم ، فاستقرت قائمتاه الأماميتان على جانب رأس أليك ! نخر واستدار مختفياً في العنبر . ظل أليك منطرحاً ساكناً ، وقد داخ للحظة . ثم احس بيدين تساعدانه على الوقوف على قدميه .

سأله احد الرجال : « أأنت بخير » ؟

اجاب أليك : « انني بخير . لقد اصبت بضعضعة بسيطة » .

— « لا بد انك تريد ذلك ! انه حيوان وحشي » !

اقبل شرطي يركض وبندقية في يده . زحف الخوف على الأدهم الى قلب أليك . نظر الى الضابط وقال : « لا تطلق النار عليه » !

اجاب الشرطي : « لن افعل ذلك ما لم يعرض حياة اخرى للخطر » .

عادت قوة أليك في بطء اليه . قال: « سآخذه » .

فقال الضابط : « سآتي معك » . وتراجع الرجال الآخرون من لوحة العبور .

قال أليك : « ربما استطعت ان افعل ذلـــك بصورة احسن وانا وحـــدي ياسيدي » .

— « ربما ... لكني سأرافقك خوفاً من ... » .

دخل أليك العنبر قبل الشرطي . رأى الحصان واقفـاً الى جانب حظيرته . اتجهت عيناه المذعورتان الى الصبي .

قال أليك : « ما الأمر ، يا فتى ؟ أنيويورك أكثر ممـا تطيق ؟ » وفي حذر تحرك الى أمام ووضع يده على رقبة الجواد .

تحرك الأدهم بعصبية فقال أليك : « طبعاً هي جديدة عليك ، ولكنها في الحق لا بأس بها بعد أن تتعود عليها » .

حكّ الجواد أنفه في صدر أليك ، فوضع أليك يـده في جيبه وأخرج بعض السكر واعطاه اياه . انتظر حتى فارقت النظرة الوحشية عيني الأدهم .

ثم قبض على اللجام وقاد الأدهم نحو الباب . فتنحى الشرطي الى جانب . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين مرة أخرى حين رأى الأضواء والحشد من الناس ، من جديد . أداره أليك على عجل وعاد به الى الحظيرة .

تكلم الضابط قائلاً : « اخلع سترتك ايها الولد ، واعصب بها عينيه » . قال أليك : « فكرة طيبة » وبسرعة خلع السترة . وقاد الجواد الى غرفـة خشبية وصعد عليها ليبلغ عينيه طوى السترة ووضعها عليهما ثم شده من الخلف . حرك الجواد رأسه وحاول ان يطوح بالسترة . وشب على قائمتيه الخلفيتين نصف شبّة ولكن يد أليك وصوته المَطمئنين هدأا منه .

ومرة أخرى قاده نحو الباب . حين ظهرا في اطار البـاب ، هتف الجمهور . وبعناية قاد أليك الجواد ونزل به على خشبة العبور . رأى أذني الجواد تنتصبان الى امام ثم تلتصقان على جانبي رأسه . وثقل تنفسه . وهزّ رأسه وشب مرةأخرى على قائمتيه الخلفيتين نصف شبّة فوضع أليك كلتا يديه على اللجام ، لكنه وقد تذكر كيف طوّح به الجواد الى الجو من قبل ، سحب يده اليسرى ووضعها على الحبل المتصل باللجام . نظر الى تحت . ولاح له أن آلافاً من الأوجه المرفوعـة صوبه تراقبها .

في منتصف طريق الهبوط ، شب الأدهم مرة أخرى على قائمتيه الخلفيتين .

ومره أخرى أحس أليك بنفسه وقد بدأ يترك لوحة العبور .

فلت اللجام وترك الحبل ينزلق خلال يديه .

ارتفع الجواد عاليا ثم هبط . تحاشى أليك السنبكتين الأماميتين . وقبض ــ وهو مصفر الوجه ــ على الحبل مرة اخرى ، ثم قاد الأدهم هابطاً به لوحة العبور . وبعد مسافة قصيرة ، اصبحا على رصيف الميناء . تنحى الجمهور بسرعة ليكون بعيدا عن طريق الجواد .

كان منظر الأدهم جميلا . فهو يتحرك بخفة على قوائمه . يهز برأسه محاولا ان يخلص نفسه من العصابة . كان عرفه يتموج في الريح . وسترة أليك البيضاء على عينيه تتناقض تناقضاً صارخا وجسده الأسود الفاحم . فكر أليك : « لقد اخذ يتعود على الضوضاء » ، لكنه لم يرخ قبضته الممسكة بلجام الجواد .

على حين غرة سمع صوت أبيه : « أليك ، أليك ــ هانحن هنا » فالتفت ورأى امه واباه واقفين على حافة الجمهور ــ كان ابوه طويلا نحيفا كما كان دائما ، بينما كانت امه قصيرة ممتلئة الجسم كما كانت أبدا . وجهاهما في مثل بياض السترة حول عيني الأدهم . تحرك أليك نحوهما ، ثم تذكر الجواد . رأى امه تقبض على ذراع ابيه . ووقف على مسافة قصيرة منهما .

كان كل ما قاله : « هالو ، ماما وبابا » رغم ان قلبه كان يستطيع ان يرى امه تبكي وجوى أليك اليها ، وهو قابض على طرف الحبل ليظل ممسكا بالأدهم ، ورمى ذراعيه حولهما معاً .

قال ابوه بعد دقائق قليلة : « انه لشيء جميل ان نراك يا أليك » . فأجاب أليك : « انه لشيء جميل ان اعود الى الوطن » . فابتسمت امه .

تحرك الأدهم ، في قلق ، الى جانبه . نظر أليك اليه ، ثم الى ابويه . قال باعتزاز « انه لي » .

قال ابوه : « لقد كنت اخشى ذلك » . اما امه فقد انعقد لسانها دهشة . رأى عيني ابيه تتفحصان الجواد . لقد ركب كثيراً من الجياد في زمنه ومنه تعلم

أليك ، وهو طفل صغير انه يحب الخيل . لم يقل شيئا ، لكن أليك لم يغب عنه انه يتأمل الأدهم ويقيمه . وعندها قال أليـــك : « سأروي لكما القصة كاملة انني مدين بحياتي له » .

وحين استعادت أمه السيطرة على نفسها ، قالت : « لكنه خطر للغاية يا بني ، لقد رماك ارضا » غير انها توقفت حائرة حين قابلت النظرة الهادئة الواثقة في عيني الفتى الممسك بالحصان . أهذا حقاً ابنها ، الفتى الذي غادرهــا قبل خمسة اشهر وحسب ؟! سأله ابوه قائلا : « ما الذي ستفعل به ، وقد حصلت عليه ؟ ».

اجاب أليك : « لا ادري يا ابي ، لكنني اعرف اين سأضعه ! » هكذا انصبت الكلمات من فمه .

كان يعلم ان عليه ان يقنع والديه الآن ، في هذه اللحظة ، بصورة نهائية ، بأن الأدهم يجب ان يكون له ــ ليحتفظ به . قال : « هناك ذلك الجرن القديم في موضع هاليران القديم في الشارع الذي يعيش فيه آل ديلي الآن . انا واثق من نهم سيدعونني أبقيه هنــاك لقاء لا شيء تقريباً ، وسيكون له فدان كامل من لارض يرتع فيه ! سأعمل ، يا أبي بعد المدرســة ، لأحصل على نقود انفقها على اطعامه . دعني احتفظ به ، أليس كذلك ؟

قال ابوه بهــدوء : « سنرى يابني » . وابتسم لأم أليك مطمئنا ثم واصل الكلام قائلا: «سنأخذه الى البيتــوترى ماتكون النتيجة . تذكر وحسبيا أليك، انك انت المسؤول عنه ــ من واجبك ان تعتني به وان تطعمه . على عاتقك مهمة كبيرة . سأدبر امر وصوله الى فلوشنغ ، وبعد ذلك سيوكل امره اليك ! ».

شق شاب طريقه ، بحــذر ، حول الأدهم واتجه اليهم . كان يحمل آلة تصوير في احدى يديه وبالاخرى رفع قبعته كاشفا عن شعر في مثل سواد جسم الجواد.قال لأليك : « اسمح لي . انا جو روسو من صحيفة الديلي تلغراف . اود ان التقط بضع صور واسجل قصتك . لقــد علمت انك الناجي الوحيد من ركاب الـ « دريك » التي غرقت قرب ساحل البرتغال » .

اشار أليك الى الأدهم وقال : « لقد كان هو هناك ايضاً » . غمغم روسيو : « صحيح هذه قصة بحق . تعني ان ذلك الحصان كان في السفينة ، ايضاً ؟ » اجاب أليــك : « نعم . لقد كان بالتأكيد » سأل جو ، وهو مهتم بالموضوع اهتماماً صادقاً : « ما الذي حدث حين غرقت السفينة ؟ » وكتب في سرعة ، بقلمه .

اجاب أليك : « ان ذلك اطول من ان اخبرك به الآن . وبالاضافة فهناك الكثير مما يجب ان اعمله ... » .

واستــدار الى الأدهم الذي كانت عيناه تتحركان بعصبية من جانب الى جانب .

قال الصحفي الشاب جو بكــل اصرار : « دعني اساعدك عليه . ستحتاج الى سيارة نقــل لتصل به الى البيت ، واعتقد انني اعرف اين اعثر على سيارة نقل . وبعد ذلك ، تستطيع ان تعطيني القصة كاملة ! » .

قال أليك ، وهو عتق لأية مساعدة يلقاها في مشكلته المباشرة : « ايصال الأدهم الى البيت .. حسنا » .

-٨-

نابليون

بعد ساعة ، قاد أليك الأدهم الى سيارة شحن صغيرة مغطاة كان جو روسو قد وفّرها لتحمله الى البيت . كانت امه قد ذهبت قبله ، تسوق سيارة العائلة . وقد قالت : « لن تجعلني اركب مع ذلك الحصان »اوجلس ابوه في المقدمةمع جو روسو والسائق . ووقف أليك ــ وهو يخشى ان يترك الأدهم وحيداً ــ في المؤخرة معه . نخر الجواد حــين بدأت السيارة تتحرك في الشارع . وعينـاه ما تزالان معصوبتين بالسترة .

كانت سيارة الأجرة تئز مارة بهم ، وأبواقهـا تنفخ بصوت عال . وكانت سيارات الشحن تطقطق سائرة نحو السفينة لتنقل حمولتها ، كان الرجال يصرخون في الشوارع . والباعة المتجولون يصيحون بأسعارهم . ضوضاء ، ضوضاء ، ضوضاء . هكذا كان دخول الأدهم الى نيويورك .

كانت يد أليك مشدودة بقوة على اللجام . ومن النافذة الصغيرة وراء ظهر السائق كان يرى البنايات بأضوائها المتألقة . تراءت نيويورك غريبة عليه هو ايضاً ، فقد نسيها . تحرك الجواد في عدم ارتياح ، وانتفض رأسه في محـاولة للتخلص من السترة . قال أليك : « هوا . . . يا ولد » ربت على ظهر الجواد الأسود الناعم . وانحدروا في شوارع المدينة .

ظل والد أليك ينظر حوله ، كما لو لم يكن قادراً على انتزاع عينيه من أليك والجواد وقد ارتفع رأسه عالياً في الهواء فوق الغلام . في بطء راحت سيارة النقل تتحرك داخلة في ازدحام المرور وخارجة منه . زأر قطار عالٍ قريباً منهم . فصفر الجواد وشب نصف شبّة ، موشكاً ان يصطدم بسقف السيارة . وجذبه أليك الى اسفل .

خف ازدحام المرور تدريجياً وتحركوا مبتعدين عن القسم التجاري من المدينة واتجهوا نحو فلوشنغ . لقد انتهى الاسوأ الآن ، وكان الأدهم هادئاً . واصبح أليك حراً بأن يفكر في بهجته حين يمتطي الجواد في ذلك الحقل الكبير قرب العنبر لو انهم سمحوا له بابقاء الجواد هناك !

ثم راحت السيارة تسير في شارع فلوشنغ الرئيسي . حدق أليك من النافذة بشوق ولهفة . كان جميلاً ان يرى المخازن والمباني المألوفة لديه ، مرة اخرى . وبعد عمارتين أخريين ، انعطفوا الى شارع فرعي . وبعد عشر دقائق اخرى رأى أليك بيته على الجهة اليمنى . التفت ابوه وابتسم له من خلال النافذة . فرد أليك بابتسامة .

وتدحرجت السيارة مجتازة البيت منطلقة في الشارع الى منزل هاليران العتيق. وانعطفت السيارة الى طريق لمرور السيارات مجتازة لافتــة كبيرة كتب عليها «للسواح» . ووقفت امام الباب .

هبط والد أليك وسار الى جانب سيارة النقل وقال : «حسناً يا أ بيك . ان الأمر موكول اليــك الآن . الاحسن ان تدخل وترى ما اذا كانت المسز «ديلي ستسمح لك بابقائه في العنبر» .

افلت أليــك لجام الأدهم قائلا : «على مهلك يا فتى» . ثم قفز من السيارة وصعـد عتبات المنزل وقرع جرس الباب . كان آل ديلي قد انتقلوا الى منزل هاليران العتيق قبل ان يذهب أليــك الى الهند بوقت قصير ، ولهذا لم يكن على معرفة وثيقة بالمسز ديلي التي جاءت الآن الى الباب . كـانت امرأة ضخمة مريحة

للنظر متينة البنيان . قال أليك : « هلو يا مسز ديلي . تتذكرينني ؟ ».

اجابت : « لم لا ؟ انت الفتى من ذلك الشارع ، لكنهم اخبروني ــ » وتوقفت في حيرة ظاهرة ثم استأنفت القول : « اخبروني انك غرقت حــين غرقت سفينتك » .

قال أليك : « لقد نجونا . وما وصلت البيت الا الليلة » .

قالت : «لابد ان اباك وامك شاكران الله غاية الشكر . ولا ريب انك عانيت وقتاً عصيبا ! » .

ــ « لقــد كان عصيباً يا مسز ديلي ــ ولكن ما رغبت في ان اراك بشأنه يا مسز ديلي هو انني ... ، قد اتيت بحصان معي نجونا معاً » .

غمغمت قائلة : « حصان ؟ »

قال أليك : « نعم . وقد اخبرني ابي انني استطيع الأحتفاظ به ، اذا وجدت مكاناً لبقائه اود ان اضعه في احدى الحظائر في عنبرك » واضاف « سأدفع لك لقاء ذلك » .

قالت المسز ديلي : « لكن العنبر ليس في حالة جيدة يا ولدي » . وابتسمت ثم واصلت القول : « كما ان لدينا نزيلاً في الحظيرة الجيدة الوحيدة ! » ــ « نزيل ؟ »

نعم ، انه توني البائع المتجول ، يحتفظ بنابليون العجوز هناك الان سأل . أليك : « نابليون ؟ هل تعنين الحصــان الأشهب العجوز الذي كان عنده عــلى الدوام ؟».

ــ « نعــم ، ذلك هو ــ يبدو لي انه سيموت في اي يوم الآن ... وحينذاك ستصبح قادراً على استعمال حظيرته !».

قال أليك وقد بدأ يشعر باليأس : « لكنني لا اعرف اي مكان آخر استطيع ان ابقي حصاني فيه . أليس لديك حظيرة اخرى يستطيع ان يستعملها .

ــ اظن الزريبة التي تلي زريبة نابليون يمكن اصلاحها وتنظيفها ، لكني لا املك

الوقت ولا المال اللازمين لذلك . فاذا اردت ان تضع حصانك هناك ، فعليك ان تنظمها بنفسك » .

قال أليك مسروراً : « بالتأكيد سأفعل ذلك يا مسز ديلي . هل استطيع تركه هناك الليلة ؟» .

قالت بابتسامة : « اوه ، لا بأس . واذا اصلحت الزريبة بصورة حسنة فسوف اتساهل في الايجار » .

— « ذلك كرم منك يا مسز ديلي . سأقوم بأحسن ما استطيع ! » .

قالت : « سأدعو زوجي ليفتح البـاب لك » . ثم صاحت بصوت عال : « هنري ! سينزل خلال دقائق قليلة ، كما اظن . تستطيع ان تسوق سيارتك حتى الباب — سأجعله يلاقيك هناك » .

قـال أليك : « شكراً مرة اخرى يا مسز ديلي . شكراً مليون مرة » . واستدار وقفز هابطاً درجات العتبة .

هتف وهو يقفز على لوحة الصعود في سيارة النقـل : « سوف تدعني اضعه هناك ! » .

اجاب والده : « ذلك حسن » .

وضحك جو روسو قائلاً : « انك بائع ممتاز ! » لاحظ أليك ان جو روسو كان يكتب ملاحظات على رزمة الورق بين يديه . قال والد أليك عابساً : « انتظر حتى ترى مسز ديلي ما الذي سيوضع في عنبرها !» .

ساقوا السيارة مجتازين حاجزاً حديدياً عالياً حتى بلغوا الباب . وهناك وقفوا وراحوا ينتظرون هنري واخيراً ظهر هنري وهو رجل قصير غليظ عريض الاكتاف .

اقبل نحوهم سائراً مقوس الساقين في خطوات مرتجفة . كانت اطراف قميصه ترفرف في ريح الليل . مسح يده الضخمة بفمه . وزمجر قائلاً : « كل شيء على ما يرام » . دس مفتاحاً في القفل ثم دفع الباب الثقيل . صرّت فواصل الباب فيما

انفرج مشرعاً . قال هنري : « ادخلوا » .

تدحرجت سيارة النقل خلال الباب واندفعت في الطريق الرملي الى العنبر . شعت اضواء السيارة الأمامية على الباب الداخلي الواسع . وجاء هنري وراءها قائلاً : « سأفتح الباب الداخلي وتستطيعون ان تدخلوه » .

انزل أليك الباب الجانبي لسيارة النقل ليستطيع اخراج الجواد . قبض على اللجام قائلاً : « انه بيتك الجديد يا فتى » ! وفي بطء قـاد الحصان هابطاً به الى الارض . هز الأدهم رأسه وضرب الأرض بقائمتيه الخلفيتين .

قال أليك : « انظروا اليه . انه في حال جيدة منذ الآن » ! ورأى الرجال يحدقون في الجواد باعجاب .

اتكأ هنري على باب العنبر . وتحركت عينـاه ببطء تجسان جسم الأدهم . قال وهو يهز رأسه : « اخبرتني زوجتي ان لديك حصاناً ــ لكنني لم اتوقع حصاناً كهذا ! » .

ثم غمغم كما لو كان يخاطب نفسه: « رأس جيد ، صدر عريض، ارجل قوية » .

قاد أليك الأدهم الى العنبر . وفي الحظيرة الخشبية الأقرب الى الباب ، كان نابليون ، ورأسـه الأشهب العجوز متأرجح فوق باب الحظيرة . حمحم حين رأى الأدهم الى داخل الحظيرة .

سأل أليك : « أأضعه الى جوار نابليون ، هناك يا مستر ديلي ؟ اتعتقد انه سيكون في مأمن ؟ انه يصبح عصبياً للغاية بعض الأحيان » .

ــ بالتأكيد . ضعه هناك . سيكون نابليون العجوز عوناً له اكثر من اي شيء آخر ــ هدئه » .

اتجـه هنري الى زاوية من زوايا العنبر والتقط ضمـة من القش عاد بها الى الحظيرة ونثرها حوله قائلاً : « سنستعيد بعض القش من توني كفراش للأدهم . انه لن يكترث » . قام هنري بسفرتين اخريين ذهابا وجيئة . قال : «الآن تستطيع ان

تدخله يا بني . هناك اشياء قليلة يجب تنظيمها لكي اظن انه سيتسع له تستطيع ان تفعل غداً خيراً مما تفعله اليوم » .

قال أليك : « شكراً » .

وسأله والده قائلاً : « ما الذي ستطعمه الليلة يا أليك ؟ افكرت في ذلك ؟ » .

قال أليك : « صحيح ... لقد نسيت ! » .

التفت الى هنري وقال : « اين تعتقد انني استطيع ان اجد بعض العلف يا مستر ديلي ؟ » .

ـ ان توني يحصل على علف من مخزن العلف في زاوية مخزن بارسون ونورترن ، لكنني انصور انه مغلق الان . لكنك تستطيع ان تستعمل شيئاً من علف توني ، ثم ترده له حين تحصل على علف لجوادك » .

اجاب أليك : « عظيم » . قاد الأدهم الى الحظيرة التي تلي حظيرة نابليون . لقد كانت مهدمة قليلاً ، لكنها كانت واسعة ، وكان في وسع أليك القول بأن الجواد قد احبها . كان يقف في صبر بينما رفع أليك لجامه وحك له جسمه . ثم سلم هنري الى أليك سطلاً من العلف فافرغه أليك في زريبة الأدهم .

مد نابليون العجوز رأسه بحذر من على اللوحة التي بين الحظيرتين . رآه الأدهم ، فخطا ـ وراح يشم متشككا . لم يتحرك نابليون . كان أليك يخشى ان يتقاتلا . ثم مد الأدهم رأسه الى حظيرة نابليون وحمحم . فأجاب نابليون بحمحمة .

ضحك هنري وقال : « انظر ، ما الذي قلت لك ؟ انهما صديقان منذ الان » .

غادر أليك الحظيرة ، وهو يشعر براحة فيما يخص الأدهم بأكثر مما احس بها في اي وقت منذ بدأا رحلتهما الطويلة عائدين الى الوطن . قال : « انني مسرور بأنه يحب نابليون . لعلني استطيع ان اتركه الآن . عليه ان يتعلم البقاء وحيداً في حين من الأحيان » . قال ابوه : « يبدو كما لو انه سيكون على ما يرام . في الحق ،

يبدو وكأنه يحب هذا المكان . انه ليس متوحشاً للغاية ، على كل حال ! » .

— « انه على مايرام يا أبي ، حين يعتاد على الاشياء . انه ينفلت من الزمام حين يقلقه شيء جديد ! » .

— « حسناً يا بني ، دعنا نعود الى البيت ونرى امك . من الراجح انها تقلق نفسها الآن حتى الموت » .

تكلم جو روسو قائلاً : « اكره ان اكون لجوجاً مزعجاً يا مستر رامسي ، لكني اود ان احصل على قصة ابنك قبل ذهابي . ان لها كل امـــارات القصة الجيدة وأنا في حاجة الى قصته » .

ابتسم والد أليك وقال : « ولا بأس في ذلك . اني سعيد بالتقائي بك واليوم يوم احتفال بالنسبة لنا ، كما تعلم ! » .

تقدمهم هنري في طريق الخروج من العنبر . سمع أليك صفير الأدهم الخافت فيما انطفأ النور . ثم حل صمت . واغلق هنري باب العنبر .

زحفت برودة هينة الى الجو ، كانت سيارة الشحن قد ذهبت . ساروا في بطء في الطريق الرملي نحو الباب . سلم هنري أليك مفتاح القفل ، وقال : « تستطيع ان تحتفظ بهذا ، يا بني . ان لدي مفتاحاً آخر في البيت ومن الراجح انك ستأتي الى هنا كثيراً الآن » .

اجاب أليك : « شكراً يا مستر ديلي . سأفعل ذلك بالتأكيد » .

— لست مضطراً الى مناداتي بمستر ديلي — ادعني هنري وحسب كما يفعل كل واحد هنا . اي شيء غير ذلك يبدو مضحكاً .

— « حسناً ، يا هنري » .

تركهم هنري عند الباب . عبروا الشارع وساروا نحو البيت . رأى أليك نوراً عند الباب الأمامي فأسرع في السير . قال ابوه : « على مهلك . لم اعد شاباً كما كنت من قبل ، كما تعلم » . ضحك جو قائلاً : « لا استطيع حتى مسايرة هـذه

الخطوات ، وانا ما زلت شاباً» .

قال أليك : (سأراك هناك) وانطلق يعدو .

بلغ البيت وارتقى درجات العتبة درجتين درجتين . ورمى نفسه على الباب . لم يكن مقفلا وركض داخلا عبر الصالة وصوب النظر الى غرفة الجلوس ، كانت خالية . ووضع يده على درابزين السلم وابتدأ يرتقي السلم . ثم سمع صوت امه من المطبخ : «الكسندر ، أهذا أنت ».

هتف قائلا : «نعم ، ماما ، انا» . وركض الى المطبخ ورمى ذراعيه حول أمه قال : « انه لشيء حسن ان يكون المرء في بيته ! ».

تطلع الى أمه ورأى أن عينيها كانتا نديتين . سألها : « ما الأمر يا أمي ! لماذا تبكين ؟ » .

ابتسمت المسز رامسي من خلال دموعها وقالت : « لا شيء يا بني. انني مسرورة لأنك في البيت . ذلك كل ما هناك » .

ووضع أليك ذراعيه السمرلوتين الضامرتين تحت ذراع أمه الممتلئة ، وسارا معاً الى غرفة الجلوس فيما دخل والده وجو روسو من الخارج .

نظر المخبر الصحفي في أرجاء الغرفة بأنوارها الخافتة المظللة واثاثها المريح للنظر ثم الى أليك وأبيه وأمه . قال جو : « أظنك لا تستطيع أن تلومه على رغبتـه في العودة الى هذا».

وافق أليك قائلاً : « صحيح ! »

جلست أمه على السرير وجلس أليك الى جانبها وذراعه ما زالت في ذراعها . وكان ابوه يحشو غليونه في كرسيه الأثير في الزاوية . قال : « حسناً يا بني ــ هيا اخبرنا بكل شيء » .

بدأ أليك قائلا : « بعد أن تركت العم رالف في بومبي بأيام قليلة وقعنا في ميناء عربي صغير في البحر الأحمر » .

كانت الساعة التي فوق الراديو تتك الدقائق فيا راح أليك يروي قصته . مرة أخرى ، كان على ظهر الا (دريك) ويرى الأدهم للمرة الأولى . نسي أن أمه وأباه وجو روسو كانوا يصغون اليه . كان في العاصفة يسمع زئــير الأعصار وتحطم الأمواج على جانبي السفينة . سمع قعقعة عالية من قعقعات البرق فيا اصابت السفينة. ثم راح الادهم يسحبه خلال الماء ـ راحا يصارعان الأمواج في الظلام ساعــات وساعات . طوّف في الجزيرة ، يكافح الجوع . اكتشف الطحلب المــائي الذي انقذهمــا كليهما . ركــب الجواد للمرة الأولى ـ ذلك الركوب العنيف الذي لا ينسى ! الحريق ، ذلك الحريق الرهيب ، الذي ظهر انه رحمة متنكرة في زي نقمة . وفرحه حين رأى البحارة يسحبون زورقهم الى الساحل . ريو دي جانيرو الوطن ...

انتهى فحل صمت . كانت يد أمه تقبض على يــده . راحت الساعة تتك بصوت عال . وكأنها تقول : « هوذا البيت .. هوذا البيت ... » كان غليون أبيه قد انطفأ . قطع ابوه الصمت قائلا : « لا أدري ما أقول ، يا بني ... الا ان الله كان معك لا بد ـ ومعنا » . ـ والتفت الى المستر رامسي وقــال : « نحن شاكرون الله ، اليس كذلك يا أمــاه ؟ » أحس أليك بضغط يدهــا وهي تجيب : « نعم ، ان لدينا الكثير مما يجب ان نكون شاكرين الله عليه » .

قال جو روسو : « استطيع ان أفهم الآن كم تحبون ذلك الحصان » .

قال والد أليك : « نعم يا أليك . أستطيع أن أعدك بأنــه سيجد على الدوام مكانا له هنا معنا » .

قالت أمه : « لولاه ـ ذلك الحيوان الوحشي غير المروض ـ » .

وقف جو روسو قائلا : « أوه أن أشكركم على سماحكم لي بالبقــاء . ان كان ثمة شيء أستطيع القيام به » .

نهض المستر رامسي من كرسيه وقــال : « ذلك امر حسن . يسرنا اننــا ساعدناك . طابت ليلتك . ومد يــده للمصافحة . ابتسم جو روسو لأليك وامه

قائلا : « طابت ليلتك يا سيدي . اعنوا عناية كبيرة بذلك الحصان » .

اجاب أليك : « بالتأكيد سأفعل . وشكراً لك على كل ما قمت به » .

بعد مضي وقت غير طويل على مغادرة جو روسو ، القى أليك على أبويه تحية الليل : « طابت ليلتكما » وذهب الى فراشه . ان الإنفعال من وجوده في البيت نائماً في فراشه الخاص جعله لا يستقر على حال . اضطجع يقظان لمدة ساعة ، ثم استغرق في نوم عميق .

أيقظه ، على حين غرة ، صفير حاد ، فتح عينيه وهو ما زال نعساناً . اكان يحلم أم أنه سمع صفير الادهم حقاً ؟ كان الليـــل ساكناً . مرت دقيقة . ثم سمع الصفير كرة اخرى — لقد كان الأدهم .

وثب أليك من فراشه . انبأته الساعة التي على دولاب ملابسه ان الوقت بعد الثانية عشرة بقليل . كان يقظان تماماً حين ارتدى « الروب » وركض يهبط السلم بسرعة ثم يخرج من الباب . سمع الأدهم يحمحم ثانية فيما دخل البوابة . كانت الأضواء تسطع في منزل هنري — ثم في البيوت القريبة منه . كان الأدهم يوقظ الجميع ! خف أليك نحو العنبر . بلغ الباب . وإذا الضوء مشعلا .

حمحم الأدهم حين رآه . ورأسه ممتد مسافة طويـلة خارج الحظيرة . كان هناك صوت يتأوه من داخل حظيرة نابليون «ميو ديو — يا الهي» . لم يستطع أليك أن يرى أحداً — نابليون العجوز وحده ؟ وقد وقف مرتجفـاً في الطريق البعيد من الحظيرة . اتجهت عيناه المذعورتان نحو أليك في توسل . جـاء الصوت ثانية : « ميو ديو ! »

هتف أليك : « هلو ، من هناك » ؟

خبط الأدهم بقوائمه على ارض حظيرته في عصبية . ثم رأى أليك يداً تتحرك على القسم الأعلى من باب حظـيرة نابليون ثم تدفعه في حذر فينفتح . وعلى حين غرة ، وكهجوم مفاجىء ، اندفع رجل خلال باب الحظيرة .

خف الرجل مجتازاً وصار في الخارج قبل ان يستطيع الرجل ان يتبينه .

صفر الأدهم كرة اخرى . هتف أليك : « هاي ، ايها الأدهم . على مهلك » ! ثم ركض نحو الباب ونظر الى الليل في الخارج . رأى أليك رجلاً يقف الى جانب هنري ، الذي كان قد وصل لتوه الى مكان الحادث . لقد كان توني البائع المتجول ، مالك نابليون ! مسكين توني ، لعل رؤيته للأدهم في الحظيرة التي تلي نابليون ، قد اذعرته حتى الموت !

نادى أليك فيما اخذ طريقه نحوه : « هلو ، توني » كان بعض جيرانه ، وقد القوا بأروابهم على اجسامهم في عجل ، يقبلون في الطريق المعد لدخول السيارات . ثم وصل صوت صفارة البوليس المعولة الى اذني أليك . وبينما دلفت سيارة البوليس الى الطريق المعد لمرور السيارات ، سأل أليك : توني ، أأنت على ما يرام » ؟ اجاب هنري مكشراً : « بالتأكيد . انه على ما يرام . لقد فاجأه الأدهم ... وحسب » .

اومأ توني برأسه مؤمناً على ذلك القول . كان ما يزال اكثر ذعراً من ان يتكلم . تجمع حشد صغير حولهم . سأل رجل بوليس فيما هبط من سيارته : « ما القضية هنا ؟ » .

اجاب هنري : « لا شيء خطير ، ايها الضابط . انني املك هذا العنبر وقد انزلت فيه حصاناً آخر الليلة ، دون ان يعلم توني بذلك . ولقد فاجأ احدهما الآخر نوعاً ما — هذا كل ما هنالك » .

سأل الضابط توني : (هذا صحيح) ؟

وجد توني صوته فأجاب : « سيدي ، صحيح . كنت ذاهباً لأعالج جرحاً اصيب به نابليون من اللجام — لقد اصاب نفسه اليوم — حين رأيت الحصان الجديد ورآني ، ياسيدي » نظر الى هنري ثم اعاد النظر الى رجل البوليس وواصل الكلام قائلاً : « لقد كانت مفاجأة لي ولا ريب ! » .

ضحك الجمهور من كلام توني . قال رجل البوليس : « حسناً ، اظن كل شيء على ما يرام هنا . من يملك الحصان ؟».

اجاب أليك « أنا » .

ابتسم الضابط وهو يقول : « انك احدث سناً من ان تملك حصاناً يحمل مثل هذه المهنة الكبيرة ، اخافة الناس » .

اجاب أليك : « لقد جلبته الى نيويورك بالأمس فقط . انه ما زال عصبياً للغاية، لكنه سيتغلب على ذلك » .

قال رجـــل البوليس : « يبدو حصاناً جيداً . اترى بأساً في ان القي عليه نظرة ؟ » .

قال أليك « يسرني ذلك » .

تحرك الجمهور الصغير الى الامام ، دافعاً توني امامه . وقف أليك في باب العنبر . قال : « على اغلبكم ان يراقبـوا من هنا . ان كثيراً من الناس سيثيرون هياجه مرة اخرى » .

صهل الأدهم صهيلاً خافتا فيما دخـل هنري وأليك وتوني ورجـــل البوليس الحظيرة . مد نابليون رأســـه مـن باب الحظيرة وصهل حين رأى توني ، الذي رجع الى الوراء . كان الأدهم ما يزال يخبط باب حظيرته بقائمتيه الأماميتين . حك أليك انفه .

قال رجل البوليس : « انه جميل . لقد كان بي على الدوام ضعف تجاه الخيل منذ ان قضيت عامين في قوة الخيالة . لا اظن انني رأيت جواداً كهذا » . توقف ثم قال بعد ان ظل يراقب الأدهم بضع دقـائق : « نعم . يبدو كما لو ان كل شيء على ما يرام هنا ــ وعلي ان اعـود الى المركز وداعاً ، وغادر بعد ان اخذ الجمهور معه .

مكث توني في العنبر مع أليك وهنري . وفي حذر تحرك نحو نابليون وهو يراقب الأدهم بعين حذرة . دفع الجواد راسه الى الامام وصهل . قال أليـــك : « انه يودك ويود نابليون » .

مد هنري يدا الى بوز الأدهم ، ثم ابعدها بسرعـــة حين هز الجواد رأسه . ضحك أليك وهنري . قال توني : « انظرا . انني سأحبه ايضاً ، بعد فترة ! ».

بعد وقت قصير ، صعد أليك مرة اخرى ، السلم الى غرفة نومه . ولحسن الحظ كان والداه كلاهما عميقي النوم ــ كـــان الأحسن الا يعلما بالهرج والمرج اللذين سببها الأدهم .

صعد أليك ، في تعب ، الى فراشه . لقد كـــان متعبا حقا الان . حدق الى الساعة ــ الثانية والربع وهو يريد ان يكون في العنبر في وقت مبكر صباح اليوم التالي . سقط رأسه على الوسادة وسرعان ما استغرق في النوم .



- ٩ -

الهرب

في الصباح التالي حين فتح أليك عينيه ، رأى رايات المدرسة الثانوية واعلامها المعتادة معلقة على الجدران . ما أجمل أن يكون في غرفته مرة ثانية . ثم تساءل في نفسه كيف كان الأدهم بعد عراك الليلة الماضية ! انقلب أليك على جانبه وتطلع من النافذة . كانت الشمس تشرق . لا بد انها حوالي السادسة .

لم ينم كثيراً من النوم ـ لكنه كان قد تعود على ذلك بعد الأشهر القليلة الماضية . كانت الورقات على الاشجار قد بدأت تستحيل الى حمرة الخريف الفاقعة . لقد مره ان اخبره والده انه لا ضرورة لذهابه الى المدرسة اليوم . كان قد قال : « ان يوماً واحداً لن يضر . وانه سيعطيك فرصه لتعوّد نفسك مرة اخرى على محيطك » . لقد عرف بأن ما كان يعنيه في الحق هو ان ذلك اليوم سيعطيه فرصة لتعويد الأدهم على محيطه الجديد !

وثب أليك من فراشــه وركض الى غرفة الحمـــام . اخذ « دوشا » بارداً ، وارتدى ملابسه ، وسار على اطراف أصابعه هابطاً السلم . فتح الباب وخرج الى هواء الصباح المنعش .. كانت الدنيا هادئة ذلك الهدوء الذي لا يكون مثله الا للصباح الباكر . كان العشب مبتلا بالندى الثقيل . ســار في الشارع وهو يصفر

لنفسه صفيراً خافتاً . وحين اصبح على بعد كاف من البيت بدأ يغني .

وجد البوابة مشرعة قليلاً . لا بد ان احداً كان هناك ـ لعله توني ! ركض في الطريق نحو العنبر وسمع صوتا عميقاً من درجة « الباس » آتيـاً من الداخل : « سان ـ تالو ـ تشي ـ آ سانتا لو ـ تشيا ! » لا يمكن ان يكون ذلك غير توني ! كان باب العنبر مشرعاً ايضاً . رأى أليك الايطالي الصغير جالساً على كرسي ، وعيناه مثبتتان على الحظيرتين اللتين كانت تأتي منهما أصوات مضغ عميقـة صاح أليك : « هلو ، توني ! »

التفت توني ، ووجهه الأسمر الجعد يتكسر الى ابتسامة عريضة ، وقـال : « هلو ، انت ترى انني لم أعد اخاف منه ! » ضحك أليك قائلا : « نعم ارى ذلك ستصبح على ما يرام معه بمضي الزمن ! » .

ـ آه . انه حيوان عظيم ـ يذكرني بنابليون عندما كان فتياً ، وثاباً، مليئاً بالحيوية . وحين رآني اطعم نابليون ، تركني اطعمه ايضاً ! » .

ـ « ذلك حسن للغاية يا توني . انه في العادة لا يترك احداً يقترب منه سواي » .

قال توني : « انظر اليهما » .

كان نابليون قد دس أنفه بين القضبان وكان يحاول الوصول الى صندوق علف الأدهم . وعضعضه الجواد مداعباً . سحب نابليون رأسـه وراح ينظر مـن باب الحظيرة .

ضحك توني قائلاً : « حان وقت الذهاب الى العمل ، يا رجل ! » .

اخرجه من الحظيرة وحك يده على جلده الاشهب المهلهل . وقال : « غداً سأعطيك حماماً جيداً وسيصبح ابيض كالثلج ! » .

راقب أليك توني وهو يلجم نابليون ويسرجه . رآه يرتب ، في حنان ، لزقة سميكة على الجرح في كتف نابليون . لاحظ ان الأدهم كان ايضاً متفرجاً مهتماً .

قال توني : « ساعدني يا أليك . نحن متأخران نوعاً ما هذا الصباح » . ساعد

أليك توني في ربط نابليون العجوز الى عربة البائع المتجول الصغيرة . بدت معاضلة الحصان الأشهب العجوز الرفيق عبث اطفال بعد معاضلة الجواد الشرس الممتلىء حمية .

سمعا الأدهم يهمهم في الداخل . فركض أليك الى العنبر قائلاً : « ما الخطب يا أدهم ؟ » .

كان الجواد الأدهم الطويل ممتداً في تساؤل الى الحظيرة التالية له . لقد افتقد نابليون . قال أليك يخاطبه : « على نابليون ان يذهب الى العمل ، يا فتى ، لكنه سيعود الليلة » . فتح أليك الباب وأمسك بلجام الحصان . وتناول حبلاً من الرصاص ، من مسمار خارج الحظيرة ووصله باللجام . ثم قاد الأدهم الى الخارج .

كان توني يتسلق صاعداً الى مقعد العربة . قال : « حسناً ، يا أليك ، علينا ان نذهب . اراك الليلة . هيا يا نابليون » .

رفع نابليون رأسه وصهل حين رأى الأدهم . رفض ان يتحرك ؟هز توني اعنّته ردد « هيا الآن يا نابي . علينا ان نذهب ! » هزّ نابليون رأسه ونظر الى الأدهم ، ثم سار في اذعان .

شد الأدهم على الحبل . كان يريد ان يتبع نابليون . رده أليك وصده . شب على قائمتيه الخلفيتين عالياً في الهواء . انتصبت اذناه الى الأمام وشخر في غضب .

ابتسم أليك وقـال : « تكره ان ترى رفيقك في السكن يرحل ، أليس كذلك ؟ » .

راقبا توني ونابليون يذهبان في بطء في الطريق الرملي الى البوابة. انطلق نابليون يخبّ في بطء في الشارع .

حين اصبحا خارج نطاق البصر ، تحرك الأدهم في دائرة حول أليك . سأله أليك : « أتشعر بأنك على خير ما يرام ، أليس كذلك ؟ » جذب أليك الأدهم من حبله ليفسح له في المجال . قاده نحو الحقل الواسع المحاط بجدار حجري . قال :

« ستحب ان ترتع في هذا المكان . انظر الى العشب العالي ! » .

راح الأدهم يقضم العشب الأخضر في جوع . وحين بدا انه قد نال كفايته ، ركض أليك في الحقل معه . نادى أليك فيما كان الجواد يخبّ امامه . وفي منتصف طريق الحقل وجد نفسه وقد صار متعباً وجذب الأدهم حتى اوقفه .

سأل : « ما رأيك في أن اركبك الآن ، يا ادهم » ؟ بحث بعينيه عن مكان يرتقي الجواد منه . سحب الجواد الى جانب الجدار الحجري ، قابضاً على رسنه بكلتا يديه .

لم تسنح فرصة لركوبه منذ ان كان في الجزيرة . وقف الجواد ساكناً للحظة . ثم انطلق خبباً . استطاع أليك ان يقوده بصورة جيدة من الرسن ووجد ان الجواد ما زال يتذكر دروسه في الجزيرة .

انطلقا في الحقل ، والريح تسوط وجه أليك ، وسكون الصباح الباكر يصدى بوقع سنابك الجواد . جعلت خطواته الطوال الجبارة الحقل يبدو صغيراً للغاية . دار به أليك حول الحافة وعاد به الى أول الحقل من جديد . راحا يسيران اسرع فأسرع . غرز أليك ركبتيه في جانبي الجواد وراح جسمه يتحرك حركة موقّعة منغومة مع جسم الأدهم . انطلقا مجتازين العنبر ثم عاد به أليك الى آخر الحقل ثانية. ظلا يدوران الحقل مرة بعد مرة .

بعـــد فترة دبّر أليك أمر تخفيف سرعة الجواد قليلاً . واستمر الأدهم يدور واثباً . ثم ابطأ عدوه الى خبب . لم يسبق لأليك ان كان اسعد مما كان حينذاك . لقد عاد الى الوطن اخيراً ـــ ومع حصان كهذا ! ملكه الخاص ! دفن رأسه في عرف الأدهم ومسح بيده على عينيه مجففاً الدموع التي اثارتها الريح فيهما .

نظر أليك الى الاصطبل ، فرأى هنري ديلي متكئاً على الباب يراقبهما. ركب حتى بلغه فترجل ، ممسكاً برسن الأدهم . قال : « صباح الخير ، يا هنري » وتحسس ظهر الأدهم وقال : « حتى البلل لم يصبه .. يا له من حصان ، يا هنري ! لقد ظللنا ندور في الحقل كالريح . هل رأيتنا ؟ ».

لم يتحرك هنري من الباب. لكن أليك رأى عينيه الرماديتين تفحصان الأدهم انشاً فإنشا . قال هنري : « بالتأكيد رأيتكما . يا بني ، لقد رأيت الكثير من الخيول في زمني وركبت ما ركبت منها لكني لم ار منها ما هو احسن منظراً او حركة من هذا » !

اشرق وجه أليك بالكبرياء وقال : « انه اعظم يا هنري . اليس كذلك ؟ ما زلت لا اصدق انه ملكي » . امتد جيد الجواد الطويل الى الأرض ودس انفه في العشب الأخضر .

قال هنري : « دعه مطلق السراح ، يا أليك . انظر كيف يحب ذلك » .

ـ هل تظن ان ذلك مأمون » ؟

ـ « انه على خير ما يرام الآن . لقد عدوت به عدوا طويلاً . وبالاضافة يجب ان يعتاد على ان يترك وحيداً ، على كل حال » .

ـ « اظنك على صواب ، يا هنري » . حل أليك الحبل الرصاصي من اللجام . رفع الجواد رأسه وارتجف منخراه ، وعلى حين غرة دار الجواد على نفسه وسار في خفة يجوب الحقل .

راقبه أليك وهنري . قال هنري : « انها اول حرية ينالها منذ وقت طويل » . فقال هنري وهو ينظر وراء الأدهم في اعجاب : « وهو ملتذ بها ولا ريب » .

وقف الجواد وادار رأسه الضخم نحوهما . وصفر . قال هنري وهو مستغرق في الفكر : « يا ولد ، اتمنى ان اراه في حلبة ! » .

سأل أليك : « تعني السباق ، يا هنري ؟ » .

ـ « نعم » .

استدار أليك ملتفتاً الى الأدهم الذي كان الآن يتواثب في الحقل مرة اخرى ، في خبب رشيق هين ، ورأسه يتجه من جانب الى جانب . قال أليك : « سيمضي وقت طويل قبل ان يكون مأموناً في اي سباق ، يا هنري » .

ـ «حسناً، ان لدينا كثيراً من الوقت. اليس كذلك؟».

قال أليك وقد فجأه الرجل البدين القصير الى جانبه: «لدينا؟ تعني ياهنري اننا ـ انت وانا ـ نستطيع ان ندخله الى السباق!».

لم يتحرك هنري ـ كانت عيناه ما تزالان تتبعان الأدهم في الحقل.

قال في هدوء: «طبعاً، نستطيع». ثم انخفض صوتــه بحيث كاد أليك لا يسمعه: «لم ارد ـ مسألة التقاعد هذه. لست كبيراً جداً ـ ما زال فيّ الكثير من سنوات العافية! هذه الحياة جيدة لزوجتي ـ ان لديها من العمل ما يكفي لابقائها مشغولة، اما انا فاحتاج الى عمل وحركة. وها هما يجرفان الى حضني!» وعلا صوته: «اعرف اننا نستطيع ان نجعل من الأدهم بطلاً». كان وجهه مجعداً بالتأثر وضاقت اجفانه حتى اصبحت مجرد شقوق في وجهه المفعم بالخطوط.

ـ «اتعني ذلك حقاً، يا هنري ـ لكن... الآن...» قاطعه الرجل العجوز وتحرك للمرة الاولى: «بالتأكيد، انا واثق يا اليكس، وانا اعرف خيلي». واخذ الصبي من ذراعه وقال: تعال معي وسأريك شيئاً.

قاده هنري الى طرف المنبر الابعد. ركع الى جانب صندوق عميق. اخذ مفتاحاً من جيبه وادخله في قفل وفتحه. كان الصندوق محشواً الى حافته العليــا بتذكارات صيد واقداح فضية. نبش هنري في بطن الصندوق واخرج دفترا للصق الجرائد كبيراً. قال: «لقد حفظت زوجتي هذا لي على الدوام، حتى قبل ان نتزوج».

قلب الورقات المصفرة الحائلة التي كانت مليئة بقصاصات الجرائد. لفت عيني أليك عنوان بعد عنوان فيما كان يجثو الى جانب هنري: «ديلي يركب تشانغ الى النصر في سباق سكوت التذكاري ـ ديلي يحمل واريور الفائز الاول بـ ٥٠،٠٠٠ دولار. عالم السباق يعلن ديلي اعظم راكب في جميع الأزمان». توقف هنري من تقليب الورقات، وعيناه تحدقان بثبات في صورة فوتوغرافية امــامه. قال: «هنا يا ولدي حصلت على اعظم هزة في حياتي ـ وقد ركبت تشانغ ففاز بالمرتبة

الأولى في سباق الخيل في كنتكي . تـكاد لا تظن ان ذلك الشاب الصغير كان انـا ؟ »

نظر أليك بأمعان أكثر . رأى صبياً صغيراً ، تعلو وجهه تكشيرة وحشية ، راكباً على جواد احمر ضخم مهيب المنظر . وحول عنق الحصان علق أكليـل ورد الفوز المضفور على هيئة نعل حصان . لاحظ أليك يـدين ضخمتين قويتين تمسكان العنان والكتفين العريضتين القويتين . قال : « نعم . يمكنني القول انه انت » ابتسم هنري ومد يده الى قاع الصندوق ثانية . وأخرج ما تراءى لأليك بأنه اوراق مجففة قديمة . ثم رأى انها كانت على هيئة نعل حصان . نظر مرة اخرى الى الصور الفوتوغرافية .

قال هنري : « نعم انه نفس الأكليل الذي وضعوه حول رقبة تشانغ في ذلك اليوم . لم يبق الكثير من هذه الصور ، لكنها ما تزال تحوي الكثير من الذكريات ! »

اعاد هنري الأزهار الجـافة الى الصندوق واستمر يقول : « حين اصبحت اخيراً اكبر عمراً واثقل وزناً من ان أركب حصانا ، اخذت ادرب الخيل آنذاك . تزوجت وكنا سعيدين زوجتي وانا . ولد لنا طفلتان . انهـما الآن متزوجتان . وبطريقة ما ، آلمني على الدوام انـه لم يكن لي غلام ، غلام مثلك ، يا بني ، يحب الخيل ويقتفي اثري ، اذ لا شيء في الحيـاة يثير النفس كما يثيرها ان تصطف هناك عند علامة بدء السباق وانت على صهوة قطعـة من الديناميت ذات اربع ارجل . على كل .. لقد كنت ناجحاً للغاية كمدرب ، وحصلت على مال كثير . ثم جاء اليوم الذي فكرت فيه زوجتي ان قد حان الحين لنا لكي نتقاعد ونتنحى عن الطريق . لا استطيع القول بانني الومها ، انها الحيـاة الوحيدة التي عرفتها بعد ان تزوجتني ، واظن انها لم تكن في دمهـا كما كانت في دمي . لقد ظللنا سنوات عديدة ننتقل من مكان الى مكان ، ثم اشترينا هذا المـكان . وها نحن هنا . مضت سنتان منذ ان رأيت سباقي الأخير — سنتان . لا اظن انني استطيع الصبر اكثر من هذا » .

توقف هنري مرة اخرى ، ثم قال : « انت ترى يا أليك انني اخبرك بهـذا

لكي اريك انه اذا كان هناك ما اعرف شيئاً حوله فهو اذا كان حصان ما جيداً ام غير جيد . ودعني اخبرك اننا نستطيع ان نجعل الأدهم اعظم جواد متسابق وضع حافره في اية ساحة سباق ! » .

اغلق هنري الكتاب محدثاًصوتاً حاداً واعاده الى جوف الصندوق . ثم نهض على قدميه ووضع يده على كتف الصبي . وسأله « ماذا تقول يا بني — هل تتسابق ؟ » .

تطلع أليك الى الرجل العجوز ثم نحو الباب المشرع حيث كان يستطيع ان ان يرى الأدهم في المدى . قال : سيكون ذلك عظيماً يا هنري ! وانا اعرف انك تستطيع ان تتسابق سباقاً رائعاً بأي حصان في العالم — اذا استطعنا فقط ان نحول بينه وبين العراك » .

— سيكون ذلك عمـــلاً شاقاً ، يا أليك ، ولكنه جدير بأن تراه يعدو في ساحة السباق ؟ » .

— « اين نستطيع ان ندربه يا هنرى ؟ » .

— نستطيع ان نفعل الكثير حتى الربيع ، يا أليك — دعني فقط اعتاد عليه هنا . تستطيع ان تمتطيه حول الحقل وسوف اعلمك جميع الحيل التي اعرفها . لن نكون قادرين على ان نفعل الكثير بشأنه حين يقبل الشتاء . لا اظن اننا سنزعجه بلجام وسرج منذ الآن — سننتظر حتى اوائـــل الربيع ، ايضاً . في ذلك الوقت لن نلقى عناء كبيراً في وضعها عليه . ثم اظن انني استطيع ان اجد وسيلة لأرساله الى بيلمونت ليتدرب على ساحة السباق — وعندئذ يبدأ التدريب الحقيقي ! » .

— «عظيم يا هنري ! اتظن اننا سنكون قادرين على امتطائه في السباق !» .

ابتسم هنري وقال : « ما لم اكن مخطئاً ، فان الحصان لن يدع شخصاً آخر غيرنا يركبه » .

وفيما سارا نحو الباب ، ملأ الفضاء أزيز عالٍ من احدى الطائرات . قال أليك :

« ذلك الرجل قريب للغاية من الأرض ! يبدو محركه مختلا ، ايضاً ! » .

ركضا الى الخارج ورأيا طائرة تحلق فوق المنبر . تقطعت حركة محركها ثم اعتدلت مرة اخرى معكرة هدوء الصباح الباكر بزئير يصم الآذان . قال هنري : « لقد اعتدل ! » .

لكن أليك لم يكن يراقب الطائرة الآن . فقد سمع شيئاً طغى على ازيز الطائرة . صفير الأدهم الحاد الجارح ! رأى أليك الجواد يرتفع على قائمتيه الخلفيتين ويستدير في الجو ، راكضاً بسرعة تقطع الانفاس في الحقل . هتف أليك :

« انظر ، يا هنري ! الأدهم ! » . كان الجواد يقترب من نهاية الحقل وخطوه لا يفتر ، ولبدته السوداء الطويلة تتماوج وراءه كموجات من الدخان .

قال هنري : « يا الله ! لقد أذعرته الطائرة ! سيقتل نفسه على تلك الصخور ! » .

— « لن يقف يا هنري » .

ثم رأيا الأدهم يجمع نفسه، وكنابض جبار مشدود ارخي لتوه، انطلق خلال الجو وعلى السياج . غمغم هنري : « سبعة اقدام بالضبط ! » واندفعا معاً في الحقل .

رأيا الأدهم في المدى ، ثم غاب عن النظر . وقف هنري على حين غرة وقال : « سأعود واجلب السيارة يا أليك . ابق انت راكضاً خلفه ! » .

صاح أليك من وراء كتفه : « حسناً . انه ميمم نحو المنتزه » . وبسرعة تسلق السياج وركض باسرع ما يستطيع في الاتجاه الذي سلكه الجواد . وسرعان ما لحق به هنري في السيارة . وقال : « اصعد يا بني » . ولم يكن للادهم من اثر .

- ١٠ -

البحث

ظل أليك وهنري يبحثان عن الأدهم لمدة نصف ساعة في جنون . انطلقا ، في سيارة هنري ، يذرعان الشوارع طولاً وعرضاً .

قال هنري : « من حسن الحظ ان هذا قد حدث في الصباح الباكر والناس في الشوارع قلائل » . سأل أليك دون ان يحول عينيه عن الطريق امامه : « ما الوقت الآن ؟ » سحب هنري ساعته الفضية الضخمة من جيب صدره وغمغم :

« الساعة السابعة » .

فاعلن الصبي : « علينا ان نجده يا هنري ـ قبل ان يكون الأوان قد فات ! » سأل هنري : « ما الذي تعني ـ الأوان قد فات ؟ » .

ـ اخشى ان يطلق بعض الشرطة عليه النار . ان ذلك سيكون فظيعاً ! انحنى هنري برأسه ودفع قدمه على المعجّل باشد مما كان يدفعها . فانطلقت السيارة قدما .

« استدر الى هذا الشارع ، يا هنري ، ان المنتزه امامنا . لعله هناك » .

رأى أليك رجلين في احدى زوايا الشارع . « قف هنـاك يا هنري . سنسألهما عما اذا كانا قد رأياه . يبدوان متجهين بسرعة بشأن شيء ما ! »

اطل أليك من جانب السيارة وهتف : « قل ، ايهـا السيد . هل رأيت

حصاناً يجري هنا ؟ » .

اجاب احدهما قائلاً : « بالتأكيد رأيناه . لقد انطلق ماراً بنا كأنه وميض البرق ، قبل عشر دقائق ! من اين جاء بحق الشيطان ؟ » .

قال أليك : « شكراً » دون ان يجيب على سؤال الرجل . انطلقت السيارة قدماً فيما داس هنري على البنزين .

قال هنري في عبوس: «نحن في الطريق الصحيح على كل حال يا أليك.بعد بضع دقائق دخلا المنتزه . خفف هنري من سرعة السيارة وقال : « انظر هناك ايها الفتى . وسأهتم انا بهذا الجانب » .

قال أليك بعزيمة مثبطة : « انه منتزه واسع للغاية » .

قال هنري مكشراً : « ذلك احسن . ليس هناك كبير احتمال في ايذاء احد من الناس اذن » !

تدحرجت السيارة في الطريق المحفوفة بالأشجار . اطل هنري وأليك كلاهما من جانبي السيارة ، وبعد اميال قليلة بلغا ساحة لعب الكولف المفروشة بالعشب الأخضر المتموج .

قال أليك : « لعله ذهب الى هناك ياهنري.هناك الكثير من التلال وهذا بالضبط ما يبحث عنه » .

قال هنري : فيما اوقف السيارة : « دعنا نوقف السيارة هنا ونلقي نظرة ، يا أليك » .

كان على أليك ان يهرول ليلحق بخطوات هنري القصيرة ، المملوءة حيوية مع ذلك ، عبر جادة النهر. كان الهواء بارداً ، لكنه بدأ يدفأ بفعل الشمس التي كانت ترتفع اعلى فأعلى في السماء الزرقاء الصاحية . كانت احذيتهما تُحدث اصواتاً شاخبة عميقة في ندى الصباح الباكر .

غمغم هنري دون ان يخفف من سرعة خطاه : « سيكون يوماً حاراً » .

وتباطأ أليك وراءه . قال : « آمل ان نجده قبل ان يبدأ لاعبوا الكولف في الصباح الباكر في الخروج » .

حين بلغا منتصف جادة النهر ، توقف هنري وقال : « الأحسن ان تذهب في اتجاه تلك الغابة هناك . وسأذهب انا في جادة النهر هذه ـ قليلا نحو ذلك التل . اذا وجده اي منا ، فليهتف » .

قال أليك : « حسناً يا هنري». وانطلق في اتجاه الغابة . كانت قدماه مبتلتين . توقف وبدأ يخلع حذائيه ، وحين فكر ثانية في الأمر ، قوّم ظهره وواصل السير بخطى سريعة . انحدر الى اخدود واسع . وفي القصد استدار وتبع الأخدود . فيما كان يتعرج يميناً ويساراً عبر الطريق وسرعان ما دخل الغابة . ارتقى الى قمة الاخدود وراح ينظر حواليه . كان الندى على العشب الأخضر يلتمع في المدى . والهواء ساكن وبارد ، في ظل الأشجار الضخمة . كان أليك يعلم ان هناك جادة نهر اخرى على الجانب الآخر من الغابة . اسرع نحوها متتبعاً الممر الذي كان قد سار فيه مرات عديدة كخادم للاعبي الكولف خـلال شهور في الماضي . بلغ الجانب الآخر ونظر عبر بساط العشب الأخضر الممتد امامه .

لم يكن للأدهم من اثر . صفر أليك ، لكنه لم يتلق من جواب . بدأ السير عبر جادة النهر وفكر : « ما زالت امامي مسافة طويلة اقطعها . من الممكن ان يكون في اي مكان » .

ولمدة ما تراءت وكأنها ساعات ، درج أليك يصعد التلال التي في طريقه ويهبطها باحثاً عن الأدهم . وقد ارتفعت الشمس الآن واشتدت حرارتها . اما هو فقد ازداد قنوطاً حين لم يرَ أثراً للجواد . خلع السترة البيضاء ورماها على ذراعه . بلغ قمة تل عال ونظر تحته . وفي المدى ، استطاع ان يرى بعض الرجـال يلعبون الكولف .

قال لنفسه في أمل : « لعل هنري قد وجده » . لقد قطع اكثر من نصف الطريق ومن المؤكد ان الأدهم ليس هنا » . صفر أليك مرة ثانية . اذا كان الأدهم

في مدى سماع الصوت ، فانه لا شك سيميز صفيره. لكنه لم يلق جواباً لصفيره .

لعل الجواد لم يدخل المنتزه مطلقاً . لعله ما زال في مكان ما ، في الشوارع . لكن أليك أحس بأن الجواد اقل ذكاء من ان يفعل ذلك . ان غريزته الطبيعية ستقوده الى المساحات المكشوفة هنا ، في المنتزه . لا بد اذن ان يكون في هذه الانحاء ! بدأ أليك يهبط التل نحو جادة النهر . لقد فتش منطقته تفتيشاً دقيقاً . ثم توقف . انه لم يذهب الى « الثقب » حيث اعتاد هو وبقية الصبية على الذهاب على الدوام ، للسباحة بعد يوم كامل من خدمة لاعبي الجولف . لقد كان خارج طريقه لكن هناك احتمالا في ان غريزة الجواد قد قادته الى الماء .

عليه ان يلقي نظرة هناك — عليه الا يغفل عن اي احتمال مهما كان طفيفاً . استدار أليك في مسيره — وذهب على طول جانب التل . آلمته رجلاه ، ولم تكن قدماه المبتلتان تساعدانه في شيء . سار مسافة ميل قبل ان يأتي الى غابة اخرى . سلك طريقاً لا يبين منحدراً فيه ، الى منخفض ثم صعد كرة اخرى . كان « الثقب » على مسافة قصيرة امامه الآن . حيث الجو على الاقل لطيف وبارد . وحث أليك خطاه مسرعاً . بلغ قمة التل وتطلع الى ما تحته . كان الماء يتلامع في الاسفل . لم تكن البركة واسعة ، ولو ان الأدهم هناك ، لسوف يراه بالتأكيد . لكن لم يكن هناك من أثر له .

كانت الغابة ساكنة الا من نقرات نقار الخشب تذكره بالسكتات في الموسيقى وهو دائب على النقر في شجرة قريبة . تلاشى الأمل في قلب أليك — لقد رمى سهمه الأخير . كان المكان الطبيعي الذي يجب ان يكون الأدهم فيه — بركة الماء الوحيدة خلال أميال حول هذا المكان . القى نظرة اخيرة حتى الظلال على جانب البركة ،التي كانت قادرة على حجب الجواد . انه لم يكن هناك ... وكفى .

وتسلق متعباً ليعود الى حيث اتى . ما الذي حدث لحصانه ؟ تخيل الأدهم ينطرح ميتاً في الشارع ، وقد قتلته سيارة او رصاصة من رجال البوليس . لا يمكن لذلك ان يكون — لا يمكن ان ينتهي الأمر على تلك الصورة !

لعل هنري قد وجده الآن .

مزّق السكون صوت مقرقع حاد . عاد ادراجه بسرعة . لقد جاء الصوت من ناحية البركة . اسرع عائداً والقى نظرة من عل . كان شيء ما يشق طريقه ، على الجانب الآخر ، خلال الدغل الكثيف قادماً في اتجاه الماء ! وقف أليك ساكناً ، وهو لا يكاد يجرؤ على ان يأمل ! ليس هنالك اي بمر مهما كان ذلك الشيء ، فقد كان يشق طريقه خلال الشجيرات . ازداد الصوت علواً . ثم ظهر ، على حين غرة رأس اسود ضخم . إنه الأدهم ! رآه أليك يدلي رقبته الطويلة ويغمر انفه في الماء البارد .

شله الشعور بالأرتياح لمدة لحظة . ثم صفر في لطف . رفع الأدهم رأسه ، والماء ما زال يقطر من شدقه وتطلع . صفر أليك مرة ثانية وركض هابطاً المنحدر ، نحو البركة . ورآه الجواد فهز رأسه وصفر . فخفف أليك عَدْوَه الى مشي اعتيادي . وفي حذر ، قطع المسافة فيما حول البركة وبلغ الأدهم . وسأله قائلاً : « ما الأمر يا رجل ؟ خائف ؟ »

هزّ الجواد رأسه وتقدم نحوه . كان جسمه الأسود متسخاً وكانت لبدته الطويلة مغطاة بالعُقد . ربت أليك البوز الناطف ماء . وقال وهو يمرّ بيده على رقبة الجواد يمسح القَذارة عنها : « لاقيت وقتاً عصيباً اليس كذلك يا ولد !؟ ما أطيب ان أراك ! »

دس الجواد ، مرة اخرى انفه ،في الماء البارد وشرب طويلا.

حين انتهى من الشرب ، قبض أليك اللجام الذي كان ما يزال حول رأسه وقال : « تعال ، يا ولد ، لنذهب الى البيت » .

رفض الأدهم ان يتحرك . تحدث أليك بلطف اليه ومسح يده على رقبته ، لكن الجواد وقف ثابتاً في مكانه . شد أليك اللجام كرة اخرى . لمحت عينا الأدهم تجتاحان ما حولها ثم استقرتا على الصبي . فهز رأسه وسار وراءه في بطء .

قاده أليك مصعداً في الممر الذي يخترق الغابة . وحين بلغ جادة النهر وقف ونظر الى الحصان وسأله : « الا تحملني على ظهرك ، يا سيّد ؟ » تحرك الأدهم بخفة

الى جانب ، وعيناه متجهتان الى جادة النهر المنفتحة أمامه .

قال أليك : « انني في الحق متعب للغاية يا ادهم ـ لقد كان طرادا ما سببته لي، كما تعلم » . قاد الأدهم الى جذمور شجرة ، وخطا على الجذمور ثم رمى نفسه على ظهر الجواد .

قال أليك : « هيا ، يا فتى . لنذهب » .

سار الأدهم بسرعة منطلقـــاً الى الطريق ، ثم طفق يعدو خببا . اداره أليك نحو البقعة التي فارق هنري فيها . فكر : « الأحسن ان اخلص من هذا الطريق بسرعة ، والا أثاروا ضجة علينا ، لاننا اقتلعنا الأرض ! »

بعد ان ركب أليك لحوالي الدقائق الخمس ، رأى هنري عن بعد وهو يسير نحوهما . قال هنري حين بلغه أليك : « كدت أيأس » .

قال أليك : « كدت ايأس انا ايضاً . لقد وجدته هناك عند « الحفرة » .

ـ « يبدو كما لو أنه يتمرغ في الوحل والقـَذَر » .

فأجاب أليك : لقد قضى وقتاً كما يشتهي . انظر الى العقد التي على جسمه ـ لا بد انه اخترق كثيراً من الشجيرات الكثيفة » .

فقال هنري وهو يلمح ساعته بعينه : « نستطيـع التخلص من هذا كله . اما الآن ، فعلينا ان نعود ـ الساعة التاسعة تقريباً » .

ولأول مرة ادرك اليك انه لم يتناول طعام الفطور وأن والديه لا يعرفان اين هو . فقال : « ستتساءل امي عمـــا حدث لي » . لقد تأخر عن أول فطور له في البيت !

قال هنري في كآبة : « وزوجتي لن ترحب بي بذراعين متلهفتين وعدتها بأن اذهب للسوق هذا الصباح لكن الوقت قد فات » وثب أليك من على ظهر الأدهم وسار الى جانب هنري ، ممسكا بلجام الأدهم . ولمـا بلغا السيارة . قال هنري : « الأحسن ان نذهب عن طريق الشارع الذهبي ، لنتحاشى زحام المرور . أظن

أن عليك أن تقوده ــ تلك هي الطريقة الوحيدة » .

قال أليك : « سق السيارة امامي على مهل ، يا هنري ، لعلني احتاج اليك » .

مشت السيارة خارجة من المنتزه وتبعها أليك والأدهم . بعد عشرين دقيقة ، لم تصادفهم فيها العراقيل ، قاربوا الأسطبل . وانتصبت أذنا الجواد حين رأى العنبر . هتف أليك : « لا بدّ لي من تعلية هذا السياج » .

فأجاب هنري : « اخشى ان الأمر كذلك ، والا فستقضي نصف وقتنا نطارد هذا الحصان ! »

ساق هنري السيارة الى الاسطبل ، وتبعه أليك بالأدهم . قال : « سأضعه في حظيرته الى بقية النهار ، يا هنري ! » اجاب هنري : « فكرة حسنة ، لقد نال رياضة ، تكفيه ليوم واحد ، وكذلك انا » .

أجاب أليك : « وانا ايضا سأضعه ثم اذهب الى البيت لآكل . سأعود فيما بعد وانظفه » .

ــ « حسناً يا بني . ربما رأيتك » وضحك ثم قال : « اذا خرجت ! » واستدار وسار نحو البيت .

وضع أليك الأدهم في حظيرته وامرّ خرقة على جسمه ، ووضع بعض التبن في معلف الجواد . وقال : « هاك ، سيمسكك هذا حتى اعود . اعقل الآن وخذ الأمر على مهلك . اليس كذلك ؟ »

خبط الجواد الأرض بقائمته الأمامية وهزّ رأسه ، فضحك أليك وقال : « الأحسن ان تكون عاقلا . لقد سببت من الازعاج ما يكفي ليوم واحد » . اغلق باب العنبر واخذ طريقه الى البيت .

سمع أليك الساعة في غرفة الجلوس تقرع النصف بعد التاسعة ، عندما دخل البيت . وجاءه صوت أمه قلقاً من المطبخ : « اهذا انت ، يا أليك ؟ »

اجاب وهو يدخل الغرفة : « نعم ، ماما . ابي ذهب الى العمل ؟ » تجعّد انفه

حين تنشق رائحة الكعك والسوسج المشهية .

اجابت امه : « نعم ، اراد ان يراك ، لكنه لم يستطع الانتظار . اين كنت كل هذا الوقت بحق السماء ؟ وانظر الى نفسك !! »

أجاب أليك : « كنت أدرب الأدهم يا اماه » . لم يكن يعرف أكان ينبغي له ان يخبرها عن هرب الأدهم . لقد قرر خلاف ذلك – لانه انما يزيد في قلقها وحسب ، والآن ، وقد عاد الجواد فكل شيء على ما يرام .

قالت امه : « انك تنفق كثيراً من الوقت مع ذلك الحيوان . لا ادري ما الذي ستفعل حين ينبغي عليك الذهاب الى المدرسة » .

سار أليك الى مائدة المطبخ وجلس . احس بالماء ينزل من حذائيه .قال : « اوه ، سأفيق مبكرا كل صباح يا اماه واطعمه واحسه قبل ان اذهب الى المدرسة » . تحسس سيور حذائه تحت المائدة ، محاولاً ان يخلع حذاءه دون ان تلحظ امه ذلك .

استمر قائلا : « حين يكون الطقس لطيفاً ، فأنني سأتركه خارجا ليرعى خلال الصباح . سأكون في الدورة المبكرة في المدرسة هذا الفصل واسير في دروسي حسب الأصول واخرج في النصف بعد الثانية عشرة . سيوفر لي ذلك كثيراً من الوقت فيما بعد الظهر لكي اكون معه » .

خلع أليك حذائيه وجواربه ولف قدميه حول رجلي الكرسي .

قالت امه : « لا اريدك ان تهمل دراستك يا أليك . اذا رأيتك تفعل ذلك ، فسيكون لزاما علي ان اخبر اباك ، وسيكون علينا ان نفعل شيئاً بشأن الأدهم » .

أجاب أليك : « لن اخل بدروسي يا أماه » . أجاب بذلك فيما كان يضع الزبدة ودبس الأسفندان ، على الكعك الذي وضعته امه أمامه . لقد جعلت الحياة تستقر على شكلها الطبيعي المألوف مرة اخرى – كأحسن ما يمكن ان تكون مع الأدهم .

- ١١ -

الشريكان

مرت بقية النهار بسرعة بالنسبة لأليك . فبعد الفطور أنسل الى الطابق الأعلى بينما كانت امه في غرفة الجلوس ولبس حذائين غير مبللين وجوارب غير مبللة . حين نزل ،مر على امه واشركها في شذرات من تجاربه على الجزيرة واخبرها عن عمه رالف والأنس الذي نالاه معاً في الهند . وبعد الظهر حس الأدهم حتى اخـذ جسم الجواد الاسود يلمع ، وارتخى عرفه الطويل على جيده ناعما .

جاء هنري الى الاسطبل . غمغم قائلا : « كنت انظف غرف المخزن » . كان يحمل تحت ذراعه رزمة كبيرة ملفوفة بورق الجرائد ، فوضع الرزمة على الأرض وقال لأليك :« تعال هنا وانظر ما وجدت » .

بدأ يحل الرزمة وقد ركع أليك الى جانبه . تمزقت الاوراق ، وقد اصفرت لطول العهد ، وتناثرت فيما راح ينزعها . كان في داخلها سرج للسباق وزمام . رفعها هنري برفق ونظر اليها . لم يقل شيئاً .مرت دقيقة ثم مد يده مرة اخرى . وفيما يشبه المعانقة اخرج قبعة جوكي وقميصاً كلاهما اخضر لامع . نظر أليـك الى الرزمة ورأى زوجين ناصلي اللون من بنطلونات الركوب والجزم السود .

ارتفعت عينا هنري وتكلم على هون : « كل شيء هنا حتى رقمي » . امسك

القميص بيده . حول الكم ، كان الرقم ٣ ما يزال معلقاً . قال هنري « يبدو وكأنه امس وحسب انني ارتديتها في آخر سباق ركبت فيه » .

توقف هنري . ولم يتكلم أليك — كان يستطيع القول ، من وجهة هنري ، بأنه كان يحيا ذلك السباق من جديد كرة أخرى .

قال الرجل الصغير كما لو كان يحدث نفسه : « ذهبنا الى نقطة البدء . وقد تجمع اكبر جمهور رأى « البريكنس » قط . وراحوا جميعاً يراهنون على تشانغ فقد كان اعظم حصان في ذلك اليوم. كيف ضجوا بالهتاف المدوي حين اصطففنا. كانت الخيول الاخرى تأبى ان تقف ساكنة . لكن لم يكن من شيء يزعج تشانغ — فقد ترك التململ للأخر من الخيول . لقد وقف ، في هدوء ، ينتظر ارتفاع الحاجز .

« لم أر الخيول الأخرى في ذلك السباق . قفز تشانغ أمامها في البدء ، وقد تركته على هواه — وربحنا بأن سبقنا الآخرين » . ومر هنري بيده على عينيه وواصل الكلام قائلا : « ولم يكن الا حين وقف انه اضطرب على حين غرة ، وتعثر ، وحاول عبثاً ان يظل واقفاً على اقدامه ، ثم هوى الى الأرض ميتاً. لم يعرف الدكتور ابداً ما الذي قتله في حقيقة الأمر — لقد قال أخيراً ان ما قتله كان تخثراً في الدم او شيئاً شبه ذلك . ولم اعرف مطلقاً ما الذي ينبغي أن اصدقه .

فالشيء الوحيد الذي همني هو ان تشانغ قد ذهب — لكن الرقم القياسي الذي سجله ذلك اليوم ما زال محتفظاً بقيمته هناك ، اسرع ما ركض جواد في اي سباق » .

توقف هنري وتوجهت نظراته الى الأدهم ثم قال : « ولم افكر ابداً انني سأرى حصاناً يستطيع ان يحطم ذلك الرقم القياسي — حتى رأيته الآن » . امتد جيد الأدهم الطويل من فوق باب الحظيرة وهز رأسه وحمحم .

وفي عناية اعاد هنري القميص الى الرزمة ونهض واقفاً على قدميه ، وحملها الى زاوية الجرن ووضعها داخل الصندوق . ثم استدار وواجه الغلام وقال : « هناك

شيء واحد وحسب يقف في طريق وضعنا الادهم في سباق : يا أليك » .

ـ « تعني لأنه وحشي للغاية ، يا هنري ؟ » .

ـ « كلا ، لا اعني ذلك . حتى يحين الربيع سيكون قد هدأ قليلاً . لكنني اقرأ في الجريدة ، الآن ، عن كيف حصلت على الادهم . انك لم تخبرني هذا الصباح » .

ـ « كنت سأخبرك يا هنري ، ولكن لم ، يقف ذلك في طريقه ؟ »

ـ « لا شيء سوى انك لا تملك سجلاً بمن كان أبوه وأمه وان حصاناً ما ، يا أليك، يجب ان يكون نسبه مسجلاً ليشترك في سباق » .

أحس أليك بما يشبه المرض في معدته ـ لم يكن قد ادرك من قبل كم بالغ في تصور المستقبل ليرى الادهم يجري في سباق . قال : « تعني ، يا هنري ، ان علينا ان نكشف ذلك قبل ان نستطيع وضع الأدهم في حلبة للسباق ؟ » .

أجاب هنري : « أخشى ذلك ، يا بنيّ » . كان في وسع أليك ان يرى انه كان خائب الأمل بمقدار ما كان هو خائبه ، سأل الرجل الصغير : « أليس هناك من طريقة تتمكن بها من الحصول على تلك المعلومات .

ـ « لا أرى كيف يكون ذلك ، يا هنري . انني اعرف اسم الميناء في جزيرة العرب حيث كان ،لكن هذا كل ما هناك . كل من كان على السفينة غرق ، وهكذا فليس هناك من سجلات نستطيع الحصول عليها » .

فكر هنري لمدة دقيقة . ثم قال : « سأرسل سطرا الى صديق لي في نادي السباق . لعله يستطيع ان يساعدنا بطريقة ما » .

ـ « عظيم يا هنري ، آمل ذلك » !

قال هنري : « لدينا الشتاء كله لنجرب ونكشف . لعلهم يستطيعون ان يتتبعوا نسبه من المدينة لو شيئاً ما . انه يبدو كجواد أثمن من ألا يسجل في في مكان ما » ! وسار نحو الباب ثم واصل الكلام وقال : « عليّ ان اعود الآن وإلا

فان زوجتي ستأتي الي » .

توقف ووضع يده في جيبه . اخرج قطعة من الورق . وقال : « سجّلت ما الذي تحتاجه ليأكل الأدهم ، يا أليك . بعد ان تكون قد انتهيت ، تستطيع الذهاب الى مخزن العلف للحصول عليها . لا نستطيع ان ندع الولد الكبير يأكل كل علف نابليون ، كما تعلم » . توقف وامتدت يده كرة اخرى في جيبه وقال : « اني وقد رأيت اننا سنعمل معاً ، فانه لمن العدل ان اشارك في بعض النفقات ، يا أليك ، وهكذا اريد ان ادفع ثمن هذا » .

ــ « لست ملزماً بأن تفعل ذلك يا هنري . سيعطيني ابي علاوة منتظمة لقاء العمل الذي اقوم به حول البيت » .

ابتسم هنري ورد قائلا : « بالتأكيد . وسنحتاج كل النقود التي نستطيع الحصول عليها ــ انه لأمر يكلف مالاً ان تخلق بطلا ، كما تعلم . ولا نستطيع ان نقتر على طعام الأدهم . لهذا ينبغي ان نعمل معاً كشريكين . هيا الآن ، وخذ هذه النقود واذهب بها الى المخزن » . ودس هنري النقود في يد الغلام .

تطلع أليك من الركبدار العجوز الى الجواد . وقال مبتسما : « حسناً ، ايها الشريك » .

في الصباح التالي عاد أليك الى المدرسة . هبط هويف سامبل وبل لي الى جانبه فيما كان يغادر البناية في النصف بعد الثانية عشرة .

سأل هويف في هيـاج : « ما كل هذا الذي عنك من انك كنت في سفينة غارقة وغـــير ذلك » ؟ وختم بل سؤال هويف قائلا : « نعم ، قرأنا ذلك في الجريدة صباح امس ، ولقد عدت الى البيت بحصان » .

اجاب أليك : « انها الحقيقة . واذا لم تصدقاني ، فتعالا وسأريكما اياه . انني ذاهب الى الاسطبل الآن » .

اجابا معاً : « بالتأكيد سنأتي » .

حين بلغوا الجرن ، رأى أليك هنري . هتف : « هلو » !.

ـ « وهكذا فقد جلبت بعض المتفرجين ، هاه يا أليك » ؟

كانت عيون هويف وبل متجهة نحو الحقل الذي كان الأدهم يرتع في زاوية منه . قالا : « عظيم .. وززز .. »

رفع الأدهم رأسه حين سمع صوت أليك . انتصبت اذناه الى امام وصفر . فأجابه أليك بصفرة . اندفع الجواد ، على حين غرة نحوهم . بقي هويف وبل في مكانيهما مع هنري فيما سار أليك نحو السياج .

تردد الأدهم حين رأى القادمين الجدد . حمحم وخب من حيث جاء منحدراً في الحقل . لم يضطر هنري الى حث هويف وبل على الابتعاد من وجهه . لقد ركضا داخلين الى الجرن ـ وعيونها متسعة من شدة الاثارة . قال بل بنفس مبهور : « هل رأيته ؟ » !

اجاب هويف : « يا الله ، انه اكبر حصان رأيته في حياتي !! ولكن ما الأمه !! » وراحا يراقبان من الشباك .

وانطلق الأدهم يخطو خطوات طويلة مزدهية وجرى نحو أليك ، فيما كان يسير داخلا في الحقل . فهتف هنري : (الأحسن ان تعود ، يا أليك . اذا لم يخفف من سرعته فسوف يضربك) .

انقض الجواد على الغلام مرعداً . وعلى بعد خمس ياردات منه انحرف ، بعد ان كاد يصيبه . ركض الى السياج واستدار ثم جرى نحوه كرة اخرى . انحرف كما فعل من قبل . حذر هنري أليك قائلا : (الأحسن ان تخرج من هناك ، يا أليك) .

هتف أليك من وراء كتفه : (انه يريد ان يلعب لا أكثر ، يا هنري . لقد كنا نفعل كهذا طوال الوقت على الجزيرة لكيكا) .

هتف هنري : « نعم ... بعد الأنس ! » راح يراقب فيما كان أليك يركض

وراء الأدهم حتى حاده الى زاوية . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين وخبط الارض وركض الى جانب ثم الى آخر . سار أليك اليه في بطء . وكلتا يديه منشوزتان منفردتان . شخر الأدهم وعرفه الطويل ساقط على عينيه ، وعلى حين غرة ركض أليك نحوه . دار الجواد على نفسه وانطلق الى جانب . بلغه أليك ولطمه على قوائمه فركض الأدهم الى وسط الحقل ثم استدار ونظر وراءه ، هازاً رأسه . قال هنري لنفسه : « يا لهما من اثنين ! »

كرّ الجواد على الغلام ، منحرفاً مرة ثانية حين أوشك ان يسحقه . ظل هنري ، لمدة عشر دقائق ، يراقب اغرب لعبة شهدها في حياته ، وفي بطء بدأ يفهم التفاهم الغريب الذي نما بين الجواد الوحشي والغلام .

بعد دقائق قليلة جاء أليك اليه . كان قميصه مبتلا بالعرق وعيناه الزرقاوان تلتمعان بالتهيج والأثارة . غمغم قائلا : « هل ترى يا هنري ؟ لقد اراد ان يلعب وحسب ! انظر اليه يا هنري ـ هل رأيت شيئاً عظيماً كهذا في كل حياتك ؟ »

انطلق الأدهم يعدو خبباً ، وكان يجري حول الحقل . كان عرفه يتطاير الى الوراء في الريح ، وفيما اقترب منهما هزت خطواته القوية الأرض هزاً .

مرق مجتازاً اياهما . ولم يقل هنري شيئاً حتى توقف الجواد في الطريق الآخر من الحقل ، وحتى دار على نفسه ووقف ينظر اليهما . كانت عينا هنري متألقتين ايضاً . وقال : « كلا ، لم أر أي شيء مثله ـ ولا حتى تشانغ » . وواصل الكلام قائلا ، بعد لحظة من الصمت : « كتبت الى صديقي في نادي السباق اشرح الوضع واسأله عما اذا كانت هناك طريقة ما نستطيع بها ان نتثبت من نسبه الادهم . انه أصيل اذا صح حكمي ، ولا بد انه مسجل في مكان ما » .

ـ « كم سيمضي من الوقت قبل ان يجيبك يا هنري ؟ »

ـ « لا بد انه سيجيب في وقت ما من هذا الأسبوع ، ليخبرنا ما نفعل ، على اية حال » .

قال أليك : « آمل ذلك ، لايمكن ان يكون ذلك كثير التفكير بالنسبة لي » .

ــ ولا لي .. اظن ان من الاحسن ان نجلبه الآن. لقد مضى عليه ، في الخارج، وقت كاف . ثم سنجعل السياج اعلى قليلاً في بعض المناطق ، بحيث لانضطر الى مطاردته خلال المنتزه ، كما فعلنا امس .

صفر الغلام للادهم راكضاً نحوه . قبض أليك عليه من لجامه وحك انفه . وكان يقوده نحو العنبر حين سمع شخصاً ما يهتف : « هاي ، أليك ، ابتعد ! لاتجلبه هنا . نحن هنا » . وشخر الجواد .

قال أليك : اتعرف يا هنري ؟ لقد نسيت امر هويف وبل . انهما ما زالا في العنبر .. اخرجا يا رجلان . سابقي الأدهم هنا .

خرج الغلامان ، وهما خجلان قليلاً .

قال هويف : « اظن ان من الأحسن ان نذهب الى البيت للغداء » . واسرعا منحدرين في طريق العربات فيما كان الجواد يحمحم في خفوت .

قال أليك ، مكشراً : « اظن انهما يصدقانني الآن » .

بعد العشاء في تلك الليلة ذاتها ، عاد أليك الى العنبر . كان توني قد ادخل نابليون العجوز الى الأصطبل ليقضي الليل . رآه أليك يدس انفه الابيض في حظيرة الأدهم ليسرق شيئاً من دخنه . عضعضه الأدهم مداعباً فسحب نابليون رأسه بسرعة . لم يستطع أليك ان يتغلب على ولع الأدهم بنابليون . لم يعد خائفاً من تركه وحيداً الآن ، فما دام الحصان الأشهب موجوداً ، فقد كان الجواد هادئاً . بعد قليل ، فرش أليك اسطبل الأدهم واطفأ الأنوار وذهب الى البيت

مرت الأيام والأسابيع والشهور . واصبحت حياة أليك من اللحظة التي توقظه ساعته المنبهة فيها في الخامسة كل صباح حتى يغلق كتبه في الليل ، منتظمة كسير الساعة .

كان من عادته ، دائماً ، في الصباح قبل المدرسة ان يطعم الأدهم ويحسه ويركبه حول الحقل . واذا كان الطقس لطيفاً ، تركه في الخارج ، فهو يعلم بأن هنري قريب منه ، ليرعاه . لم يعد لديه وقت للعب ، بعد المدوسة ، مع الزملاء كما كان لديه . ان امامه اشياء كثيرة للغاية عليه القيام بها . كان يندفع الى البيت

في النصف بعد الثانية عشرة ، حالما ينتهي درسه الأخير ، ويتناول غداءه ثم يذهب كرة اخرى الى الاسطبل حيث كان هنري ، في العادة ، ينتظره .

كان هنري قد تلقى جواباً من صديقه في نادي السباق ، يذكر فيه عنوان مكتبهم في اوروبا . كتب يقول : « انه من المشكوك فيه للغـاية ما اذا كان في وسعهم ان يساعدوك ، بما ان ليس لديك الا القليل من المعـلومات للاستناد اليها . وعلى كل حال ، انا واثق من انهم سيبذلون اقصى ما في وسعهم » .

كتب هنري اليهم . وأخبر أليك : « كل ما نستطيع الآن ان نفعله هو ان ننتظر ونأمل . سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً . لكن ذلك لا يمنعنا من تدريب الأدهم . اريد ان افرض رقابة على الجواد – حتى لو لم نكن قادرين على ادخاله السباق ! » .

لم يحاولا ان يضعا السرج او اللجام على الأدهم بعد . اراد هنري ان ينتظر حتى الربيع . لقد اصبح الطقس بارداً والارض صلبة . اخبر هنري أليك قائلاً : « ان عملنا الحقيقي يبدأ في الربيع ، سنسير الآن بالامور على مهلنا ! » اصبحت مهارة أليك في الركوب اعظم فأعظم ، تحت ارشاد هنري وخبرته ، حتى اومأ هنري برأسه علامة الموافقة والرضى . قال لنفسه فيما كان يراقب الغلام وهو يركب عالياً على عنق الجواد الذي راح يخب به في الحقل : « مزيج عظيم ! » .

بعد انتهائه من العمل ، كان أليك في العادة يقضي بقية ما بعد الظهر يؤدي اعمالاً متعددة حول البيت ، اعطاه والده اياها . قال له والده : « عليك ان تكسب منحتك المالية » .

وكان والده قد وجد كثيراً من الاشياء له ، ليقوم بها ، ايضاً . لم يكن أليك يعرف من قبل ان هناك مثل هذه الكثرة من الاعمال للقيام بها حول بيت ما – ولم ينس والده شيئاً .

صار المدخلان الامامي والخلفي يلمعان بالطلاء . واصبحت ابواب الجاراج تفتح بسهولة الآن ، وتبقى مفتوحة . وشع السرداب بالنظافة . ولم يكن أليك يعرف من قبل ان من الممكن ان تسقط مثل هذه الكثرة من الاوراق ، من

الاشجار . في يوم واحد كان يجرف ويحرق مئات منها . وفي اليوم التالي تغطى الساحة بهـا كرة اخرى . ومع مجيء الطقس البارد ، كان هناك النار التي يجب ابقاؤها موقدة والأرمدة التي يجب رميها الى الشارع . ومن حسن الحظ ، ان الثلج لم يسقط حتى الآن ، رغم انهم كانوا في شهر كانون الثاني . فلم يكن لزاماً ازاحة الثلج عن المماشي والممرات .

كان الأدهم يرقب الثلج ، ايضاً . كانت عيناه متسعتين من الدهشة ، وأذناه منتصبتين الى أمام قال أليك : « هنري ! انظر الى الأدهم . هذه اول مرة يرى فيها الثلج ! » .

غمغم هنري : « ذلك صحيح ! ليس لديهم من ثلج في المكان الذي جاء منه ! »

ــ « اني لأتساءل ما الذي سيكون رد فعله الآن ؟ » .

اجاب هنري : « يجب الا تزعجه بالمرة ». خبط الأدهم بأقدامه ارض العنبر . قال أليك : « يبدو ثائر الأعصاب للغاية » .

اجاب هنري : وهو غارق في التفكير : « نعم ، ولكن ذلك لأنه لم يخرج » خلال نصف الساعة القادمة ظل هنري وأليك يراقبان الثلج المتساقط . قال أليك : « يبدو انه اخذ يتوقف الآن » .

بعد دقائق قليلة برزت الشمس من الغيوم . قال هنري فيما كان هو وأليك يراقبان اشعة الشمس تلتمع على الثلج الأبيض « ما اجمل الجو هناك في الخارج الآن » .

استدار الغلام نحو الأدهم وسأل : « هل تظن اننا نجرؤ على اخراجه يا هنري ؟ » .

نظر هنري الى الجواد الذي كان ما يزال يذرع حظيرته وقال : « انه ولا ريب يحتاج الى الهواء يا أليك . من الصعب ابقاء حصان ، له طبيعة هذا الأدهم ، محتجزاً حتى لمدة يوم . هل تظن انك تستطيع تدبير امرك معه ؟ » .

ابتسم أليك واجاب : « لست اخاف من اي شيء مع الأدهم يا هنري ــ انت تعرف ذلك » .

كشر هنري وقال فيما هو يسير نحو العنبر .

« حسناً ، اخرجه ! » .

حالما فتح هنري باب العنر ، شق الأدهم طريقه الى الامام . قبض أليك على لجامه وقال : « هوا ... يا ولد ! » .

تحرك هنري نحو باب العنبر وقال فيما كان يسحب الباب الى الوراء : « الأحسن ان نقوده قليلاً حتى يتعود على الجو » . احجم الأدهم فشدد أليك قبضته على اللجام . وفي حذر قاد الجواد خارج العنبر .

كان الهواء بارداً ، ساكناً . غطست حوافر الأدهم في الثلج . تحرك في حذر حول الغلام ، دون ان يدع اقدامه تبقى لأكثر من جزء من الدقيقة في بقعة واحدة . كان الثلج يتطاير في كل اتجاه . وفي بطء قاد أليك الأدهم طائفاً به الساحة امام العنبر . ظل الجواد يهز رأسه ، وكان نفسه يندفع منطلقاً من منخريه بقوة ، مرسلاً جدولين من البخار الكثيف الى الهواء .

ربط أليك حبل الرصاص الى اللجام ، فأعطاه مجالاً اكثر للركض والجري . رسم الجواد دائرة حوله . وعلى حين غرة توقف ــ وفي حذر خفض نفسه الى الأرض ثم تدحرج على ظهره . وخبطت ارجله متموجة من فوقه .

هتف أليك بهنري : « انظر اليه ! انه يحب هذا ! » .

بعد دقائق قليلة ، نهض الأدهم على اقدامه ، وأمسك أليك به من اللجام . ثم سأله : « هل تحب ذلك ، يا ولد ؟ » فهز الجواد رأسه . ضحك أليك وازال الثلج عن ظهر الجواد . وسأل : « اركبه ، يا هنري ؟ » اجاب هنري « بالتأكيد » . وسار حتى اصبح الى جانب الأدهم ووضع يديه معاً . خطا اليك عليهما وامتطى الجواد .

حذر هنري أليك فيما قاد هذا الأدهم الى الحقل : « تذكر ، كن على مهلك معه

قدر ما تستطيع » . سار أليك يمشي سريعاً وقوائم الجواد تغوص اعمق فأعمق في الثلج.

انحنى أليك وربت على عنق الأدهم . وسأله مرة اخرى : اتحب هذا يا ولد ؟» فانحرف الأدهم قليلاً وانطلق في خبب بطيء . تركه أليك يذهب ثم اعاده الى السير كرة اخرى وقال : « على مهلك يا غلام » .

ترك أليك ، الآن ، الأدهم يذهب حيث أراد . كان يعلم ان الجواد كان مسروراً بالثلج . اتجه نحو المنخفض في الطرف الآخر من الحقل . كان الثلج اعمق قليلاً هناك . وراح الجواد يخطو خطوات عالية ، وارتفع ذات مرة على قائمتيه الخلفيتين . اخرجه أليك من المنخفض . وانطلق الأدهم يعدو خبباً وتركه أليك يذهب ، لكنه شد على اللجام يداً قوية . هبت الريح الباردة في وجهه وراح الثلج يتطاير ، حين بلغا نهاية الحقل ، جذب لجام الجواد فاوقفه .

بعد ساعة من الركوب ، رأى هنري يلوح له بيده ان عُدْ . أدار الأدهم نحو العنبر . وقـــال حين وصل الى هنري : « لقد أحب الثلج » . غمغم هنري : « لم يكن في مثل السوء الذي ظننته سيكون فيه ! » .

نزل أليك من على ظهر الجواد وقال : « انه يتصرف كسيّد مهذّب أكثر فأكثر كل يوم » .

قال هنري : « نعم . وحين يأتي الربيـع ، سيكون جاهزاً لنـــا لنبدأ العمل معه » .

رجّع أليك : « الربيع . ما هو بعيد ، يا هنري — مجرد شهور قليلة قصيرة ».

نظر الرجل والغلام كلاهما الى الآخر — وكلاهما يفكر في الشيء ذاته . وتحولت نظرة هنري الى الأدهم وقال : « لعل ذلك سيكون حوالي أوّل نيسان ، اذا سار كل شيء على ما يرام » .

- ١٢ -

التدريب يبدأ

راحت قدما أليك تتحركان تحت رحلته . تململ والقلم الرصـــاص في يده . كانت الورقة امامه بيضاء ليس فيهـــا من كتابة . لم يكن يستطيع التفكير في الهندسة ، في وقت كهذا . اتجهت عيناه كرة اخرى الى الساعة التي على جانب الجدار ــ ١٢٫٣٠ . بعد خمس عشرة دقيقة سيكون في طريقه ! تحولت عيناه الى التقويم الضخم المعلق فوق السبورة ــ أول نيسان ! لقد ظل ينتظر هذا التاريخ طويلاً ، وها هو قد حلّ الآن . واليوم ، بعد أشهر من الاستعداد والتهيؤ ، سوف يضعان السرج واللجام على الأدهم ويبدآن تدريبه تدريباً حقيقياً،رغم انه لم تصلهما حتى الآن كلمة من اوروبا بخصوص نسب الجواد . وقـــد كتب هنري رسالتين أخريين في الأشهر القلائل الاخيرة .

رأى أليك المعلم ينظر اليه ، ولهذا انحطت نظرته على الورقة امامه . وراحت الدقائق تزحف بطيئة بطء شهور الانتظار كلها . لم يستطع احتمال كل هذا اطول مما احتمل ــ ان عليه ان يذهب وحسب ! وعلى حين غرة قرع الجرس ، وكحصان سباق لمسافات قصيرة وهو ينطلق قفز أليك الى البـــاب . وفتحه واصبح في الممر قبل ان يبدأ بقية تلاميذ الصف في التحرك . ركض في الصالة ، وسمع صوتاً آمراً يخبره بأن يقف ، لكنه استمر يركض . ولم يقف الا حـــين بلغ الشارع . ظل

يركض حتى اصبح اكثر تعباً من ان يذهب ابعد مما ذهب ، ثم تحول ركضه الى مشي سريع .

اندفع الى البيت ورمى كتبه على الكنبة . كانت امه قد هيأت طعام الغداء . جلس ليأكل ، لكنه كان منفعلاً جداً . تطلع الى امه وقال : « انا آسف يا اماه ، لكنني لست جائعاً اليوم » . تطلعت امه اليه . رأت جمرة الأنفعال تلهب وجهه .

سألت : « اهناك شيء هام سيحدث ؟ »

اجاب أليك فيما انتهى من شرب قدح من اللبن :

« نوعاً ما ، يا اماه . لن اعود الى البيت حتى موعد العشاء . وسأتناول طعامي حينذاك » . ركض خارج البيت . ووقفت امه في عتبة الباب وراحت تراقبه فيما شق طريقه منحدراً الى الشارع .

وجد أليك هنري يسير في عصبية جيئة وذهابا امام العنبر . هتف به : « هلو يا هنري ! »

اجاب هنري وهو يخرج الغليون من فمه : « هلو يا بني . يوم دافىء لطيف يصلح للتدريب » وتطلع الى الشمس عالية في الأفق فوق رأسه .

رأى أليك الجواد في الحقل فسأل : « كيف يشعر اليوم ؟ »

اجاب هنري : « كان دائم الحركة طوال الصباح . أظن ان الجـو الدافىء يجعله هو ايضاً يشعر بالقوة والنشاط »

راحا يراقبان الأدهم لدقائق قليلة . ثم قال هنري : « حسناً يا بني يحسن بنا أن نبدأ . أتشعر بأنك على ما يرام ؟ »

ــ « طبعاً . ما الفرق بين ركوب الأدهم وهو مسرج او ركوبه دون سرج؟ »

نفض هنري الرماد من غليونه وقال : « كل شيء يعتمد على الحصان ، ولكن دعنا نذهب . لقد عثرت على سرج ثقيل في مخزن للأغراض المستعملة في نيويورك امس . و مع انه ليس كما ينبغي ، لكنه سيفي بالغرض حتى ندخله الى السباق

وحينذاك نستطيع استعمال السرج الخفيف » . وسار هنري نحو العنبر . صفر أليك فرفع الأدهم رأسه وجاء ، متوثباً ، اليه .

دس الادهم انفه في جيب أليك الجانبي . نحاه أليــك ، معاتباً ، واخرج من جيبه قطعتين من السكر . وسأل الجواد : « أتريد بعض السكر يا فتى ؟ » مــد الجوادلسانه القرمزي الطويل الى يد أليك ، واختفى السكر .

جاء هنري نحوهما حاملا اللجام والسرج وقال : « دعنا نذهب الى وسط الحقل حيث سيكون لدينا متسع من المكان » .

اجاب أليك : « حسناً » . راح الأدهم ينقل خطواته متواثبا الى جانب أليك. حين اصبحا في وسط الحقــل وضع هنري العنان والسرج على الأرض وقال : « سنجرب السرج اولا . لا ادري ما الذي سيحدث » .

وقف أليك عند رأس الأدهم ، وقد شــد قبضته على الزمام . واخذ هنري السرج في ذراعيه واستدار الى الجانب الأيسر من الجواد . رأى أليك عيني الأدهم تتجهان نحو هنري . استشعر بأن شيئاً ما سيحدث وتحرك في قلق . ربته أليــك وتكلم في اذنه .

قال هنري : « امسكه الآن يا بني » .

شدد أليك قبضته على الزمام . ورفع هنري السرج الى ظهر الأدهم ووضعه على الجواد في رفق. لم تتح له الفرصــة لكي يقبض على الحزام . فارتفعت قوائم الجواد الخلفية في الهواء وانقذف السرج ارضاً.ودار الجواد عصبياً،في دائرة،وأشغل أليك يديه في محاولة للتشبث به. التقط هنري السرج واتجه به نحو الأدهم مرة ثانية . قال من خــلال اسنانه التي شدد عليها : « لن يكون هذا سهلاً . امسكه مرة اخرى يا أليك ! » .

ومرة اخرى وضع هنري السرج على الجواد ، ومرة اخرى طــار في الجو . وقال فيما التقطه : « انه لايعطيني فرصة لشد الحزام) .

مرت خمس عشرة دقيقة ولم ينجحا في وضع السرج على الأدهم . كان هنري

وأليك متعبين كلاهما، لكن الجواد لم يكن متهيجاً الى الحد الذي توقعه أليـــك ، وقال هنري : « انه يعاند وحسب » .

لم يكن الأدهم ليسمح للسرج بالبقاء على ظهره مـــدة تكفي هنري لأدخال شرائط الشد خلال الآبازيم . قال: « لو انني استطعت فقط ادخال الشرائط بطريقة ما وشددت ذلك السرج عليه ! » .

فكر أليك لمدة دقيقة وقال : « لعلنا نستطيع ان نفعل ذلك يا هنري . هات قطعتين من ذلك الحبل القوي من العنبر ، واربط كل قطعة الى شرائـــط الشد . وحينذاك سأمسك بالسرج من فوقه ولكن ليس عليه ، وتستطيع ان تسحب الحبل خلال الأبازيم الى الحد الذي تستطيع .

ثم ، حين تقول الكلمة استطيع ان اخفض السرج وفي الوقت نفسه ، تسحب الشرائط خلال الأبازيم . سيكون عليك ان تعمل بسرعة ..»

قال هنري : « قد تنجح وكل شيء يستأهل التجربة الآن » . ذهب الى العنبر وعاد بالحبل .أشغل نفسه بالحبل والشرائط بضع دقائق .وقال اخيراً : « حسناً » .

اقترب أليك من جانب الجواد اكثر . ربّت عنقه ثم تناول السرج الذي اعطاه هنري اياه وأمسك به فوق الجواد . وتساقطت الشرائط والحبل على الجانب الأيمن من الجواد . ورأى أليك ، من زاوية عينيه ، هنري يسحب الحبل تحت الأدهم ويجذبه خلال الأبازيم . والأدهم يتحرك في عصبية حول نفسه . وقـــال أليك : « هوا .. يا ولد » . خفض السرج كأقرب ما يكون مـــن ظهر الجواد ، بحيث استطاع هنري ان يوصل الشرائط الى أقرب ما يستطيع من الأبازيم .

سأل أليك : « كل شيء مرتّب ، يا هنري » .

جاء الجواب : « ثانية واحدة وحسب » .

كان الأدهم ينظر الى الامام حتى نهاية الحقل . قال هنري بصوت خفيض : « حسناً ، الآن » .

وبسرعة وضع أليك السرج على ظهر الأدهم . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين

ووثب أليك الى جانب . كان هنري قريباً من الأدهم بصورة خطرة ، وكانت يداه تجذبان ، بشكل محموم ، الشرائط خلال الأبازيم.

رآه أليك يسحب سحبة نهـائية ، ثم رمى نفسه مبتعداً عـن سنابك الأدهم الخابطة . هتف : « فعلتها ابتعد عن طريقه ! »

شب الجواد عـلى قائمتيه الخلفيتين مرة اخرى ، ثم انطلق راكضاً في الحقل حائداً ورامياً قائمتيه الخلفيتين في الهواء . حاول محاولة اليأس ان يتخلص مـن السرج . راقبه أليك وهنري فيما راح يضرب دائراً حول الحقل . شبّ الأدهم ، على حين غرة ، شبوباً عالياً على قائمتيه الخلفيتين ، ثم وقع على ظهره . سمعا السرج ينكسر .

قال أليك : « ها هوذا يذهب ! » .

أجاب هنري : « اذا لم يتخلص منه ، فإن ذلك يستأهل العناء ! » .

وقف الأدهم ، أخيراً ، على اقدامه . كان السرج ممزقاً محطماً لكنه ما زال على ظهره . مرة اخرى انطلق الجواد يعدو في الحقل ، وعيناه المتوهجتان تتحركان من جهة الى اخرى . فيما اقترب منهما ، صفر أليك . مرّ الجواد يجتازهما خاطفاً . صفر أليك مرة أخرى . فوقف الأدهم على حين غرة ، وشب على قائمتيه الخلفيتين نصف شبّة ، ثم استدار راجعاً .

انتصبت اذناه الى امام ووقف ساكناً لبضع دقائق . ثم انطلق مرة اخرى ، منحدراً في الحقل ، ينحرف من جهة الى اخرى ويرفس .

قال أليك : « كان حسناً انك استطعت ان تحكم شـد السرج يا هنري » اجاب هنري ، وعيناه ما زالتا تتبعان الأدهم : « نعم »

صفر أليك كرة أخرى حين عاد الجواد الى الحقل . وقف الأدهم على بعـد حوالي ثلاثين قدماً منهما . سار أليك ، في حذر ، نحوه .

قال : « ما القضية يا ولد ؟ مذعور من السرج على ظهرك ؟ »

استدار الجواد وظن أليك انه سيعدو في الحقل كرة اخرى . لكنه ، بدلا من ذلك ، دار على نفسه ثم وقف ساكناً . وضع أليك يده في جيبه وأخرج بعض السكر . مدها نحو الأدهم قائلا : « هاك : يا ولد » . وفي بطء سار اليه واعطاه السكر . ربت على العنق الطويل النحيف وقال : ستتعود عليه يا رجل » .

ورأى ان السرج كان متلفاً الى حد كبير لكنه ما زال صالحاً للاستعمال . هتف هنري : « سر به لبضع دقائق ، يا أليك » .

قبض أليك على زمام الأدهم وبدأ يسير به في الحقل . راح الجواد يخطو بخفة وهو يرمي ، بين الحين والآخر ، قائمتيه الخلفيتين في الهواء . بعد عشر دقائق ، قاده اليك عائداً به الى هنري . قال : « انه ليس في حالة سيئة الآن » .

قال هنري : « اقفز عليه اذن ، ودعنا نرى ما يحدث » .

اجاب أليك وهو يتحرك نحو الجانب الايسر من الجواد : « حسناً »

ساعد هنري الغلام على الارتفاع ، بيده ، فاستقر هذا على السرج . وبعد أقل من ثانية وجد نفسه يطير في الهواء . اندفعت الأرض مرتفعة نحوه وكأنها تتلقاه . استطاع أليك ان يحمل قدميه تحته فأفسد سقطته . اضطجع ساكناً للحظة من الزمن وجسده يتوجع . اندفع هنري نحوه وجثا الى جانبه وسأله بلهفة وقلق : « أأوذيت ، يا بني ؟ »

— « أظن أن لا يا هنري . لكني مزعزع قليلا وحسب » .

أمر هنري انامله على رجلي أليك وقال : « حاول ان تنهض على قدميك » . تحامل أليك على نفسه ناهضاً . كان غير ثابت في وقفته للحظة من الزمن ، ثم بدأ رأسه يصفو . رأى الأدهم على بعد اقدام قليلة منه . نظر الجواد اليه ثم تقدم نحوه ودفع انفه الى جيب أليك الجانبي . قال أليك : « يبدو كما كان في السابق على الجزيرة »

والتفت الى هنري قائلا : « لماذا يا هنري ، بحق الشيطان ، يرميني لمجرد ان هناك سرجاً على ظهره ؟ » .

أجاب هنري : « اظن ان ذلك مجرد شيء من تلك الأشياء ، يا أليك . انك لا تعرف كيف يتصرف حصان كهذا ! انه لما يتعود على السرج ولا اعتقد انه كان يعرف انك على ظهره . كل ما كان يستطيع الاحساس به هو ذلك الثقل الاضافي . والآن تحدث اليه كما اعتدت دائما مـــن قبل . دعه يعلم انك ستمتطيه ـ أظن اننا تسللنا اليه نوعاً ما . دعه يحس بذراعيك ورجليك » .

قـــال أليك : « حسناً » . ومرة أخرى اتجه أليك نحو الجانب الأيسر مـــن الأدهم .

سأله هنري : « أمتأكد أنك تشعر بأنك على ما يرام ؟ أتريد ان تنتظر بضع دقائق ؟ » .

أجاب أليك : « كلا » . نظر الى الجواد وأمسك بالزمام بيديه كلتيهما وقال يخاطب الجواد : « والآن ، اصغ يا رجل . على مهلك ! » هزّ الجواد رأسه فكاد يقتلع أليك من على قدميه » .

خطا أليك الى ذراعي هنري الممدودتين . وظل يتكلم في أذن الأدهم ، بينما راحت يده تمر على عنق الجواد جيئة وذهابا . ثم كان في السرج . شب الأدهم على قائمتيه الخلفيتين ، لكن أليك كان متهيئاً هذه المرة . ارتفع مع الجواد عالياً في الهواء وإحدى يديه تتشبث بعرف الأدهم والاخرى باللجام . هبط الجواد واندفع عبر الحقل . اتكأ أليك الى الأمام وظل يتحدث اليه . لم تخفّ سرعة الجواد وظن أليك انه كان يركبه ركوباً آخر كالذي حدث على الجزيرة . وعلى حين غرة وجد انه كان قادراً على ان يقود الجواد ـ لقد سيطر عليه . استدار به بعيداً عـــن الحـــاجز وصعد في الحقل كرة اخرى . اجتـــاز هنري بسرعة وهتف أليك : « عظيم ! » . لم يكن لدى الجواد مجال كاف ليركض كأسرع ما يريد . وبعد فترة قصيرة استطاع أليك ان يخفف من سرعته حتى اوقفه قرب هنري .

قال هنري : « جولة لطيفة ، يا أليك » ، وقبض على زمـــام الأدهم وواصل الكلام : « سنضع اللجام عليه في هذه اللحظة » .

ـ « لكن الا تظن انه متعب نوعاً ما ، يا هنري ؟ » .

أجاب هنري : « ذلك احد الاسباب الـتي تجعلني اقوم بذلك الآن . وفوق ذلك ، لا اظن انه سيكترث بمقـدار ما اكترث للسرج . ان فيه قطعة خفيفة الانزلاق ، وهو ليس اكثر من الزمام الموضوع عليه الآن » .

قال أليك : « انت الرئيس يا هنري . كيف سنقوم بذلك ؟ » .

ـ « ابق انت على ظهره وسأفتح انا فمه ثم تستطيع ان تسحب اللجام على رأسه » .

قال أليك فيما تحرك هنري امام الادهم : « حسناً » .

أولجت يدا هنري الخيزرتان العليكة في فم الادهم خلال بضع دقائق . وبسرعة جذبها أليك فوق اذني الجواد ودفـع الشريط خلل الابزيم . هز الادهم رأسه وتحرك في قلق دائراً حول نفسه . تركه اليك وشأنه ، لمدة خمس عشرة دقيقة ترك الادهم يتعود عـلى العليكة ، ثم قاده منحدراً في الحقل . وفي عنـاية وفي نفس الطريقة التي كان يتبعها عـلى الجزيرة ، علّم اليك الادهم ان يستدير يميناً وشمالاً بمجرد لمسة طفيفة من العنان على رقبته . لم يكن هناك كبير فرق بين طريقة اليك القديمة وبين استعمال الاعنة ، وقد تعلمها الادهم بسرعة .

عاد اليك ، راكباً ، الى هنري وترجّل ابتسم هنري وقـال : « ذلـك يا اليك هو ما ادعوه عملاً موفقاً ليوم واحد ! » .

اجـاب اليك : « بالتأكيد ، يا هنري » . حك اليك انف الادهم . وقال مزهواً : « انك في تقدم ، يا ولد » .

كانت الشمس تختفي وراء ناطحات سحاب مانهاتن في المدى البعيد فيما اخـذ الرجل والغلام والحصان طريقهم الى العنبر .

- ١٣ -

ركوب في الليل

لمح اليك ساعته اليدوية بعينه وهو يسرع بمغادرة البيت الذي ما يزال مظلماً ، وامه وابوه نائمان . الساعة الواحدة . لقد مضى اسبوعان منذ ان ذلل مع هنري الأدهم باللجام والسرج . كان البدر عالياً في السماء . وكانت النجوم متناثرة . وهبت على وجهه نسمة دافئة من نسمات الربيع . ان هنري في انتظاره .

بلغ البوابة ثم دخل . كانت سيـــارة الشحن الـــتي استعارها هنري تقف الى جانب العنبر . وكان هنري يتكىء عليها .

همس اليك : « أكل شيء على ما يرام ، يا هنري ؟ » .

وجاء الجواب الهــادىء : « كل شيء على ما يرام » . فتح باب العنبر في حذر ، لئلا يصدر عنه اي صدى . وقال من وراء كتفه ، وقــد تبعه اليك الى الداخل : « لا تضىء النور » .

صهل الادهم حــين سمعها . مدّ نابليون العجوز رأسه من الحظيرة وصهل ايضاً .

قال اليك وهنري معاً : « ش ش ش » .

قال هنري : « اذهب الى هناك وهدئه . سأجلب الاغراض » .

وضع اليك يداً على كل انف من انفيها وقال : « على مهلكما ايها الغلامان . لا نريد ان نوقظ احداً ، كما تعلمان ».

ميزه الحصان الآن في ضوء القمر . هز الحصـــان رأسه برفق ، ولف نابليون لسانه الطويل حول يد الفتى .

عاد هنري حاملاً اللجام والسرج . قال : « حسناً . اخرجه » . قاد اليك الادهم خارج الحظيرة ، دون ان يزيح دثاره . خطا الجواد في تهيّب ، وسنابكه تهز ارض العنبر هزاً .

واصل هنري الكلام قائلاً : « يا اليك ، حـــاول ان توقفه ساكناً . سيوقظ زوجتي بكل تأكيد ! » .

اجاب الفتى : « سأحاول ، يا هنري . يبدو ثائر الاعصاب للغاية ، اظن انه غـــير معتاد على ان يوقظ في منتصف الليل ! » تلفت الادهم وراءه الى نابليون وحمحم فيما قاده اليك نحو باب العنبر ، ثم اغلق هنري الباب وراءهما .

صهل نابليون داخل العنبر على حين غرة ــ اعلى مما سمع اي منهما صهيلاً منه قبل هذا .

قـــال هنري فيما ركض نحو العنبر : « يا الهي ! لن نخرج من هنا دون ان نوقظ احداً ! » .

رفع الادهم رأسه عالياً في الهواء ، واذناه منتصبتان الى الامام ، واجاب نداء نابليون . نظر اليك اليه ثم الى العنبر .

قال : « هنري » .

ــ « نعم » .

ــ « لدي فكرة . لماذا لا نأخذ نابليون معنا ، ان سيارة الشحن تتسع لكليهما وان لدي شعوراً بأن ذلك سيجعل الادهم اسهـــل كثيراً لدى تداوله ، بالاضافة الى جعله اهدأ كثيراً » .

نظر هنري نظرة تفكير الى الجواد القلق . قال اخيراً : « حسناً . انه امر يستأهل التجربة » . بعد دقيقة قاد نابليون نحو سيارة الشحن .

صهل الادهم برفق حين رآه ، ولم يعان اليك مشقة في ايصاله الى داخل سيارة الشحن عن طريق العارضة الخشبية . وتبعه هنري يقود نابليون . قال هنري : « والآن ، ليس علينـــا ان نعيد هذه السيارة الى الشاب الذي استعرتها منه قبل السادسة وحسب ، وانما علينا ان نعيد نابليون الى توني كذلك ! » .

قال اليك : « انها الواحدة والنصف الآن » .

قال هنري : « علينا ان نكون هناك في الثانية » . وتسلق هنري الى مقعد السائق وجلس اليك الى جانبه . بعد دقيقة كانت سيارة الشحن تتحرك هابطة في الطريق المعد للعربات . وكان لا يأتي من مؤخرة سيارة الشحن سوى صوت سنابك الجواد .

ساق هنري الجواد بسرعة خلال الشوارع المعتمة ، وبعد نصف ساعـــة وقفا امام بوابة حديدية عالية . لمس المزمار لمسة خفيفة مرتين . وعلى الباب قرأ أليك الاسم « بلمونت » . واجتذبت عينيه لمحة من البياض . قبضت على القضبان يدان ، واطل مـــن خلالهما راس مجلل بشعر ابيض كالثلج . وسأل صوت عالي النـبرة عجوز : « أهذا انت يا هنري ؟ » .

استند هنري على جانب السيارة وقد اخرج جسمه . اجاب برفق : « نعم يا جاك — انه انا . أكل شيء على ما يرام ؟ » .

جاء الجواب « على ما يرام » .

سمع اليك جلجلة المفاتيح ، ثم دوران القفل . بعـــد لحظة انفتحت البوابة مشرعة .

حرك هنري السيارة وساقها خلل البوابة . وأغلقت البوابة خلفه . ولم يقف هنري ، ساق كما لو كان يعرف طريقه .

سأل اليك : « من كان ذلك يا هنري ؟».

ابقى هنري عينيه على الطريق المعبد امامه ، لكن اليك لاحظ ابتسامة طفيفة على شفتيه حين اجاب : « ذلك جاك . لقد كنا زميلين منذ عهد بعيد » . ثم غمغم مكشراً : « الحق ان جاك علمني ان اركب الخيل. كنت مجرد فتى صغير يحب الخيول ويريد ان يركبها ، لكني لم يسبق لي ان كنت على ظهر حصان . كان من عادتي ان اذهب لمشاهدة اعمال التدريب في الصباح الباكر ، وانا احلم باليوم الذي سأخرج فيه هناك على صهوة جواد اصيل . وكان جاك خيالاً معروفاً آنذاك . واظن اني كنت اعتبره مثلاً اعلى نوعاً ما ، ولكن جميع الصبية كانوا يفعلون ذلك. على كل حال ، علمني كل ما اعرفه الآن تقريباً . واذا كنت ناجحاً ، فهو سبب ذلك النجاح . انتقل جاك ، فيا بعد ، الى تدريب الخيول وهو الآن في حال طيبة نوعاً ما ، متقاعد ، كما اظن ان في الوسع تسميته » .

توقف هنري عن الكلام وانحرف الى زاوية ، في عناية ومهل. ثم استمر قائلاً: « اتعلم ، يا اليك ، ان الخيول مثل البحر نوعاً ما ، ستكتشف ذلك حالما تتعود عليها وتتعلم ان تحبها . فلن تستطيع التخلي عنها . هكذا جاك وهكذا انا . ان جاك مجرد حارس هنا الآن ، لكنه يحب عمله . هناك خيول تتدرب هنا ، معظم اوقات السنة ، وسيفتتح السباق قريباً جداً ولهذا فهو راضٍ قانع ».

اوقف هنري سيارة الشحن بجانب ساحة السباق .سأله أليك : « أأنت متأكد من انه لا يوجد احد هنا ، يا هنري ؟ » .

اجاب هنري : « بالتأكيد. ليس هنا الا خيول قليلة تتدرب ، وجاك يحرسها ، وهكذا فالمكان ، في الواقع ، تحت تصرفنا » .

كان هنري قد وقف الى جانب رصيف لتفريغ الشحن . قفزا من السيارة واتجها نحو الباب الخلفي ليفتحاه. حمحم الحصان فيما تسلق أليك داخلاً الى جانبها . رمى الجواد رأسه الى الوراء وقطع الحبل المشدود الى سيارة الشحن .

قبض عليه أليك من الزمام وقال : « هوا ، يا ولد ، على مهلك » . صار وراء الأدهم ودفعه حتى اخرجه الى الرصيف ثم انزله الى الارض .

وتبعه هنري بنابليون . قال : « سيكون امراً حسناً ان نبقي نابليون بحيث يستطيع الأدهم ان يراه . والآن ، الأحسن ان تمشي بالأدهم جيئة وذهاباً مرات قليلة لتبرىء رجليه من الجلوس » .

قال أليك : « حسناً » .

بعد دقائق قليلة ، حين سار بالأدهم عائداً به نحو سيارة الشحن ، سمع صوت جاك العجوز ذا النبرة العالية مرة ثانية ورأى الرجل ذا الشعر الأبيض يتحدث الى هنري : «بحق السماء ، يا هنري ، لا تخبرني بأن ذلك الجواد المزيف الواقف هناك هو البطل الذي اجازف بعملي من أجله ! » .

ضحك هنري وقال : « بحق السماء عليك يا جاك . لا تقفز الى الاستنتاجات بهذه السرعة . لم تر الشيطان الأشهب يركض ، بعد » .

اجاب جاك : « لقد مضى عليّ من الزمن وانا أعمل هنا ، يا ولدي ، اكثر من ان تجعلني اعتقد بأن هذا العجوز يستطيع ان يفعل غير ان يقطع ساحة السباق ماشياً . وحق السماء!».

لم يستطع أليك ان يمنع نفسه من الضحك . سمعه جاك فالتفت . ثم رأى الأدهم فانفتح فمه واسعاً وفي بطء سار نحو الجواد . شب الأدهم على قائمتيه الخلفيتين قليلاً ، لكن أليك هدأه فهبط . دار جاك حوله وعيناه تنفضان كل شبر من الأدهم .

جاء هنري اليه وقال بعد دقيقة من الصمت : « حسناً ، يا جاك ، ماذا تظن به ؟ » .

تطلع جاك اليه وقال : « لقد كنت على صواب بالتأكيد ، يا هنري . ان لديك حصاناً حقيقياً هنا » .

سأله هنري مبتسماً : « يستأهل المجازفة بعملك من اجله ؟ » .

اجاب العجوز مؤمناً على قوله برأسه : « يستأهل المجازفة بعملي من

أجله » . واستمر يقول : « لم أر حصاناً مثله ، منذ تشانغ » .

قال هنري : « هذا بالضبط هو ما اخبرتك به » وغمز لأليك ثم قال : «اقدم لك صاحب هذا الجواد الأدهم ، أليك رامسي ـ أليك هذا جاك » .

صافح أليك يد العجوز مصافحة حارة ، ودهش من القوة التي في اصابع جاك .

قال جاك : « مسرور بمعرفتك ، يا بني » .

اجاب أليك : انا سعيد بأن اعرفك ، يا سيدي . كان لطيفاً منك للغاية ان تدعنا ندخل هنا . هنري وانا نقدر ذلك بالتأكيد » .

اجاب جاك : « يسرني ان افعل ذلك . اظن ان هنري يعرف نقطة ضعفي . حين قال ان لديك جوادا بطلا ، كان لا بد لي من ان ارى بنفسي » .

ضحك هنري قائلا : « انك لن تتغير ، يا جاك » .

غمغم العجوز مكشراً : « اخشى ذلك » .

طوح الادهم برأسه وبعثر نسيم الليل عرفه ، قال أليك : «انه يتلهف للانطلاق» .

قال هنري : « حسنا ، سأجلب السرج » . وتحرك نحو سيارة الشحن وقال من وراء كتفه : « البث قريبا ياجاك وسترى اسرع شيء يجري على اربع ارجل » .

اجاب جاك : « لا تقلق لست ذاهبا » . والتفت الى أليك وقال : « تعال يا بني ، سننزل به قرب البوابة » .

بعد دقائق قليلة جاء هنري ورمى السرج فوق الادهم . تخطر الجواد في سهولة ، ثم شب على قائمتيه الخلفيتين قليلا حين شد هنري الرباط ووضع هنري وجاك اللجام عليه .

قال هنري ، حين انتهيا : « كل شيء تم » . والتفت الى أليك وقال : « والآن ... الفكرة الملحة ، يا ولد ، هي ان تعود به على ساحة السباق . بحسن الحظ ان هناك بدراً بحيث انها ليست مظلمة هناك ، ولا اظن ان الرؤية ستكون صعبة .

أبقه مسيطراً عليه غاية ما تستطيع . جرب الا تـــدعه يتصرف وفق هواه حتى يأتي الى الطريق المفضي الى البيت ، حينذاك سيكون كل شيء على ما يرام ، دعه يخرج لمسافة بضع مئات من الياردات . لقـــد مضت عليّ مـــدة طويلة وانا انتظر هذا ! قبل ان تبدأ سر به جيئة وذهابا . فهمت ؟ » .

أجاب أليك : « نعم » .

كان جاك مستنداً الى الحاجز ، ورأسه الأبيض متكىء الى الدربزين ، وعيناه على الجواد . تحرك قليلا ورأى أليك ومضة فضية في يده . فعرف ان جاك كان يمسك بساعة للسباق . رفـــع هنري أليك الى ظهر الأدهم وسوّى ركاب السرج . وصلت ركبتاه الى ذقنه فيما جلس القرفصاء على سرج السباق الصغير كفارس محنّك . تحرك الجواد في قلق . قاده هنري الى ساحة السباق .

قال : « حسناً يا بني . سر به جيئة وذهابا أولاً » .

خطا الأدهم بسرعة على التراب الناعم ، ورأسه مرتفع ، وعيناه تلمحان من جانب الى جانب . مدّ أليك يده وربت عنقه . وغمغم : « على مهلك يا رجل » .

اراد الجواد ان يركض فانشغلت يدا أليك في ابقائه يسير سيراً.ذهب به الى أول عطفة ثم عاد به .كان الليل دافئاً. وفيما بلغا هنري خلع أليك السترة ورمى بها الى هنري قائلاً : « احفظ هذه حتى اعود » . وسار بالأدهم بضع ياردات مجتازاً اياهما .

قال فيما استدار بالأدهم رأساً على عقب : « ها هوذا يذهب » ،

شب الجواد عـــلى قائمتيه الخلفيتين فتشبث الغلام بعنقه ، وقميصه الأبيض يلوح بحيوية ازاء جسم الأدهم ، ثم اندفع الجواد الى أمام . شد أليك الأعنة وكبح من جماح الجواد . انحدرا في ساحة السباق ، وخطوات الجواد العملاقة تبتلع الياردات واحدة بعد الاخرى . كان أليك ، وهو عالٍ في الركاب ، يتعلق واطئاً الى جانب عنق الأدهم . كانت الريح تهب في وجهه ، وتدفقت الدموع منحدرة على خديه . استدارا حول العطفة الأولى وصارا في الامتداد الخلفي . ابقاه أليك قريباً من السياج

الأبيض . ما زال كابحاً لجماح الأدهم ، لكنه لم يسبق له ان انطلق سريعاً كهذه السرعة ، الا على الجزيرة .

احب الجواد ذلك وكافح ليحرر رأسه من شدة العنان . حاول أليك في جنون ان يحده لكن الجواد ، في منتصف الطريق الى الامتداد الخلفي ، اخذ العليكة في اسنانه واختطف الأعنة من سيطرة الغلام عليها . مرة اخرى كان متوحشاً وحراً . جذب أليك الأعنة المرتخية بكل قوة ، لكن الأدهم راح يجري اسرع فأسرع . لم يستطع أليك ان يرى شيئاً بعد . كانت الريح تسوطه كأنها اعصار ، فمزقت قميصه الى شرائط .

فيما دارا حول العطفة البعيدة ، اعتدل الغلام في السرج . وبحكم الغريزة تشبث بعرف الأدهم الطويل وظل كذلك ، متشبثاً بالحياة العزيزة . ارعد الجوادبحوافره ودخل في الطريق المفضي الى البيت . كانت أرجله تخبط في العشب. خطفا مجتازين هنري وجاك ثم دارا حول العطفة الأولى كرّة اخرى ثم الى الامتداد الخلفي من جديد .

كان أليك يكاد يكون غير واع . حاول ان يفكر . عليه ان يوقف الأدهم . شدّ على الأعنة في يأس ، لكنهما مرّا بهنري يجتازانه بأسرع من ذي قبل . كان الجواد ، مرة اخرى ، سيد نفسه ، جارياً كما ولد ليجري .

لم يحسّ أليك بالأدهم يبطيء قليلا وحسب ، الا حينما كانا في منتصف الامتداد الخلفي مرة اخرى. تكلم أليك في أذنه.وأرخى يداً من العرف وفرك عنق الجواد. عندئذ راحت سرعته تقل تدريجياً.وحين اجتازا هنري للمرة الثالثة، كان أليك قد أوشك ان يسيطر عليه . استطاع ان يخفف سرعته بعد العطفة الأولى ، وفي الامتداد الخلفي كان أليك قد اوقفه أخيراً .

اداره رأساً على عقب . صفر الأدهم وهز رأسه . كان يتنفس في ثقل ، وكانت رغوة بيضاء تكسو جسمه الأسود .

راح يخطو بخفة في ساحة السباق متجهاً نحو هنري . بعد دقائق قليلة ركض

هنري وجاك اليه ، وهبط أليك ، في ضعف ، من السرج . أخذ هنري الأعنة كانت متصلبة رطبة بالدم .

نظر الى يدي أليك الداميتين ، واعطى الأعنة لجاك ووضع ذراعه حول الغلام ليسنده وقال : « على مهلك يا بني ».

قال أليك : « انني في خير حال ، يا هنري . انني مجرد دائخ قليلاً » .

قال هنري : « لا بد ان تكون كذلك ، بعد ذلك الركوب » .

وقال جاك : « لن يكون احد قادراً على السيطرة على هذا الحصان حالما يصبح سيد نفسه . فالشيء الوحيد هو ان تفعل ما فعلت ، ان تتشبث به وتنتظر حتى يتعب » .

قال أليك في عزم وتصميم : « سأسيطر عليه – في يوم من الأيام » .

صار يحس بأنه أحسن ، الآن . كانت القوة قد أخذت تعود الى جسمه وبدأت الأرض تستقر في عينيه . أدار الجواد رأسه نحوه ، وأذناه منتصبتان الى الأمام ، وصهل على مهل . دس أنفه في جسم الغلام .

وضع أليك يداً ملفوفة في منديل ، على البوز الناعم . وقال : « لا يمكنك ان تلومه يا هنري . انه أول مرح حقيقي يناله خلال وقت بعيد جداً . ان عليّ ان اتعلم البقاء على ظهره والتمتع معه بالركوب . ذلك كل شيء ! » .

ساروا خارجين من ساحة السباق وأليك يقود الأدهم . لم يتكلم احد مرة اخرى حتى بلغوا سيارة الشحن . كان نابليون يقف هناك مربوطاً الى جانب السيارة . رفع رأسه العجوز الأشهب في حذر . قاد أليك الأدهم اليه ووضعا رأسيهما معاً ، والجواد يخفض رأسه طائعاً .

التفت هنري الى جاك وقال : « لن عليك ان تقر بأن ليس هناك من حصان في البلد يستطيع الاقتراب منه » .

نظر جاك الى الساحة في يديه وأجاب : « كلا . لم اسمع بأي حصان يفعل ما

فعله الليلة . واريدير ، وسيلون قــد يتسابقان معه ، لكنه سيتغلب عليهما انما ركض » .

سأله هنري : « ماذا تعني ــ اذا ركض ؟ » .

أومأ جاك برأسه نحو الأدهم وقال : « لو انه درج على نفس ساحة السباق مع تلك الخيول ، فلن يكون ثمة اي سباق . ذلك الحصان سيريد ان يقاتل ، لا ان يركض . فهو يتوحش حين تأتي . من اين حصلت عليه ، يا بني ؟ » .

نظر أليك الى هنري ، الذي اومأ برأسه . اخبر أليك جاك باختصار كيف حصل على الأدهم .

وحين انتهى قال جاك : « قصة عجيبة ، يا بنيّ » . ثم التفت الى هنري وسأله : « كيف تعرف انه أصيل ؟ أنت تعرف ، كما أعرف ، انه لا يستطيع ان يدخل في السباقات دون ان يسجل ! » .

اجاب هنري ، نعــم اعرف . اننا نأمل ان يكون مسجلاً في سجل انساب الخيل العربي . لقد ظللت اكتب لهم لكنهم لم يجيبوا أظنهم ما استطاعوا ان يجدوا شيئاً حتى الآن» .

نظر جاك الى الأدهم وقال : لقد ولد هذا الحصان متوحشاً ، يا هنري ، اذا كان حكمي صواباً ــ لن تجده قد سجل » .

قال هنري : اخشى انك على صواب ، يا جاك . لكنك لن تستطيع ان تعلم قد يظهر شيء ما نستطيع ان نسابق به الزمن ونجعله يحطم بضعة ارقام قياسية ــ حينذاك سيكون عليهم ان يلاحظوه ! » .

اومأ جاك برأسه وقال : « ليست فكرة سيئة، كثير من الناس سيعطون ذراعهم اليمنى ليروا ما رأيته انا الليلة ! » .

سار أليك بالأدهم جيئة وذهابا لمدة من الزمن ثم قاده الى سيارة الشحن بجانب نابليون . بعد ان ربط الحصانين في امان ، قفز من السيارة وذهب الى حيث كان

هنري وجـــاك يتحدثان . كان هنري يقول : « لن نكون هنـــا غداً في الليل – أعطي الغلام راحة ، ولكننا سنفعلها في الليلة التالية. فكن عند البوابة في الساعة الثانية » .

اجاب جاك : « حسناً » .

صعد أليك وهنري الى المقعد الأمامي . ووقف جاك على الرفرف . نظر أليك الى ساعته وقال فيما بدأت سيارة الشحن تتدحرج : « الثالثة والنصف . آمل الا يكون أهلي قد افتقدوني » .

غمغم هنري : « نعم . وانا آمل الا تكون المسز قد افتقدتني والا فسيكون هناك الكثير من الايضاح والتفسير حين اعود الى البيت ! » .

ضحك جاك ومد رأسه الأبيض خلال النافذة وقال : « وهكذا فهي ما تزال تلبس البنطلون في البيت ، ها ، يا هنري ؟ » .

قال هنري وهو يدور حول زاوية بصورة حادة : « كلا . ليس هو الأمر . انه مجرد انها اصابت كفايتها من الخيول وهي تتوقع مني ان انتهي من الخيول انا ايضاً » .

كشر جـــاك مغمغماً : « اذن ، فهي ما تزال لا تعرفك . أليس كذلك ؟ » . وواصل كلامه قائلاً : « انت مثلي ، يا هنري . فما دام هناك نفس باق في جسدك ، فأنت تريد ان تبقى قريباً من الخيول . ولا شيء في هذا العالم يمنعك عنها » .

وكان ثمة صمت حتى تدحرجت السيارة الى البوابة . قفز جـــاك من الرفرف وفتح البوابة . وفيما اغلقت وراءها ، لوحا بأيديهما يودعان العجوز .

سأل هنري : « حسناً ، يا بني ، لاقيت وقتاً اصعب مما توقع كلانا ، أليس كذلك ؟ » .

اجاب أليك : « اظن ذلك يا هنري . على اية حـــال ، انه لأمر مثير للغاية ركوب الأدهم كما فعلت الليلة ، في ساحة سباق » .

ـ«نعم » ويجب ان اقول انك والأدهم قمتما بعمل جيد للغاية جعلتما رقم السباق القياسي يبدو وكأن حصاناً خشبياً كان قد سجله ! » .

بعد خمس عشرة دقيقة وقفا امام العنبر . قاد أليك الأدهم الى الحظيرة ، ووضع هنري نابليون في الاسطبل ثم تبع أليك الى حظيرة الأدهم . وراح الغلام والرجل معاً بمكانه . بعد بضع دقائق غادرا العنبر المظلم . قال أليك : « ليلة سعيدة » يا هنري . أراك غداً » .

ـ « ليلة سعيدة » يا أليك » .

كان منزل آل رامسي ما يزال مظلماً . فتح أليك الباب بحذر وصعد الدرج الى غرفة نومه . كان كل شيء هادئاً الا شخيراً ، بين الحين والحين ، من والده .

وفي تعب خلع ملابسه وصعد الى سريره .وجسده يوجعه . بعد ساعات قليلة ، قرع الجرس مـــن ساعةالتنبيه في أذنه . وفي نصف وعي مد يده اليها واسكتها . طرد ألم حاد في يده كل النوم عنه . نهض جالسا ونظر الى المنديل الملطخ بالدم الذي ما زال ملفوفا حول يده . ترك يده تسقط على الوسادة . اذن لم يكن ذلك حلما ! لقد ركب ، في الحق ، الأدهم في الليلة المــاضية . استقرت عيناه على الكرسي الذي في جانب سريره حيث كان قد رمى ملابسه . كان قميصه معلقاً على ذراع الكرسي وقد مزق الى شرائط . كان جسده ما يزال يؤلمه في كل مكان فيما رمى الأغطية عنه ونزل من سريره . وبسرعة لبس ملابسه ووضع القميص الممزق تحت ذراعه ــ سيرميه قبل ان تراه أمه . ذهب الى الحمام واغتسل واعتنى بيديه الجريحتين . شدّ على أسنانه عندما أراق الأيودين عليهما ــ لكن رأسه كان محموماً من التهيج ، فمرة اخرى استعادت الحياة الذروة العالية التي صار يحبها .

- ١٤ -

الإعصار وغازي الشمس

بعد ليلتين ركب أليك الأدهم في ميدان السباق مرة أخرى . كان الجواد يجذب الأعنة وأليك يسير به . اتكأ هنري وجاك على السياج ووقف نابليون الى جانبهما ، وعيناه على الأدهم .

كان أليك يلبس سترة سوداء تشد جسمه . وكان يغطي يديه الجريحتين قفازان اسودان . وقد شد منديله حول رأسه ليمنع شعره من السقوط على عينيه . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين نصف شبة _ لقد كان يريد ان يجري ؛ انحنى أليك وقبع قريباً من عنق الأدهم ، وقلبه يخفق بشدة ، لأنه هو ايضاً ، كان يريد ان يحس بالريح تنثال في وجهه مرة أخرى ويحس بالجواد الجبار وهو يؤدي عمله .

أرخى الأعنة ، على حين غرة ، فاندفع الجواد . وحاز على قوة الدفع في وثبات جبارة وانطلق أسرع فأسرع حتى اصبحت مناظر الارض ، مرة اخرى ، مطموسة في عينيه ، ولم يكن هناك سوى الخط الذي لا ينتهي من السياج الأبيض ليقودهما . لم يحاول أليك ان يحد الجواد او يوقفه . كان يهتف : « أركض ، ايها الشيطان » . لكن الريح الممزقة اعادت كلماته الى حنجرته .

اندفعا يدوران في ميدان السباق ، ودفع هنري وجاك ساقي ساعتيهما لضبط

الوقت فيما خطف الأدهم الى جانبها . وبلهفة نظرا الى الساعتين يستطلعان الوقت ثم نظر أحدهما الى الآخر قال جاك : « ان ذلك لم يكن ممكناً ابداً » .

اتجهت اعينهما كرة اخرى الى الكتلة السوداء غـير الواضحة التي كانت تدور العطفة . غمغم جاك : « انظر الى ذلك الحصان وهو يركض ! » .

هتف هنري : « نعم ـ وانظر الى الغلام وهو راكب ! » .

استقر رأس جاك على يديه المسندتين الى السياج وقال : « لم اعرف ابداً ان حصاناً يمكن ان يكون له مثل هذا التحمل الشديد ، يا هنري ! » .

ـ « تذكر انه جواد عربي » .

ـ « ولكنه ليس عربياً خالصاً ، مع ذلك ، يا هنري ـ انه ضخم للغاية ، سريع للغاية . ان دماء كثير من الخيول الجيدة ، تجري في عروقه . نعم ، وما ابقاه على ميدان السباق ، الآن ، سوى حبّه للغلام » .

كان أليك ، وهو عال في الركاب يتشبث بعنق الأدهم وكأنه الطيران . كانت الدموع تنحدر ، بفعل الريح ، على خديه في دفق لا ينتهي . وعلى حـين غرة وفـيما بلغا هنري وجاك ، رأى أليك شبح نابليون الأشهب يقفز الى ميدان السباق . مرا به خاطفين . لكن الأدهم كان قد رأى نابليون ، ايضاً ، فخففت سرعته .

نظر أليك من على كتفه ورأى الحصان الأشهب العجوز يجري نحوهما . خفف الأدهـم سرعته تدريجياً ـ وبدون ان ينتظر اشارة من أليك ـ استدار بسرعة رأساً على عقب نحو نابليون المتهادي ـ . حمحم الحصان العجوز عندما جاءا اليه ، لكنه ابقى رأسه عالياً . مدّ أنفه الى أنف الأدهم ، ثم انطلق يعدو خبباً ويمم شطر العطفة . استدار الجواد بسرعة ـ وبعـد ثلاث قفزات جبارة كان الى جانبه . وخطا نابليون ثلاث خطوات مقابل خطوة من الأدهم . ودارا حول العطفة معاً . راح نابليون يخب وهو واجم كأنه يفكر ، وعيناه على الميدان أمامه . هز الجواد رأسه وعضعض الحصان الأشهب معابثاً وحـين قطع نابليون ثلاثة ارباع الطريق

حول العطفة ، خفف سرعة سيره الى خبب بطيء للغاية .

حين بلغا جاك وهنري كان نابليون منهكاً ، لكن عينيه كانتا متسعتين من الهياج والانفعال . قفز أليك من ظهر الجواد وضحك قائلاً : « الآن لدينا جوادان للسباق » .

قال هنري : « لا ادري ما الذي طرأ عليه . لقد قطع الحبل وقفز الى الميدان هناك حين رأى الأدهم مقبلاً ! » .

مسح جاك يده على جسد نابليون وقال : « اظن انه لا بأس به مطلقاً ولم يؤثر الجري عليه » .

رمى هنري الدثار على الأدهم وقال : « لعل توني سيتساءل لماذا اصبح سهل القيادة في جولاته عليه غداً » .

ضحك أليك وقال : « سيكون لديه أنشط منه في أي وقت مضى . سيكون توني حسن الحظ اذا استطاع كبحه والسيطرة عليه ! »

قال هنري : « الأحسن ان تسير بهما في ميدان السباق ، يا بني » .

قاد أليك الحصانين وذهب بهما ، رفع نابليون رأسه الى الأعلى ما يستطيع ، مقلداً الأدهم . وفي عناية رفع أرجله المضطربة اعلى وحاول محاولة اليأس ان يشب على قائمتيه الخلفيتين ، بالرغم من قبضة أليك الثابتة على زمامه .

كان هنري وجاك واقفين امام سيارة النقل حين عاد أليك بالحصانين. نظر الرجلان الى الجواد وقال هنري : « انني لأعطي الكثير مقابل ان اكون قادراً على الانطلاق به في سباق كبير . يا ولد ، اي منظر عظيم سيكون ذلك ! » .

نظر أليك الى هنري وقال : « لن نفقد الأمل بعد ، يا هنري ، أليس كذلك ؟ » .

اكتسح هنري الجواد بعينيه ثم اكتسح أليك بهما . وقال : « كلا ، يا سيدي ، يا غلام ، سيرون هذا الحصان يركض حتى لو كان عليّ ان اقيم سباقاً بنفسي ! ».

أشعل هنري غليونه . وفي ومض عود الثقـــاب المشعل ، رأى أليك العزم مسطوراً على وجهه . كان لغداه يرتفعان وينخفضان فيما كان يمص الغليون و الدخان الكثيف يرتفع في الهواء ثم يطفو على نسيم الربيع الدافىء ، مبتعداً . رفع هنري الغليون من فمه ، والتفت الى جاك قائلاً : « ألديك اية اقتراحـــات عن اي شيء نستطيع القيام به يا جاك ؟ » .

فكر العجوز لحظة . ثم قال : « كلا ، يا هنري . أظن ان خير شيء نفعله هو ان نسابق به الزمن لبعض الوقت ونجعل الناس يتحدثون عنه . ولكني ، قبل ذلك ، سأنتظر جواب رسالتك » .

انتصبت أذنا الجواد الى امام فيما وصل اليهم صهيل جواد من احد الاصطبلات في البعد . نظر أليك الى الأدهم في اشتهاء . وقال : « هذا ما اشعر به انا ايضاً ، بشأن ذلك يا هنري ».

سننتظر ، لكنه ينتمي الى خير الخيول وعلينا ان نري كل الناس بطريقة ما ، انه كذلك ، سواء اكان سليل أصل كريم أم لم يكن ! » .

مرت الأسابيع وأليك وهنري يدربان الأدهم في وعي .

انتظرا جوابا على رسالة هنري ، بلهفة . مرت الأيام وبدأا يفقدان الأمل شيئا فشيئا . وفي ذات يوم جاء الجواب . اندفع هنري الى العنبر بالمظروف الطويل غير المفتوح ، في يده . كان أليك يحس الأدهم .

وهتف في هياج ، ملوحا بالرسالة : « أليك ، ها هوذا ! ». وفي انفعال وعنف فتحتها يداه . وسقط المظروف الى الأرض .

رأى أليك عينيه تطيران على السطور ، ثم ظهرت الخيبة في وجهه . سلم الرسالة الى أليك . كانت قصيرة ، مجرد اسطر قليلة . وحتى تلك اللحظة ، لم يقرأها أليك كلها . كانت الجملة الأولى كافية : « ليس هناك من حصان مسجل بحيث يطابق الوصف الذي ارسلتموه الينا . وقد قمنا ببحث واسع ... » . أعاد أليك الرسالة الى هنري ، الذي كورها بيده ورماها على الأرض .

في الأيام التي تلت اظهر أليك خيبته بوضوح . كان ركوبه الليلي على الجواد ما يزال مثيراً كما كان ، لكنه كان مشتاقا الى المسابقة بالأدهم إزاء خيول السباق العظيمة في ذلك الحين — خيول مثل غازي الشمس والاعصار اللذين كانا الآن يصنعان تاريخاً لميدان السباق .

كان يقرأ كل كلمة تنشرها الجرائد حولها، ويصغي الى كل سباق عظيم ينقل في الاذاعة .

كان يتصارع على مراتب الشرف العليا ، في المقدمة ، الحصانان العظيمان — كما قال الخبراء — اللذان شهدتها ساحات السباق منذ كانت : غازي الشمس والاعصار . كان غازي الشمس بطل الساحل الغربي ، والفائز بجائزة الـ « سانتا » والـ « انيتا هنديكاب » وأضخم وأسرع حصان في السباق ، كما قالت الأنباء من الساحل . اما الاعصار فقد كان مفخرة الشرق ، وقد ولد وتربى في كنتكي ، وفاز بسباقات الـ « دربي » والـ « بريكنس » والـ « وايدنر فيوترتي » — لم يجاره حصان ليرى ما الذي يستطيع ان يفعله حقاً . قال اتباعه ، حين يأتي وقت كذلك ، فإن سرعة اعصار ستذهل عالم السباق .

وكتب معلقو الألعاب الرياضية مقالات طويلة عن الحصانين ، متنبئين بما سيحدث اذا صادف — للبطلين ان التقيا . كتب المخبرون الصحفيون من الشرق يقولون : « لو جاء غازي الشمس الى الشرق ، فانه سيدفع اعصار الى رقم قياسي عالمي جديد » . بينما قال المخبرون الصحفيون من الغرب : « لو صدف لغازي الشمس ان ذهب الى الشرق ، فانه سيجعل اعصار يبدو وكأنه نسمة صيف هيّنة رقيقة ! » .

مر سباق بعد سباق في تاريخ الميدان . وكان غازي الشمس واعصار الاسمين المترددين على شفتي كل شخص . وراح الرجال والنساء الذين لم يشهدوا سباقاً يتجادلون حول مزايا الحصانين ، واي منهما سيكسب السباق ، اذا قدر لهما ان يلتقيا . وكان هنري وأليك طوال الوقت ينظران الى الأدهم ويبتسمان ابتسامة مبهمة ، لأنهما يعرفان ان لديهما حصاناً سيتغلب عليهما معاً ! .

وفي صباح يوم سبت بعد اسابيع قليلة ، اندفع أليك الى العنبر وفي يده جريدة. وسمعه الادهم الذي كان في الطرف الأقصى من الحقل ، فخب راكضاً اليه مجتازاً هنري . حياه أليك فيما ارعدت سنابك الجواد وهو يقف ويدس أنفه في جسمه : « هلو يا ولد » . ثم سلم أليك الجريدة لهنري وقال : « اقرأ عمود جيم نيفيل » .

اخذ هنري الجريدة وراح يقرأ عمود مخبر الرياضة الشهير . قرأ : « لا حاجة الى القول ان اعظم اثارة في ميدان الرياضة اليوم يسببها أسرع حصانين وضعا قدماً في ميدان السباق ، اعصار وغازي الشمس . لقد كتبت آلاف الكلمات عن هذين البطلين خلال العام الماضي ، وخيضت آلاف المعارك « خارج ميدان السباق » لإثبات ايهما الأحسن . والسخرية التي في كل ذلك هي ان الأرجح هو ان هذين الحصانين لن يلتقيا ، ان المستر سي . تي . فولنس ، صاحب غازي الشمس ، لن يرسل حصانه الى الشرق هذا الصيف لأي سباق هنا ؛ كما ان المستر اي . ايل . هرست ، صاحب اعصار ، لن يرسل حصانه الى الغرب . ويبدو لي ان المستر فولنس والمستر هرست كليهما فاشلان في واجبيهما كرياضيين امريكيين حقيقيين . لأن هناك سباقاً يطالب به الشعب كله ، واياً كانت الاسباب الشخصية لدى هذين السيدين لعدم رغبتهما في الجمع بين هذين الحصانين فإنها يجب ان تطرح جانباً ، في سبيل صالح السباق الأميركي .

وهكذا فإني اقترح ان تعقد مسابقة بين غازي الشمس واعصار في شيكاغو في منتصف الشهر القادم . انني سأرسل رسالتين للمالكين الاثنين اليوم . ليست هناك سباقات كبيرة في ذلك الوقت الذي يجري فيه السباق بين الحصانين . سيكون على كلا الحصانين ان يسافرا المسافة نفسها الى السباق ، وهكذا فلن يكون لأي منهما امتياز او تفوق على الآخر .

وستحل ، حلاً نهـائياً ، مسألة أي الحصانين أسرع ... » تطلع هنري مـن الصحيفة وقال : « سيكون سباقاً عظيماً اذا تركوهما يجريان » .

كان الجواد يقف ساكناً الى جانب أليك، وأسنانه الضخمة تقضم السكر الذي أعطاه الغلام اياه لتوه .

بعد يومين فيما كان أليك يسير عائداً الى البيت من المدرسة مرّ بكشك لبيع الصحف . وقفز العنوان الرئيسي لصحيفة صباحية الى عينيه : « اعصار وغازي الشمس سيتسابقان في ٢٦ حزيران ... » ذاك مـا قرأه . وبلهفة اشترى جريدة وراح يقرأ عمود جيم نيفيل . لقد قبل مالـكا الجوادين عرضه ـ وسيتم السباق .

كتب جيم نيفيل : « كان مستر فولنس ومستر هرست اكرم مما توقعت . لقد عرضا ان يعطيا حصتيهما مـن بيع بطـاقات الدخول الى مؤسسة خيرية تستحق المساعدة ! انني مدين لهما ، كليهما بالاعتذار فانهما رياضيان حقيقيان بكل معنى الكلمة .... » .

لم يستطع أليك ان يصل الى البيت وينتهي من الغداء بسرعة كافية لأن يسمع ماذا كان رأي هنري في ذلك . حين بلغ العنبر رأى ان هنري كانت لديه جريدة وكان يقرأها . تطلع الى أليك فيما تقدم اليه . قال : « حسناً ، لقد ذهبا وفعلاها ! » . اجاب أليك : « يا ولد ، اني لأعطي الكثير مقابل ان أرى ذلك السباق ! » .

انحرف الى طريق دخول السيارات سيـارة مكشوفة فسأل هنري : « اني لأتساءل من يكون هذا ! ».غمغم أليك فيما اقتربت السيارة منهما :« انه جو روسو لم أره منذ ان اخذ مني ذلك الحديث في اليوم الذي وصلنا الى البيت ! » .

قفز جو خارجاً من السيارة وهتف : « هلو أليك. هلو مستر ديلي. كنت ماراً من هذا الطريق لكتابة قصة وفكرت بأن أمر وأرى كيف حالك مـع جوادك الوحشي » .

غمغم أليك مزهواً : « انه في خير الآن » .

قال هنري : « انه ما زال يبقينا على أطراف اصابعنا ، مع ذاك . هنالك هو الآن ، خارجاً في الحقل » .

صفر أليك وقال : « سأريك اياه عن كثب يا جو » .

ركض الجواد نحوهم . وشب عـلى قائمتيه الخلفيتين حين رأى جو ، واندفع

منحدراً في الحقل كرة أخرى . ضحك جو قائلا : « اظن انه قد نسيني » .

صفر أليك مرة أخرى واستدار الأدهم بسرعة وعـــاد . قبض عليه أليك من الزمام .

قـــال جو وهو يصفر اعجاباً : « يا ولد ! علمت انني لم اكن ارى جيداً تلك الليلة . انه بالتأكيد أضخم حصان رأيته » .

قال أليك مزهواً : « واسرع جواد رأيته ، ايضاً » .

قال جو معاتباً : « أسرع من غازي الشمس واعصار » .

قال هنري : « يقهرهما كليهما » .

ضحك جو وقال : « اقول ، تبدوان ايها الرجلان جديين . فالناس في طول البلاد وعرضها ــ يتجادلون حول ايها أسرع جواد في البلاد ــ غازي الشمس أم اعصار ، وانتما تقولان ان حصانكما يستطيع ان يقهرهما كليهما . الأحسن الا تدعا احداً يسمعكما تقولان ذلك ! » .

قال أليك : « انها الحقيقة ، يا جو . لقد كنا نسابق ... » وتوقف ونظر الى هنري .

قال هنري : « لا بأس يا أليك . اظن انه لن يفيدنا او يضيرنا ان نخبر احداً بذلك فنحن نستطيع ان نتسابق به ، على اي حال » .

نظر جو من أليك الى هنري وقال : « تقصدان ان تخبراني انكما كنتما تسابقان به ؟ » .

اجاب أليك : « الى حد ما. لقد كنا نأخذه الى بلمونت في الليل وندربه بعض التدريب » .

وقاطعه هنري قائلا : « ودعني اخبرك ، يا سيدي . لم يجر اي حصان في ذلك الميدان كـــما جرى هذا الحصان . لقد حسبنا له الوقت . ولم يكن ذلك مجرد تخمين » .

قال أليك : « انت ترى اننا نوينا وصممنا على ان ندخله في بعض السباقات الكبرى . كنت انا سأركبه ـ لكننا لم نستطع الحصول على سلسلة نسبه . كتبنا الى بلاد العرب محاولين الحصول عليها لكن ذلك كان مستحيلاً. اننا لا نعرف كثيراً عنه . لا نعرف غير الميناء الذي نزل منه الى المركب . وانت لا تستطيع ان تدخل حصاناً في سباق دون ان يسجل على انه اصيل النسب » .

غمغم جو : « نعم ، ذلك صحيح . وبينما يبدو الأدهم وكأنه أصيل النسب ، فانه بالتأكيد اكثر وحشية من ان يكون قد ربّي كجواد أصيل النسب ! » .

قال هنري : « أظن ان ذلك يبعدنا عن السباقات الى حد كبير، لكنناما نزال نعلم انه أسرع حصان في هذا الجوار ! » .

حك جو رأسه وسأل : « أأنتما متأكدان من انه سريع كما تقولان انه كذلك ؟ » .

اجاب هنري : « بالتأكيد ، انا متأكد . لماذا ؟ » .

ـ « حسناً اعرف سباقاً لا يحتاج اوراقاً للدخول فيه » .

ضحك هنري وقال : « سباقاً في أقليم ؟ »

ـ « كلا ـ السباق بين غازي الشمس واعصار ! » .

قال هنري : « لكنّ ذلك مستحيل » .

فقال جو : « لا مستحيل هذه الأيام . ولكن انستطيع ان ندخله ام لا ، فلن يكون افتقاره الى الاوراق هو الذي يحول دون دخوله . انتما تريان ان ذلك سباق خاص ـ انه لن يعقد في اية حفلة من حفلات السباق . فهو يشبه تماماً مسابقتي اياك النرى أينا أسرع ركضاً .

انهم يستأجرون ميدان السباق ، ويجلبون الحصانين ثم يذهبون ! كل ما عليك ان تفعله هو ان تجعل المالكين الآخرين يدعانك تجري الأدهم في السباق ! » .

قال هنري : « نعم . ذلك كل شيء . ومع ذلك ما ازال أقول انه مستحيل

عملياً ! » .

قال أليك بلهفة : « هناك فرصة ضعيفة ، مع ذلك يا هنري ».

غمغم جو : « لقد قلتها يا غلام . وحيث هناك حياة فهناك أمل ! ».

سأل هنري : « كيف تظن اننا نستطيع ان نفعلها ، يا جو ؟ » .

– لا ادري انني اعمل في نفس الجريدة مع جيم نيفيل ، وهو الشخص الذي بدأ ذلك كله . قد يساعدنا بطريقة ما » .

اقترح أليك : « ربما اذا أخبرته عن الأدهم ... » .

اجاب جو : « ربما . انه مجنون بالخيول ، ولا يظن ان هناك حصاناً في العالم يستطيع ان يقهر اعصار ، حتى ولا غازي الشمس . من الراجح انه سيظنني أهرف اذا اخبرته بأنني اعرف حصاناً – يستطيع ان يقهرهما كليهما » . وتوقف ثم واصل الكلام قائلاً : « انتما واثقان ان الأدهم يستطيع ذلك ؟ » .

ابتسم هنري وقال : « نعم ، يا جو، انا واثق . ولكن بما انني ارى انك شاك نوعاً ما ، فلماذا لا تأتي ذات ليلة حين نجربه ؟ واجلب جيم نيفيل معك ايضاً . حينذاك سيكون لديه شيء يكتب عنه ! » .

اجاب جو : « نظرتك لا بأس بها ، يا هنري . سأتصل بجيم بعد هذا الظهر . حتى ستجربان الأدهم كرة أخرى ؟ » .

اجاب أليك : « غداً في الليل » .

قال هنري « اذا استطعت ان تفعلها ، فانك تستطيع ان تقابلنا عند البوابة الرئيسية في الساعة الثانية » .

قال جو فيما سار نحو سيارته : « روايتنا أشبه بالروايات البوليسية . لكني سأكون هناك ، ولدي شعور بأن جيم سيكون هناك ايضاً ! الى اللقاء ! ».

هتف هنري وأليك : « الى اللقاء ». ورفع الجواد رأسه وحمحم فيما تدحرجت السيارة متجهة نحو البوابة .

- ١٥ -

الجواد الغامض

في الليلة التالية حين ساق أليك وهنري سيارتهما الى بوابة بلمونت الرئيسية شاهدا سيارة جو واقفة هناك . وفيها رجلان . قال أليك في أمل : « ذلك الرجل الذي معه لا بد ان يكون جيم نيفيل » .

أوقف هنري السيارة ومس الزمور مسة خفيفة . نادى على جو برفق : « اقفز على سيارة الشحن — ليس امامنا الا مسافة قصيرة » .

هبط الرجل من السيارة وقفز على رفوف سيارة الشحن . ادار هنري السيارة فيما رأى جاك يفتح البوابة . فدس جو رأسه في النافذة المفتوحة قرب هنري . وغمغم « فطنتها » ثم رفع اصبعاً الى شفتيه ووسوس : « ش ش » الغموض يزداد عمقاً . الى اين تذهب من هنا ؟ » .

قال هنري : « امسك جيداً . سوف ترى » .

بعد خمس دقائق جلسوا الى جانب ساحة السباق . وهبط هنري وأليك من السيارة بعد وقوفها .

كان رجل طويل عريض الكتفين يقف الى جانب جو . كانت قبعته مائلة الى

الوراء ورأى أليك خيوطاًمن الشعر الأبيض تتخلل شعره الأسود. بدا جيم نيفيل، بطريقة ما . كما تخيله أليك . قدمهما جو احدهما الى الآخر .

بعد التقديم ، قال جيم : « بصراحة ... لم يخرجني هنا هذه الليلة سوى رجل الصحافة في نفسي ، لأنه على شدة ما لي من ثقةبصديقي جو هذا ، لا استطيع ان أتخيل حصاناً ـ في الوقت الحاضر ، على كل حال ـ يستطيع ان ينافس اعصاراً وغازي الشمس في السباق ! » .

ابتسم هنري وقال : « بالتأكيد . واني كنت اقول نفس الشيء لو لم ار الأدهم يجري ! » .

نظر جيم نيفيل الى هنري متسائلاً وقـــال : « ألست ، انت نفس هنري ديلي الذي كان يركب تشانغ الى النصر في تلك السباقات كلها الـــتي كانت تقام قبل عشرين عاماً ؟ .

قال أليك مزهواً : « انه هو بعينه » .

فسحب جيم نيفيل قبعته على جبهته . واستطاع أليك أن يرى مرة أخرى انه كان مخبراً صحفياً ـ يتشمم سبيله الى قصة . قال جيم في جد : « وانت تعتقد ان لديك حصاناً يستطيع ان يقهر غازي الشمس أو ـ اعصار ؟ » .

اجاب هنري :« نعم . انه حصان أليك . انني أساعده في تدريبه وحسب ».

تكلم جو روسو قائلاً : « لمـــاذا لا تريه الأدهم يا هنري ، وحينذاك سنتركه يستنتج ما يريد ؟ » .

قال أليك وهو يسير نحو مؤخرة سيارة الشحن : « فكرة طيبة » .

قاد الأدهم من السيارة الى الرصيف . وسمع جيم يغمغم : « الله ، انه حصان عملاق ! » هزّ الجواد رأسه. كان مليئاً بالحيوية الليلة، لأنه يعلم جيداً انه سيجري . استدار برأسه الصغير الجميل جمالاً وحشياً ، نحو مجموعة الرجـــال التي هي دونه . وجمّع جسمه ، وبذل مجهوداً طفيفـــاً ليقفز فصده أليك ، ثم وقف مرتجماً بينما راح الغلام يحادثه ملاطفاً ويربته .

جاء جاك فقدمه هنري الى جو وجيم .

وسار جيم بعناية حول الجواد . ولكن أليك حذره قائلا: « انتبه. فقد يرفسك اذا اقتربت منه كثيراً انه لا يعرفك » .

قال جيم : « لا تقلق . لن اقترب كثيراً من هذا الحصان . بدأت ارى ما الذي تعنون ، اذا كان يستطيع ان يركض جيداً كما يبدو منه » .

اختفى هنري داخل سيارة الشحن وخرج يقود نابليون . رمى جيم رأسه الى الوراء وزعق : « هاي ... ما الذي لديكم هنا ـ بطل آخر ؟ »

غمغم هنري : « هذا نابليون » .

فوضح أليك الأمر قائلا : « ان له نوعاً من الأثر المهدىء على الأدهم ، ولهذا نجلبه معنا دائماً » .

راح جيم نيغيل يراقب ، فيما مدّ نابليون انفه الى انف الجواد . قال : لعلها ليست فكرة رديئة ، على كل حال » .

بعد دقائق قليلة رفعوا أليك الى السرج . خبط الأدهم الأرض بحوافره . واقترب جيم نيغيل كثيراً واختطفته اسنان الأدهم فيما حاول ان يصل اليه . سحبه هنري الى الوراء . كان واضحاً انه لم يعتد على رؤية هذا العدد الكبير من الناس حوله في وقت واحد . طوح برأسه الى الأعلى والأسفل ، وعرفه الثقيل يتساقط على جبهته . على حين غرة رفع قائمتيه الخلفيتين ، منتزعاً اللجام من قبضة هنري . وراح يضرب الهواء برجليه ، فأصاب هنري في ذراعه .

جذب أليك الأعنة بقوة وحرفه الى جانب . قال : « أدهم ! اهبط !» تراجع الرجال بسرعة الى مسافة امينة . كان جاك يشمر عن ساعد هنري ، الذي كان كم قميصه مبتلا بالدم .

سأل أليك : « هل أصابك بسوء ، يا هنري ؟ »

كان جاك وهنري يتفحصان الجرح . اجاب جاك : « لم يكسر شيئاً . مجرد

جرح غير خطير . سنذهب الى البيت ونضمده ! »

قال هنري : « كلا ، لن نذهب . لقد جئت هنا لأشاهد هذا التدريب وسوف أراه . سأعنى بهذا فيما بعد ــ لا بد أن تصاب بأكثر من جرح في هذا العمل » .

هتف جيم نيفيل من جانب الأدهم الآخر : انه شيطان ولا ريب ! »

أجاب هنري : « لقد هيجناه . هذا كل مـــا هناك . لأول مرة يفعل ذلك معي » .

مرة أخرى شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين فجعله أليك يهبط . هتف جاك : « اخرجه من ساحة السباق ، يا ولد »

قفز الأدهم في عصبية ، عندما ساروا به خلال البوابة . ومرة أخرى أحس أليك بجسمه يحترق بفعل الهياج . ربت العرف على عنق الجواد . قال : « انتهينا يا ولد » . تلفت أليك الى المجموعة الصغيرة من الرجال وراءه .

كانوا جميعاً ، مستندين الى السياج ، يراقبون بلهفة . حمـل الهواء صوت جو روسو اليه وهو يقول : « ان ذلك الغلام غير خارج في نزهة »

قبض أليك على الأعنة بأشد مما كان يقبض واتكأ عليها حتى لامس رأسه رأس الجواد . كان يعلم جيداً الخطر الذي يتعرض اليه كلما ركب الأدهم ، خاصة حين يطلق له العنان في ساحة السباق . ان الجواد لن يؤذيه وهو عالم ، لكنه اذا انطلق على هواه ذات مرة ، لم يعد الادهم الذي يعرفه أليك ــ بل انه يعود مرة اخرى، جواداً وحشياً لم يذلل تماماً ، ولن يذلل .

على حين غرة ، اندفع الأدهم، وازدادت سرعته بصورة مدهشة ، فيما راحت أرجله الجبارة تكتسح الأرض . وسمع أليك زئيراً مقعقعاً في اذنيه ، من ضربات الحوافر السريعة . اصبحت سرعـــة الجواد أعظم فأعظم . وأصبح جسد أليك خادراً ، وجعلت السرعة المرعبة من الصعب عليه ان يتنفس . ومرة اخرى اصبح الطريق مطموساً لا يبين بجلاء ، ولم يكن ليعي غير السياج الأبيض ينزلق دون انتهاء . قبضت أصابعه على عرف الجواد وانخفض رأســـه وظل الى جانب عنق

الجواد . كانت الفكرة الوحيدة التي تجول في رأسه هو ان يبقى على ظهر الأدهم وان يبقى محتفظاً بوعيه . أصبح نفسه شهقات قصيرة ، وتلاشى السياج الأبيض من بصره . وفي يأس حاول ان يفتح عينيه ، لكن أجفانه بدت وكأنها مشدودة الى الأسفل بأثقال – وبدأت أجراس ما ، تقرع في أذنيه . اشتد قبض أصابع أليك على عرف الأدهم لقد فقد كل احساس بالوقت – حينذاك بـدأ العالم ينقلب عاليه سافله .

بدا ، بعد ساعات ، انه احس بذراعين تلتفان حول خصره . وكان الشيء التالي الذي عرفه انه وجد نفسه مطروحاً على ظهره بجانب سيارة الشحن .تطلع الى الرجال المجتمعين حوله . كان هنري يركع بجـانبه ، ومنديله الأبيض ملطخ ببقع داكنة كبيرة منتفخة حول ذراعه . وقعت عينا أليك على يديه هو ذاته .

كانت شعرات سود طويلة مقبوضاً عليهـا بين قبضتيه المضمومتين . فتحها ونظر الى كتل الشعر الاسود . وفي تساؤل تطلع الى هنري . وابتدأ الكلام قائلاً « كيف ...؟ »

– « لا بأس ، يا غلام . كنت متشبثاً . اتشعر بأنك على ما يرام ؟ »

اجاب أليك : « دائخ قليلاً . اين الأدهم ؟ »

– « انه في خير – وضعناه في سيارة الشحن مع نابليون ؟ »

سأل أليك : « هل وقعت منه ، يا هنري ؟ »

بلغ صوت جاك ذو النبرات العالية اذني أليك . سأل : « وقعت ؟ يا ولد ، لو ان ذلك الحصان ظل يجري ، لكنت ما تزال عليه . كان الأمر محتاجاً الى سكين لاقتلاعك من ظهره حين وقف ، وكان هنري آنذاك الوحيد بيننا الذي استطاع الاقتراب منه » .

قال أليك : « انت تعلم يا هنري اننا لم نر ذلك الحصان يركض بأقصى سرعته ، حتى الآن . لم اكن لأستطيع ان اتنفس آنذاك » .

اجاب هنري : « لا بد من الشجاعة، لركوبه يا غلام . انني فخور بك للغاية ، لكن دعنا نحاول انهاضك على قدميك . انه خير لك لو استطعت ان تسير » .

ترنح أليك قليلاً فيما رفعه هنري وجاك الى اعلى ، لكن الأرض وقفت عن الدوران بالتدريج وصفا ذهنه . وتنشق هواء الليل عميقاً .

جاء جيم نيفيل وقال : « يا ولد . لقد رأيت كثيرا من الركوب في زماني ، لكني لم ار ركوباً مساوياً لذلك » . ثم التفت جيم الى هنري وقال : « لقد كنت على صواب يا مستر ديلي — انه اسرع جواد رأيناه في حياتنا . اكاد لا اصدق ما رأيته بعيني ، لكن — » وعرض جيم وجه ساعة لضبط الوقت امام هنري وواصل الكلام قائلاً : « لكن لا استطيع ان انكر هذه ! » ثم التفت في فظاظة الى جو روسو وقال : « والآن يا جو ، ان امامنا كلنا غاية نسعى اليهـــا ، فدعنا نذهب » .

— « حسناً يا جيم » .

قال هنري يحضه : « تعال هنا مرة اخرى — في اي وقت تشاء وسندعك ترى أجمل حيوان ذي اربع يجري حتى دون تحويل بالجري » .

اومضت عينا جيم نيفيل وقال : « كثير من الناس سيرون ذلك الحصان وهو يجري ، ان كان لدي ما اقوله عنه ! » .

أحس أليك بالأرض تدور بـــه ومن حوله ، كرة اخرى . قال « قل الحق يا جيم . اتظن اننا نستطيع ؟ » .

اجاب جيم : « لا اعد بشيء ، يا غلام . لكنني سأبدأ شيئاً ما وإلا افتقدت ضيفي . انظر الى العمود الذي اكتبه ، غداً . والآن علينا ان نذهب . تعال يا جو » .

قال جاك : « سأذهب معكما وافتح لكما البوابة » .

بعد ان ذهبوا ، وضع هنري ذراعـه في ذراع أليك وسارا جيئة وذهابا حتى

عاد الدم يدور خلال رجلي الغلام كرة اخرى ، فقال : « اشعر انني بخير الآن » ياهنري » .

صعدا الى سيارة الشحن . نظر أليك وراءه من النافذه الصغيرة ، فرأى الجواد يحدق في قلق اليه ، قال : « نعم يا سيدي . لقد كان ركوبا بحق ! » .

قال هنري : « حسناً يا أليك . آمل انه مهما سيفعل جيم نيفيل ، فسيدخل في ذلك السباق » .

ـ « لست اكثر املا مني ! » .

كان اليوم التالي يوم سبت . أندفع أليك الى العنبر مباشرة بعد الفطور . كان هنري يقرأ عمود جيم نيفيل . بالضبط !! كان جالساً في الخارج يقرأ فيما جاء أليك اليه . سأل الغلام بلهفة : « ماذا يقول ؟ » .

وغمغم هنري فيما ناوله الجريدة : « اقرأه بنفسك » .

انسابت عينا أليك على العنوان ــ من هو الحصان الغامض الذي يستطيع ان يقهر اعصار وغازي الشمس كليهما ؟ وكتب جيم نيفيل بعد ذلك « نعم ، انا اعرف . انا الرجل الذي قال ان لم يكن ثمة حصان في العالم يستطيع ان يقهر تلك الحزمة الخفيفة من الديناميت اعصار حتى ولا غازي الشمس . نعم انا الرجل الذي كتب الى السيدين فولنس وهرست ، مالكي ذينك الجوادين الأصيلين ، مقترحاً المباراة التي ستجري بين حصانيهما في السادس والعشرين من حزيران ــ بعد اسبوعين ، لا اكثر .

كان هذا السباق في رأيي وفي رأي الجمهــور الأميركي جميعاً كما اتصور ــ سيقرر شيئاً واحداً : ان نرى من هو أسرع حصان في البلاد ! ان اعصار وغازي الشمس كليهما قد قهرا كل ما لاقياه في حلبة السباق ، ولم يكن الا طبيعياً ، اذن ، ان يلتقيا ليحلا هذه المسألة ، في السيادة في حلبة السباق .

لكن هذا السباق ، الآن ــ في رأيي ــ لن يثبت من هو اسرع حصان على

اربع ارجل ، لأنني رأيت حصاناً يستطيع ان يقهرهما كليهما . هذا شيء علي ان انفضه من صدري ، لأنكم يا هواة السباق ستتوجون الفائز بسباق شيكاغو كأسرع حصان في العالم – وليس ذلك صحيحاً ، ما زال هناك حصان آخر – حصان عظيم يستطيع ان يقهر ايا منهما .

« انه لمن العدل ان اخبركم ان هذا الحصان لم يسبق له ان تسابق في حلبة ولعله لن يتسابق في حلبة – لأنه يفتقر الى اوراق التسجيل الضرورية. والآن اجد انني قد أشرفت على نهاية عمودي ، ولهذا فسوف اختتمه بهذا التذكير : بينما انتم ايها الناس تصفقون للفائز في السباق الآتي بين اعصار وغازي الشمس باعتباره بطل اليوم ، فانني اعرف حصاناً – حصاناً غامضاً هو هنا في نيويورك ، من الراجح انه يستطيع ان يجعلهما كليهما يأكلان غباره ! » .

قال أليك : « أقول ، تلك بداية لأمر خطير » .

– « لقد قلتها يا بني . سيجعل كل فرد يهاجمه قبل ان ينتهي هذا النهار ! » .

قال أليك : « ومع ذلك لم يصرح ويقترح اشراك الأدهم في سباق المباراة ، يا هنري ! » .

– « كلا – لكنه ترك البـــاب مفتوحاً وتستطيع ان تراهن بأن شخصاً ما سيقترح ذلك » .

– « آمل ان ينجح ذلك . انني افكر وحسب : الأدهم ضد اعصار وغازي الشمس . يا ولد ! يا له من سباق ! » .

– وافقه هنري قائلاً : « لقد قلتها ! » . ثم توقف دقيقة وعـــاد الى الكلام قائلاً : « اقول ، يا أليك ، لو اننا نجحنا في ادخال الأدهم الى السبـــاق – كيف تتصور أهلك يتلقون ذلك ؟ أعني ركوبك اياه ؟ » .

التقت عينا أليك بعيني هنري وقـــال : « ان عليهم ان يدعوني اركب . سيفهمون ، انا واثق ، خاصة بعد ان نخبرهم كيف كنت اركب الأدهم في بيلمونت . شيء مضحك ، يا هنري – قررت امي البارحة ان تسافر الى شيكاغو في منتصف

الاسبوع القادم لتزور خالتي لمدة اسبوعين . ستكون هناك في نفس الوقت الذي يجري فيه سباق المباراة ! » .

قال هنري : « آه ! عظيم !! » .

ـ « امي ليست مولعة بالسباق ، الأرجح انها لن تذهب حتى لرؤية السباق : انت تعلم ، يا هنري ، ما دمنا لا نعرف ما اذا كان الأدهم سيشترك في السباق ، فلن اذكره حتى مجرد ذكر لأمي . اذا اشترك الأدهم ـ فسأتحدث في الأمر كله مع أبي ، وسيفهم » .

اجاب هنري : « انشاء الله »

حين القى أليك نظرة على صحف المساء تلك الليلة ، رأى ان هنري كان على صواب ، في قوله عن وثوب كل شخص على عنق جيم نيفيل . كانت صفحات السباق مليئة بالمقالات التي كانت تسخر بفكرة جيم « الجنونية » وتهزأ منها ومن فكرته بأن هناك حصاناً في امريكا ، نعم وفي نيويورك ، يستطيع ان يقهر البطلين كليهما !

ولأن عمود جيم نيفيل قد نقل في الصحف من الساحل الشرقي الى الساحل الغربي ، ولانه خبير من ابرز الخبراء في الرياضة في البلاد ، اثارت مقالاته عن الحصان الغامض مزيداً من الفضول مع كل يوم يمر . وبالرغم من النقد الذي كان يلقاه ، لم يكن جيم ليترك الجمهور ينسى حصانه الغامض . كان في كل يوم وفي عموده ، ينقل صورة فوتوغرافية له . وفي كل ليلة كان يذكره كرة اخرى ، في برنامج الرياضة الذي يقدمه في الراديو .

كتب احد كتاب الرياضة يقول : « لم يكن بوسع احد غير شخص كجيم نيفيل ان يخلق مثل هذه الضجة التي يثيرها الآن حول مواهب جواد غامض يدعي جيم نيفيل انه قادر على قهر غازي الشمس واعصار كليهما ! »

مر اسبوع ، واستمرت كرة الثلج التي بدأ جيم يدحرجها تزداد سرعة وحجماً . اراد جمهور المتسابقين ان يعرف : « من هو الحصان الغامض ؟ »

كان جواب جيم الوحيد انه كان قد وعد بأن يبقي اسمه مكتوماً ، لكنه يستطيع الحصول على الجواد خلال برهة قصيرة .

استدعى هنري وأليك على التليفون . اخبرهما قائلاً : « لا تجروه في بيلمونت بعد الآن . لقد اتسعت المسألة بأكثر مما املت ان تتسع . سيدخل الأدهم في ذلك السباق بعد ! »

مر اسبوع آخر . غادرت ام أليك بيتها لتزور اختها في شيكاغو . كان سباق المباراة سيجري بعد اسبوع واحد وحسب .

احس أليك بقليل من الخيبة فيما اخذ طريقه نحو العنبر في ساعة باكرة ذات صباح ليدرب الادهم قليلا قبل ان يذهب الى المدرسة . كان الوقت يضيق — لو ان لديهم اسبوعين آخرين وحسب . التقى بتوني خارجاً من العنبر بنابليون .

قال : « هلو ، ايها الشاب . آه ، هذه هي الحياة » دق ذراعيه القصيرتين النحيفتين على صدره وتنشق هواء الصباح الباكر .

قال أليك : « أي والله ، يا توني » .

اردف توني نابليون بعربته وبدأ يلجمه ويشده اليها . قال : « ما القضية ، ايها الشاب . انك تبدو وكأنك هابط في بئر من الكآبة» .

اجاب أليك : « انني على ما يرام يا توني . اظن انني كنت افكر وحسب » . فقال توني في تعقل ، فيما صعد الى مقعده : « ان كثيراً من التفكير لا ينفع » .

— « اظنك على صواب ، يا توني ، اراك فيما بعد » .

جاءه الجواب : « الى اللقاء » .

قاد أليك الأدهم خارج حظيرته ومسح جسمه بقطعة قماش خفيف . ثم شدّ حبل الرصاص الطويل على زمامه وقاده الى الخارج في ضوء شمس الصباح الباكر . راح الجواد يركض حول الغلام . قارعاً كعوبه عالياً في الهواء . ثم اقترب وحاول في معابثة ان يعضعض أليك . سأل أليك : « تشعر بأنك جيد جداً هذا الصباح . أليس كذلك ؟ »

بعد بضع دقائق رمى السرج عليه وركبه الى الحقل . كان بشكل مـا يشعر على الدوام بشعور مختلف حين يكون على ظهر الادهم . كان كأنه في عـالم خاص به . كان ينسى مشاكله والمدينة من حوله ــ كما لو انه يطير في السحاب .

بعد نصف ساعة انزلق من ظهر الجواد وقاده عائداً به الى العنبر . وكان قـد انتهى لتوه من اطعامه حين دخل هنري . قال أليك : « لقد فات وقت المدرسة او كاد . اترى بأساً في ان أمسحه بقطعة القماش ؟ » وتوقف فـيما رأى تكشيرة عريضة على وجه هنري .

قال هنري : « بالتأكيد . ولكن اقرأ هذا قبل ان تذهب ، يا غــلام ! » وناول أليك جريدة . فتحها أليك بسرعة على عمود جيم ــ بدأ قلبه وكأنه وقف حين قرأ العنوان : « الجواد الغامض سيجري في سباق المباراة بشيكاغو » امتلأت نفسه غروراً ولم يستطع ان يرى لمدة دقيقة ــ ثم اتضحت امام عينيه كرة اخرى .

كتب جيم نيفيل : « بالأمس استلمت رسالة من امتع مــا سبق ان كـان لي شرف استلامها كانت من المستر ني . ايل. هرست صاحب إعصار. كانت رسالته قصيرة واضحة الهدف . لقد اقترح فيها انه ما دام سباق المباراة الذي سيقـام في شيكاغو في الأسبوع المقبل ، انما سيقام لغرض السابقة الخالصة ، وجميع ارباحــه ستذهب الى الجمعيات الخيرية ، فلم ير من سبب يحول دون ان يجري الأدهم ضـد جواده ضد غازي الشمس،وقال المستر هرست انه يعتقد مخلصاً بأن اعصار لم يدفع قط الى الركض بالسرعة التي يستطيعها . واذا كان مالك الجواد الغامـض يعتقد بأن حصانه يستطيع ان يقهر اعصار ، فلن يعارض في ان يحاول ما دام المستر سي. تي . فولنس مالك غازي الشمس راضياً ايضاً .

« وحالمـا استلمت رسالة المستر هرست ، تلفتت الى المستر فولنس في لوس انجيلوس وقرأتها له. سألته اذا كان يشعر بالشيء ذاته ، فقال : « نعم بالضبط » . وذهب الى اكثر من ذلك . الى حد قوله انه ما دامت البلاد تتحدث بهذه الكثرة عن الجواد الغامض ، فان ذلك سيوفر عليها الاشتراك في سباق منافسة آخر في

الشهر القادم . قال : « من الخير صيد عصفورين بحجر واحـد . اعصار وحماقـة نيفيل » .

قال أليك فيما انتهى من المقال : « حماقـــة نيفيل ، يا مستر فولنس انتظر وحسب ، وستراه وهو يجري ! »

تطلع أليك من الجريدة الى هنري . وفي بطء انتشرت ابتسامة في وجهـه ، وبدلا من ان يشعر بالنشوة من الهياج كما كان يتوقـــع ، احس بالبرودة وضبط الأعصاب .

قال : « لقد اشتركـ ، يا هنري . لقد اشتركـا ! » . نظر الرجل والغلام احدهما الى الآخر ، ثم استدارا وسارا نحو الجواد الذي كان قد مد رأسه من باب الحظيرة لينظر اليهما في فضول .

- ١٦ -

التحضير

لم يعرف أليك كيف انهى بقية ذلك النهار في المدرسة . كل ما كان يستطيع ان يفكر به هو انه بعد اسبوع من اليوم سيسابق بالأدهم اعصار وغازي الشمس ! وبطريقة ما ، ما زال لا يستطيع ان يصدق، بأن هذا يحدث له هو — أليك رامسي.

في تلك الليلة ، بعد العشاء ، سار الى غرفـــة الجلوس حيث كان والده يقرأ . جلس في كرسي وراح يقلب صفحـات مجلة في عصبية . تطلع اليه والده مـــن جريدته وقال :

« استلمت رسالة من امك اليوم يا أليك ، انها تتمتع بوقتها في شيكاغو وترى خالتك كرة اخرى . تقول انه اذا كان كل شيء على ما يرام هنا فستبقى ثلاثـــة اسابيع ؟ ايلائمك هذا ؟ »

ابتسم اليك وقال : « بالتأكيد يا بابا . أنت طباخ ماهر ! » .

ضحك ابوه وقال : « ستبدأ الامتحانات في المدرسة قريباً ، اليس كذلك ، يا بني ؟ »

— « الأحد » .

اوقد ابوه غليونه ثم التقط الجريدة كرة اخرى . اتجه الى قسم الألعـــاب الرياضية وسأل : « مستعد لها ؟ »

ـ « اظن ذلك » .

اصبحت الغرفة ساكنة . قلب أليك مزيداً من صفحات مجلته ، ثم تطلع الى أبيه الذي كان وجهه مخفياً وراء الجريدة المنشورة . كان الدخان الكثيف يتلوى صاعداً نحو السقف .

تنحنح أليك ثم كان على وشك ان يتكلم حين حطم صوت ابيه الصمت !

« كل ما يستطيع المرء ان يقرأه في قسم الألعاب الرياضية هذه الأيام أخبار سباق الخيل الذي سيقام في شيكاغو يوم الجمعة القادمة . ترى ما هو هذا الجواد الغامض الذي ادخله جيم نيفيل الى السباق ؟ » .

ازدادت سرعة نبض أليك وقال : « ابي »

ـ « نعم ، يا بنيّ ؟ »

ـ « ابي ، ذلك هو ما اردت ان اتحدث اليك عنه . انت ترى .. »

كرة اخرى ، ترك ابوه الجريدة تسقط في حضنه وتطلع اليه .

لم يستطع أليك ان يمنع صوته من الارتجاف حين قال متلعثماً : « الجواد الغامض ـ الجواد الغامض هو الادهم » .

تطلع الأب الى ابنه في دهشة . كانت الغرفة ساكنة . وسأله ابوه : « تعني ، يا أليك ، ان الادهم هو الحصان الذي يتحدث كل الناس عنه ـ انه هو الحصان الغامض ؟ »

قال أليك : « ذلك صحيح يا ابي » . ونهض من كرسيه وذهب الى النافذة . سحب الستارة الى جانب ثم تركها تسقط كرة اخرى .

سأل المستر رامسي : « لكن من الذي سيركبه في سباق مثل ذلك ؟ »

حاول أليك ان يبلع ريقه ، لكن لم يكن ثمة ما يبلعه واجاب بهدوء : « انا ! »

قرع جرس الباب . قال أليك في ارتياح « سأذهب انا وارى ، يا ابي » . كان

يعرف ان الطارق هنري جاء مجيباً لاشارته من النافذة .

دخل هنري وخلع قبعته البنية العتيقة . حدج أليك بنظرة عارفة . وقال كما لو كان يقرر حقيقة واقعة : « مساء الخير ، يا مستر رامسي » .

اجاب والد أليك : « هلو ، هنري . مسرور بأنك هنا . لا بد ان لك ايضاً يداً في هذا الأمر . والآن اخبرني اي شيطان يسير بينكما وبين الادهم ؟ كنت احدس بأن شيئاً ما كان يحدث لكنني لم احلم بشيء مدهش كهذا ! »

قال هنري : « انها قصة طويلة للغاية » .ثم راح ، طوال نصف الساعة التالية ، يحدثه عن تدريب الادهم وركوب أليك في منتصف كل ليلة له في بيلمونت . راقب أليك والده فيما كان يصغي في انتباه الى هنري . كيف سيتقبل الأمر _ كان يحب الخيول نفسه ، لكن هل سيدعه يركب ؟ كان شيئاً حسنا ان امه لم تكن هنا !

حين انتهى هنري ، التفت ابوه اليه وقال : « اتركنا وحدنا بضع دقائق ، يا أليك ، من فضلك ! »

لوما أليك برأسه وصعد الدرج الى غرفته . تطلع هنري الى المستر رامسي وقال : « عليك ان تدعه يركب في ذلك السباق ؛ ان قلبه وروحه مندمجان فيه : ليس أليك نفس الغلام الذي ارسلته الى الهند في الصيف الماضي . انت تعرف ذلك كما اعرفه انا . لكن رجل احسن مما كان بحيث يصلح لها ! »

_ « ولكن ، يا هنري ، انه سباق خطر عليه ان يشترك فيه _ على ذلك الحصان الوحشي ! »

_ « ليس اكثر خطراً مما واجه عدة مرات منذ ان غرقت الباخرة في المحيط . لقد اصبحت اعرف غلامك جيداً خلال الأشهر القليلة الماضية ، واستطيع ان اقول صادقاً انه يختلف عن اي واحد منا. لقد وجد شيئاً لن نجده ، لأننا لن نمر بالتجربة التي كان عليه ان يمر بها » . توقف هنري لحظات قليلة ثم استمر قائلا :

« وفضلا عن ذلك ، سأكون فخوراً للغاية ان يكون لي غلام يستطيع ان

مركب ذلك الجواد الادهم — وهو شيء لا يستطيع غيره في العالم ان يفعله كما انا واثق ! »

نهض المستر رامسي وسار عبر الغرفة . ولم يقل شيئاً مدى لحظات قليلة . ثم سار كرة اخرى نحو الدرج وقال : « حسنا ، يا هنري . سأخبر أليك بأنه يستطيع ان يركب ! »

* * *

تلفن جيم نيفيل الى هنري صباح اليوم التالي ليخبره بأن كل شيء قد رتب للأدهم . وستدفع نفقات شحن الخيول الثلاثة الى شيكاغو من ارباح السباق ، شأن بقية النفقات الأخرى من ميدان السباق واليه . كان اعصار وغازي الشمس سيغادران مكانيهما يوم الاثنين او الثلاثاء ، فيستطيعان بذلك ان يحصلا على يومين من التدريب قبل السباق .

لم يستطع هنري ان يخبره متى سيكون الأدهم مهيأً للسفر ، فعليه أن يسأل أليك أولا عن ذلك .

قال جيم : « مهما فعلت فلا تجره في بيلمونت بعد الآن انني احاول ان ابقي هوية الحصان الغامض سراً ، لأنها اذا ما انكشفت فسيجتاحكما طوفان من المخبرين الصحفيين وسيجعل ذلك الأيام الأخيرة القليلة اياماً محمومة اكثر مما هي . ستكون للأدهم اثارة كافية حتى والأمور على ما هي عليه الآن ! » توقف جيم ثم واصل الكلام سائلاً : « أأنت واثق من انه في حال جيدة يا هنري ؟

يا ولد ، لقد اولعت به ودهشت . انني لأتساءل عما اذا كنت في حلم مما حدث تلك الليلة — ذلك سبب تطلعي الدائم الى ساعة التوقيع في جرار منضدتي ، ذلك هو الشيء الوحيد الذي يجدد ثقتي ».

ضحك هنري وقال : « بالتأكيد ، انه في احسن حال » .

بعد بضع دقائق من مغادرة جيم دخل أليك الى العنبر .

قال هنري : « لقد مر جيم قبل هنيهة ، كل شيء جاهز لشحن الأدهم واعداد اصطبل له هناك ـ لن تكون هناك اية نفقات مطلقاً ! » نظر هنري الى الجواد في الحقل وقال : « حتى نستطيع ان نغادر يا أليك ؟ ان اعصار وغـازي الشمس سيغادران غداً على أبعد تقدير . ذلك يعني انها سيكون لديها ايام قليلة للاعتياد على ميدان السباق » .

اجاب أليك : « لقد تحدثت في الامر مع ابي كرة اخرى . انـه يسمح لي بالركوب ، على شرط واحد ان ابقى حتى انهي امتحاناتي » .

ـ « كم سيأخذ ذلك ؟ »

ـ « سأبدأها غداً واجتاز آخرها صباح الخميس » .

قال هنري : « هاي . والسباق يوم السبت » .

ـ « نعم ، لكن ابي خابر المحطة فوجد ان هناك قطاراً يغادر بعـد ظهر يوم الخميس ويصل الى شيكاغو في الصباح الباكر من يوم الجمعة . انـه الشيء المناسب الوحيد الذي نستطيع عمله ، يا هنري ، وهو ممتلىء النفس فخراً بالامر كله »

ـ « انت على صواب ، يا بني . وليس ذلك بالامر السيء ـ سنصل هناك قبل الميعاد بيوم . لعل من الاحسن اننا لا نصل الى هناك مبكرين للغاية ، لان الادهم هو الذي سنسابق به » .

* * *

القى أليك قلمه من يده . ها هو امتحانه الاخير قد انتهى ! نشف ورقته بعناية وتطلع الى الساعة كان الوقت ظهراً تقريباً . عليه ان يسرع اذا كانا سيذهبان في قطار الساعة الثالثة . سلم ورقته الى المعلم وسار خارجاً من الغرفة .

وفي القاعة التقى بهويف وبيل . سأله بيل : « كيف كانت ؟ »

اجاب أليك ، وهو ينطلق ذاهباً : « لا بأس »

وجارياه في مشيه ، وسأله هويف : « فيم السرعة ؟ »

اجاب أليك : « علي الذهاب الى البيت ـ عمل ما اقوم به » . سيكون ثمة كثير من العمل قبل ان يضعوا الادهم في القطار .

سأل هويف : « كيف حالك مع الادهم ؟ »

ـ « حسن . لماذا لم يعد يراكبها احد بعد ؟ »

اجاب هويف : ارجوك ، لا أريد مزيداً من رؤية ذلك الحصان ـ انه يبدو خطراً للغاية ! »

ووافقه بيل قائلاً : « وانا كذلك . وبمناسبة الحديث عن الخيول ، أستصغي الى السباق الكبير بعد غد ؟ » هز أليك كتفيه .

قال بيل : « سيكون عظيماً ولا ريب . ترى من هو الجواد الغامض الذي سيجري ؟ من سيكون ؟ » قال هويف متضاحكاً : « لعله لقام ما . سيكون اعصار هو الفائز » .

قال بيل : « لن يفوز وغازي الشمس في السباق ؟ من تظن انه سيربح يا أليك ؟ »

ابتسم أليك وقال : « حسن ان الجواد الوحيد الذي تركتماه لي هو الحصان الغامض ولهذا اظن انني سأختاره » .

قال بيل ضاحكا : « انت خاسر » .

غمغم أليك : « وقال وهو يخرج من الباب : « الى اللقاء ايها الرجلان » .

ـ « الى اللقاء » .

حين وصل الى البيت ، وجد اباه ينتظره . ولم يتحدثا عن السباق بينما كانا يأكلان الغداء . ثم ذهبا الى العنبر . لم يكن أليك عصبياً كان ، عوضاً عن ذلك ، هادئاً ومتلهفاً لان يباري بسرعة الادهم اعصار وغازي الشمس .

وامام العنبر رأى أليك هنري وجيم نيفيل . كان كلاهما ذاهبا الى شيكاغو مع الادهم وأليك . ثم كان هناك جو روسو وشخص آخر يحمل آلة تصوير . والى جانبهم وقفت سيارة كبيرة لنقل الخيول . حيا أليك وابوه الجماعة القليلة .

سأل هنري : « أكل شيء مهيء ، يا أليك ؟ »

اجاب جيم نيفيل معابثاً : « اتصور انك قطعت ذلك الامتحان بخطواتـك الـيوم » .

اجاب أليك : « ارجو ذلك » لكن افكاره كانت تسبق الحوادث . اومأ برأسه نحو عربة النقل وقال : « اظن اننا ذاهبون الى القطار في نظـام ، هيه ، يا هنري ؟ »

قال هنري : « اصبت . نحن ذاهبون الى شيكاغو في نظام ايضـاً . اخبرني جيم ان لنا سيارتنا الخاصة التي تنتظرنا في المحطة ! »

غمغم أليك : « كلا ! »

– « نعم . اليس الامر كذلك ، يا جيم ؟ »

اجاب جيم : « بالتأكيد . لقد ذهب اعصار وغـازي الشمس الى شيكاغو في سيارتين خاصتين . وليس من سبب يمنع ذهاب الادهم كذلك . بالاضافة الى ذلك، هنا الكثيرون من الناس وقد اتوا من كل مكان ليروا هذه الخيول الثلاثـة ، لهذا يجب ان تبدو على احسن ما يكون » .

قال أليك : « عظيم »

قال هنري : « انظر ما اعطانا جيم » . ومد يديه بدثار ثقيل اسود مما يستعمل للخيول له حاشية عريضة حوله وفي وسطه كتب بحروف بيض « الادهم » .

قال أليك : « ذلك عظيم منك يا جيم » .

ابتسم جيم وقال : « لا استطيع تركهما يتفوقان على الادهم بأي شيء » .

حمحم الجواد حين دخل أليك العنبر . أخذ أليك قطعة قماش ناعم ومسح بها جسده الضخم قال : « حسنا ، يا ولد . سنذهب الى السباق » . رمى هنري أليه دثاراً فلفه أليك حول الجواد . قال مزهواً : « هاك . سيجعلك هذا دافئاً ناعماً » .

قال هنري : « انه ، يجعله يبدو للعين كجواد حقيقي » .

ربت هنري عنق الجواد وقال: « انه جواد حقيقي » .

ثم قاده خارج العنبر. شب الادهم على قائمتيه الخلفيتين حين رأى الحشد الصغير. ثم رفع رجليه عالياً وراح يسير في حذر في دائرة .

سأل جو روسو : «لنلتقط بعض الصور له تنشر في الجريدة مارأيك ياأليك ؟»

اجاب أليك: « بالتأكيد. تعال ، يا هنري ، ستكون انت في الصورة ايضاً».

مرت عشر دقائق بينما راح المصور الفوتوغرافي يلتقط صوراً . حتى والد أليك ظهر في تلك الصور .

ابتسم أليك وقال : « آمل ان تكون قادراً على استعمال هذه الصور بعد يوم السبت » .

شب الادهم على قائمتيه الخلفيتين كرة اخرى فيما بدا الغلام يقوده صهل صهيلاً عالياً واستدار رأسه نحو العنبر ، سأل أليك : « ما القصة يا رجل ؟ »

قال هنري : « انا اعرف. ففي كل مرة وضعناه فيها في سيارة الشحن ، كان نابليون معه ، والآن ، لعله يتساءل اين اصبح ؟ »

قال أليك : « انت على صواب ! لكن علينا ان نرحله على اية حال . هيا يا ادهم » . لكن الجواد شب على قائمتيه الخلفيتين مرة اخرى ،وحين هبط دفع رأسه في صدر أليك . يدفعه الى العنبر .

قال أليك : (نابليون ليس هناك يا ولد . لقد خرج يعمل مع توني » . لكن الادهم راح يدفع بأشد واقسى . . ولا غير . بعد خمس عشرة دقيقة كان أليك ما يزال يحاول ادخاله الى عربة النقل . قال : « اخاف أن لا جدوى في ذلك . حين يركز ذهنه على شيء ما ، فلا يستطيع احد تغييره ! » .

نظر جيم نيفيل الى ساعته . وقال محذراً « لقد تأخرنا . اذا لم نسر بعد بضع دقائق فلن نلحق بالقطار ــ وليس هناك قطار آخر حتى الغد ! »

توسل أليك قائلاً : « ادهم هيا تعال » لكن الجواد كان يخبط ويدور حول

نفسه وحسب ـ ومنخراه يرتعشان، وعيناه تبحثان عن نابليون . وعلى حين غرة انتصبت اذناه الى الامام . من اقصى الشارع جاء صوت مألوف : (تفاح ، جزر، فاصوليا ، بطاطا ، قثاء وبازلا) .

غمغم أليك : « انه توني ونابليون . انهما في شارعنا ! »

هتف هنري فيما اندفع الى البوابة : « سأجلبهما » .

بعد بضع دقائق انحدر نابليون قادماً من الشارع بأقصى سرعتــه . كان توني وهنري يجلسان في مقعد العربة يقبضان على جوانبها في يأس ، فيما اندفـع نابليون الى الطريق المعد لمرور السيارات .

صهل الادهم بصوت عال . واستدار رأسه نحوهما . كانت ارجــل نابليون العجوز تطاير الحصا والبلاط .

اندفع نحو الادهم ودس انفه في جسمه .

قفز توني وهنري من المقعد . غمغم توني : « يا الهي ، ما خطبه ؟ »

اخبر هنري توني كيف كانا يأخذان نابليون معهما حين كانا يدربان الادهم في بيلمونت وكيف ان الادهم كان سيجري الآن في سباق المباراة الكبير في شيكاغو . وانهى هنري كلامه قائلاً :« والآن ، يا توني لا نستطيع اركابه في عربة النقل لأننا لم نأخذ نابليون معنا ».

تكلم جيم نيفيل قائلا : « توني ، الا ترى بأساً في ان نأخذ نابليون معنــا الى السبــاق ؟ »

بدأ أليك يشعر بأمل اكبر . سأل : « اتظن اننا نستطيع يا جيم ؟ »

ـ « لا شك ، اذا سمح لنا توني بذلك ـ هناك متسع من المكــان في القطار ، ونحن واثقون من اننا سنجد له اسطبلا هناك ».

« ماذا تقول ، يا توني ؟ سنعيده أليك الاحد ليلاً او الاثنين على ابعد حال ، ولتسوية الامر ، سندفع لك عن الوقت الذي يستغرقه غياب نابليون ! »

تطلع هنري الى نابليون وهو يقف ورأسه الى جانب رأس الادهم. صمت للحظة، ثم ارتسمت على وجهه الاسمر تكشيرة وقال: «بالتأكيد، ولم لا؟ ولكن دون نقود من فضلك وشكراً. لقد ظل حصاناً جيداً لمدة خمسة عشر عاماً — والآن هو في عطلة».

قال أليك: «عظيم يا توني. سيعني ذلك الكثير بالنسبة للأدهم ولنا ايضاً».

قال توني مزهواً وهو يضع يداً حنونا على عنق نابليون: «بالتأكيد»

قال جيم نيفيل: «والآن، لنذهب».

قاد هنري نابليون واصعده الى سيارة الشحن وتبعه أليك بالادهم. لقد صار مطاوعاً سهل المراس الآن بعد ان كان عنيداً وصعب المراس من قبل.

بعد بضع دقائق تدحرجت السيارة سائرة. لوحوا بأيديهم للجماعة الصغيرة من الواقفين الى جانب الجرن.

هتف جو روسو: «حظاً سعيداً. وراهنوا عليه بكل ما لديكم».

وصاح توني: «اعتنوا بنابليون».

ثم اجتازوا البوابة.

قال هنري: «لقد انطلقنا»

- ١٧ -

شيكاغو

كانت الثانية والنصف حسب ساعة جيم حين وصلوا الى ساحة الحولة . قال : « مع الوقت » .

كانت سيارات الشحن المحملة بالشحنات من القطارات تندفع الى الساحات ، ومزاميرها تلعلع ، وكانت صيحات الرجال تتردد في هواء ما بعد الظهر . اوقفه هنري عربة الشحن . قال جيم : « سأجد الى اين ينبغي ان نذهب انتظرا هنا » .

تطلع أليك من الشباك وراءه . فرأى رأسي الادهم ونابليون . كان الجواد يخبط الارض بقدميه . قال : « اظن ان الضوضاء هنا جعلته عصبياً نوعاً ما ، يا هنري »

— نعم ، علينا ان نراقبه . لا نريد ان يتهيج كثيراً قبل السباق بقليل .

بعد بضع دقائق عاد جيم . وقال : « ان عربتنا هناك في النهاية » . تحرك هنري بالسيارة وخرج من الساحات المزدحمة . اشار جيم الى السيارة وقال : « تلك هي » .

قال هنري : « استطيع ان اتقهقر بالسيارة الى الباب » وادار دفة القيادة واستمر يقول : « لن يكاد يعلم انه يدخل اليها » .

حين اوقف هنري سيارة الشحن ، قفز جيم وأليك منها وصعدا الى القطار . وتبعهما

أليك . قال أليك فيما نظر حوله : « اقول ، هذا عظيم ! » كان اصطبل على هيئة صندوق في احد طرفي العربة وكانت ثلاثة إمرة في مقدمتها ، وافقه هنري قائلاً : « ليس بالمكان الرديء . لن يكترث الادهم كثيراً من هذا » .

قال جيم : « ليس لدينا اصطبل لنابليون ، مع ذلك » .

قال هنري : « نستطيع ان نضعه خارج اصطبل الأدهم ، ونحرك امرتنا الى هذه الناحية » .

بعـــد ان حركوا الأمرة وفرش هنري اصطبل الجواد بالقش ذهب أليك ليجلب الأدهم .

فتح مؤخرة سيارة الشحن ودخل فصار الى جانبه . تحرك الأدهم في عصبية . ربت أليك عنقه وقال : « هلو ، يا ولد ... »دفع نابليون وجهه نحوه فحك أليك أنفه ايضا وقال : « ستذهبان كلاكما في ركوب طويل الآن » قبض لجـام الأدهم وسيره الى الوراء حتى ادخله الأصطبل . مد الحصان ـ عنقه رافعا اياه عاليا في الهواء واستمرت رجله تخبط الأرض . قال أليك : « هيا ، يا ولد . على مهلك الآن » .

قال هنري : « لا تدخل نابليون الآن . سأحتاج الى المزيد من القش اذا اردنا ان نفرش له بصورة مريحة سأذهب وارى اذا كنت استطيع الحصول على بعض القش » .

قال جيم : « سأذهب معك يا هنري . عليّ ان اعيد عربة النقل هـذه الى مكانها » .

حالما ذهبا ، دخل أليك الى عربة النقل وسحب صندوق هنري الضخم الى داخل عربة القطار . فتحه واخرج قميص هنري الأخضر اللامع وقبعته الخـاصة بالفارس . سيلبسها يوم الجمعة ! نفس الأشياء حتى رقم (٣) الحائل الذي كان هنري يلبسه حين فاز هو وتشانغ بسباق الخيل في كنتكي ! تصلب ـ حلقوم أليك حين اعادها الى الصندوق في عناية .

بعد برهة قصيرة ، عاد هنري يحمل حزمة من القش . نثرها امـــام اصطبل الأدهم . قال : « تستطيع ان تدخل نابليون الآن ». انتصبت اذنا نابليون الى امام حين رأى الأدهم . مد انفه نحوه .

صعد جيم الى العربة وقال : « كل شيء قد رتب » . بعد خمس عشرة دقيقة صفر القطار . هتف أليك : « شيكاغو ! ها قد وصلنا » .

☆ ☆ ☆

بات يتقلب على سريره تلك الليلة . فقد ابقته في يقظـــة قعقعة العجلات على السكة الحديدية . سمع الأدهم يتحرك دون راحة في اصطبله . نهض أليك واخذ طريقه ، في هدوء ، اليه . عرف مـــن تنفس هنري وجيم العميق انهما مستغرقان في النوم .

نابليون ، ايضاً ، كان نائماً .

حمحم الأدهم حين رأى الغلام . حك أليك رأس الجواد وقـال : « ش !! يا ولد » .

تأرجح القطار قليلا ، فنفر الأدهم . سأل أليك : « ليس بأسوأ من السفينة ، مع ذاك . اليس كذلك ؟ » هز الأدهم رأسه . بقي أليك معه لمدة ربع ساعة . ثم ربته للمرة الاخيرة وقال : « علينا ان نحاول ان ننام قليلا ، يا ولد — كلانا يحتاج النوم » .

عاد الى سريره واضطجع . وانزلق الى النوم . كان يحلم بالسباق المقبل . ثم فتح عينيه وحدق في السقف . عليه ان يقلع عن التفكير . عليه ان ينـام قليلا . حاول ان يركز فكره في اصطدام العجلات الرتيب الموزون بالسكة الحديد . خيل اليه انها تقول : « شيكاغو — شيكاغو — شيكاغو — » واستغرق أليك في النوم .

فجأة احس ان هنري يهزه . كان هو وجيم كلاهما لابسين ملابسهما . قال هنري : « لقد اوشكنا ان نصل » .

فراح أليك يرتدي ملابسه وهو نعسان . سأله جيم : « كيف انت يا غلام ؟».

اجاب أليك : « على خير ما يرام » .

قال هنري : « اننا ندخل في حدود المدينة الآن » .

سأل أليك : « كم تبعد ساحة السباق عن المحطة ؟ » .

نظر جيم الى ساعته وقال : « ركوب ما يقارب خمسا واربعين دقيقة . انها الخامسة والنصف الآن . اذا كانت العربة التي ابرقت موصيا عليها ، تنتظرنا ، فسنكون في ساحة السباق في الساعة السادسة والنصف على ابعد تقدير » .

قال هنري : « لنأمل انها هناك . سيكون افضل لو اننا استطعنا ان نصل الى ساحة السباق ، قبل ان يبدأ الناس بالتوافد عليها » .

دخل القطار الى ساحات الحمولة . وضع أليك دثار الأدهم الجديد حوله . وتولى هنري امر نابليون . وفيما باطأ القطار حركته فتح جيم باب عربة القطار . كانت سيارات الشحن تقعقع الى جانب القطار . قال هنري : « انها لا تقل سوءا عن نيويورك » .

قال جيم وهو يقفز من القطار حين وقف : « سأرى ما اذا استطعت ان اجد عربة نقلنا » .

تحرك الأدهم في قلق فامسك أليك بأشد مما كان يمسكه . حرك هنري نابليون حتى صار اقرب اليه . راحت عينا الجواد المذعورتان تحدقان في عصبية خارج الباب المفتوح ، هدأ حين مد نابليون رأسه اليه .

تحركت سيارة ناقلة على طول جانب عربة القطار . ثم سمعا صوت جيم : « ارجعها الى الوراء حتى تصير مؤخرتها عند الباب » . هكذا قال يوجه السائق .

بعد بضع دقائق ، قاد أليك الأدهم الى السيارة الناقلة وتبعها هنري ونابليون.

كانت شوارع الصباح الباكر مقفرة مهجورة، فساروا بسرعة عظيمة الى ساحة السباق . اجتازوا المواقف الضخمة ثم اندفعوا يجتازون البوابة قرب الاصطبلات .

اوقفهم حارس الباب . سائلا : « ماذا تريدون ؟ »

اجابه جيم : « انا جيم نيفيل . لدينا حصان هنا لسباق الغد » .

ابتسم حارس الباب وقال : « الحصان الغامض ، هيه ؟ لقد كنا ننتظره» وفتح الباب هاتفاً بهم : « استعملوا اي اصطبل تشاؤون. لكن لاتقتربوا كثيراً من غازي الشمس واعصار » . ثم اضاف متضاحكاً : « لعل الأفضل ان تقتربوا منهما الان ــ لأنكما لن تقتربا منهما غداً ! » .

قال جيم : «انه يحب التنكيت ، اليس كذلك ؟ » .

قال هنري : « سوف يغير لهجته » .

حدق أليك الى الوراء من خلال النافذة ناظراً الأدهم . كان رأس الجواد ما يزال ممدوداً نحو رأس نابليون .

بعد خمس عشرة دقيقة ، ادخلوا الأدهم الى اصطبله الجديد . ووضعوا نابليون في الأصطبل ــ الخالي التالي له . بــدأ ميدان السباق مهجوراً في سكون الصباح الباكر .

قال أليك : « اظن انه لايسمح للزوار بالدخول » .

اجاب هنري : « سيكون اعصار وغازي الشمس على الخــط بعد حين . وسيأتي الرجلان الموكلان باصطبليهما حالما يسمعان اننا قد وصلنا » .

وذكرهما جيم قائلا : « ولن تستطيعا ان تبعدا رجال الصحافة عن هنــا ، اليوم » .

قال هنري : « علينا ان نبعدهم عن الأدهم ، وإلاّ فلن يستطيع احد ان يقول ما الذي سيحدث » .

اشغل أليك وهنري ، آنذاك ، نفسيهما بجعل الاصطبلين مريحين للجواد ولنابليون ، بينما ذهب جيم ليرى اعصار وغازي الشمس . كان الاسفنج والملابس والفرش تخرج من رزمها .

تطلع هنري ورأى حشداً من الناس يأخذون طريقهم نحوهم .

قال لأليك : « لا بد ان تدريبات غازي الشمس واعصار قد انتهت » .

خرج هنري من الحظيرة ليقابلهم تاركاً أليك مع الأدهم .

رأى ان الحشد كان مؤلفاً من المخبرين الصحفيين وخدم الاصطبلات كما سبق لجيم ان توقع . حياهم هنري قائلاً : « صباح الخير » .

ضحك احد الرجال قائلاً : « اتينا لنرى الحصان العجيب » .

صحح له رجل آخر قائلاً : « تعني الحصان الغامض » .

قال هنري ، مشيراً الى الأدهم الذي كانت عيناه الهائجتان ، تحدقان فيهم : « ها هو ذا » .

ربّتت أليك رأس الجواد قائلاً : «على مهلك ، يا رجل » .

بدأ بعض الرجال يقتربون اكثر .

قال هنري وهو يوقفهم : « عليكم ان تبتعدوا عن حظيرته ، انه متهيج ونحن نريد ان نهدّئه » .

زمجر مخبر صحفي قائلاً : « متقلب المزاج ، هيه ؟ » .

بدأ مزاج هنري الايرلندي يرتفع هائجاً : « حسبك من التعليق البائخ . اذا لم يعجبكم حيث تقفون فسأرميكم خارجاً » .

رأى الرجال ان هنري كان يعني ما يقول ، فابتعدوا عنه . بعد بضع دقائق ، انفضوا ، قال احد خدم الاصطبلات : « لعله لن يكون معجباً بنفسه الى هذا الحد ، بعد غد » .

قال آخر : « لا أدري كيف اشترك في هذا السباق ، على اية حال ! » .

بعد فترة وجيزة عاد جيم ، وقال : « يبدو غازي الشمس واعصار وهما في احسن حال . لماذا لا تـذهبان وتريانها . وسأعتنى بالأدهم ».

قال هنري : « اظن اننا سنذهب ، تعال يا أليك » .

ذهبا أولاً الى اصطبل اعصار . كان ثمةُ حشد امامه ، واختلط هنري وأليك بالحشد دون ان يميزهما احد . كان اعصار قد اقتيد من اصطبله ليستطيع المصورون الفوتوغرافيون التقاط صور له .

كان حصاناً ضخماً ، في مثل ضخامة الأدهم تقريباً . وكان فراؤه يلمع بلون احمر مشعّ في شمس الصباح . تحرك في جلال دائراً حول نفسه . كان رأسه اضخم من رأس الأدهم ، ولم يكن لعينيه تلك النظرة الوحشية الحادة .

همس هنري : « تستطيع ان تعرف انه ولد وترعرع في كنتكي . انه مخلوق للسرعة على الدوام » . أومأ أليك برأسه مؤمناً وقال : « انه ولا ريب خالص النسب » .

راحا يراقبان بينما اخذ المصورون الفوتوغرافيون يلتقطون الصور له . ثم سارا في الخط نحو اصطبل غازي الشمس . رأياه فيما كان يُقاد من ميدان السباق . شهق أليك بنفسه : لقد كان يوشك ان يكون في مثل ضخامة الأدهم وقوته ! كان فراؤه ابيض ناصعاً ، وكان رأسه صغيراً وعنقه يرتفع على هيئة هلال كعنق الأدهم .

قال أليك : « انه يكاد يبدو كالأدهم » .

همس هنري : « نعم ، انه عربي الى حد ما ، ايضاً . لعله سيكون الجواد الذي علينا ان نقهره لكننا لا نستطيع ان ننسى اعصار » . والتفت برأسه الى الوراء وواصل الكلام قائلا : « ان ذلك الحصان لم يدفع ، حتى الآن ، الى الركض باقصى سرعته . فهو يركض بسرعة تكفي لأن يربح ، وحسب » .

قال أليك : « سيكون من الصعب قهر أي منهما » .

قال هنري : « اسرع حصان في العالم ، صدقني . لكننا كنا نعرف مع اي حصان نتسابق » .

قال أليك : « ما زلت اعتقد ان الأدهم يستطيع ان يقهرهما كليهما » .

-١٨-

سباق المباراة

حل يوم السباق الكبير ، اتجهت انظار الامة نحو شيكاغو . وطوال الصباح راحت القطر والباصات والحافلات والطائرات تزأر متجهة نحو المدينة ، فيهبط منها الوف المسافرين الآتين الى ساحة السباق .

اكتسحت روح العيد المدينة بكاملها . اغلقت المكاتب ابوابها ذلك اليوم ، وفي كل مكان كان سؤال واحد يتردد : « من سيربح ؟ اعصار أم غازي الشمس ؟»

سأل رجل بوليس يمتطي دراجة بخارية كان يوجه السير والمرور في زاوية من زوايا شيكاغو المزدحمة المائجة ، فيما اوقف دراجته بجانب تشارلي : كيف انت ، يا تشارلي ؟ » .

وجاءه الجواب : « لم ار في حياتي شيئاً كهذا ، يا بات ! من اين يأتون جميعاً ، بحق الشيطان ؟ » .

كانت زمامير السيارات تنفخ من صفوفها الممتدة دون نهاية من ادنى كل شارع الى اقصاه .

ـ لقد تعبت انا نفسي . انهم محتشدون صفاً صفاً من هنا الى ساحة السباق . لن تتسع لهم جميعاً ! انهم يأتون من جميع انحاء البلاد ليروا هذا السباق ، يا ولدي

اتمنى لو كنت هناك انا نفسي ، لارى اعصار يدحر خصميه .

ركل رجل البوليس دراجته البخارية وانطلق . هتف وسط زئيرها وهديرها: « الى اللقاء . سيكون غازي الشمس هو الفائز بمسافة ثلاثة أطوال ! » .

ـ « سوف ترى ، اقول ، ما رأيك في الحصان الغامض هذا ؟ » .

ـ « ليس بالكثير ـ اظن ان الجميع بدأوا يتساءلون كيف دخـــل الى السباق ، على كل حال . لن يبرز فيه ابداً ـ انه محشو بالهواء ، لا اكثر . الى اللقاء .. » .

* * *

في بيت واسع من الشقق ، غير بعيد عن ساحة السباق ، كانت أم أليـــك وخالته تنظران من شباك غرفة الجلوس الواسع ، الى السيارات بطيئة السير ، من تحتها ، وفي المدى ، كان في وسعها ان تريا ساحة السباق غاصة بالناس منذ الان .

قالت المسز رامسي : « بيس ، هل سبق ان رأيت مثل هذا الازدحام وهذه الكثرة من السيارات في حياتك كلها ؟ ما الذي يحدث هناك ، بحق السماء ؟ » .

ـ « لاتقولي لي انك لم تسمعي بسباق المباراة الكبيرة الذي سيجري اليوم . ظل الناس جميعاً يتحدثون عنـــه . وها ، إن لدي بطاقتين له ـ كنت انوي ان افاجئك ! » .

ـ « ولكن ، يابيس ، لم يسبق لي ان رأيت سباق خيل في حياتي . لا ادري عن اي شيء هو! » .

ضحكت اختها وقالت : « لا شيء في ذلك . الحصان الذي يقطع ساحة السباق اولا ، يربح . لا اذهب كثيراً الى السباق ، لكن هذا شيء يجب أن لا يفوته أحد . فللمرة الأولى ، والوحيدة سيلتقي اعصار وغازي الشمس لقد سمعت بها ، من المحتمل انه سيكون اعظم سباق خيل في تاريخ السباق واذا ظننت انك لن تريه بينما نسكن على بعد لايزيد عن ربع ميل من ساحة السباق ، فذلك... » .

ونظرت الى الشباك وقالت : « انظري الى هذه الحشود ! تعالي ، يا بيل ،

ولنأخذ قبعتينا ومعطفينا ونذهب لنحصل على مقعدين » .

هزت المسز راجبي رأسهـا فيا ذهبت تحضر قبعتها ومعطفها .وقالت : « لذا عرف زوجي او ابني انني رأيت هذا السباق ، فلن أجد لحظة سلام حين اعـود الى البيت .على ان آخذ حصان أليك الى البيت آنذاك ! لقد اخبرتك يا بيل بان كليهما مجنون . انني اقوم بكل ما استطيع عمله الآن لأضبط كل شيء وأسيطر عليه .. انهما يشتهيان ولا شك ان يريا هذا السباق ! » .

-« من المؤسف حقاً انهما ليسا هنا ، لكن المرجح انهما سيصغيان الى ما يـعور فيه ، مذاعاً من الراديو . . . » .

هبطت طائرة من السماء الصاحية . وفي خفة دارت حول الحقــل ثم هبطت وهي تهدر وتدحرجت قليلا ووقفت .

اسرع المسافرون نحو الباب . قال احدهم : « وصلنا في الوقت تمــاما ، اذا اسرعنا » .

صاحت المضيفة : « الباص ينتظركم رأسا ليأخذكم الى ساحة السباق ! » . هرع المسافرون نحو السيارة .

اندفع والد أليك الى مقعد بجانب السائق . سأل : « أتظن اننا سنصل هناك قبل البدء ؟ » .

اجاب السائق : « نعم ، أظن ذلك . انهم دائما يستغرقون بعض الوقت لوضع هذه الاطفال المتقلب مزاجها على الساحة ! » .

قال الرجل الذي انسل الى المقعد التالي له : « ان غـــازي الشمس يدخل ، على الدوام ، في قتال رهيب قبل بدء السباق على كل حال . انــه اكثر وحشية من اعصار » .

قال رجل وراءهما : « لعله يقوم بقتاله آنذاك . لن يكون قريبا من اعصار بالمرة ، بعد ان ينطلقا ! » .

ـ « اوه ، نعم سيكون غازي الشمس هو الفائز بمقدار بُعْدَين اليوم ! » ثم التفت الى المستر رامسي وسأله : « من تظن سيكون الفائز ؟ »

ـ « انني اخترت الحصان الغامض » .

اجاب الرجل : « اقول ، الا تعلم انك ستكون من ضحايا الشهرة واجماع الجمهور . أراهنك على انه لن يكون ثمة حتى حصان ثالث اليوم ! »

قال والد أليك : « سوف نرى . سوف نرى» .

***

ربت أليك الأدهم وقال : « أوشك الوقت ان يحين ، يا ولد » . خبط الجواد ارض حظيرته . وفي الخارج كان ثمة صف من الشرطة يبعد المتفرجين وفي المدى كان في وسع أليك ان يرى المواقف مكتظة بالناس كانت تنساب نحوهم موسيقى يعزفها جوق .

عاد هنري من معاينة الساحة . قال : « سريع كالشيطان ، الأحسن ان تذهب وتزن ، يابني » . توقف ورمشت عيناه قليلا فيما وضع يـــده على القميص الأخضر الذي كان أليك يرتديه . ثم ابتسم وقال : « ملائم لقدك . اليس كذلك ؟ »

اجاب أليك : « عظيم . وكذلك البنطلون والقبعة » . لبس القبعة وجذب رفرفها الأمامي الطويل على عينيه كي يرى هنري ذلك .

قوّم هنري الرقم (٣) على ذراع أليك وقال : « سيجلب لك الحظ . لقد جلب الحظ لي ... »

وزن أليك نفسه وكان في طريقه عائداً الى الاصطبل حين مر بالفارسين اللذين كانا يركبان اعصار وغازي الشمس كانا يبدوان اكبر كثيراً مما ظهرا في الصور التي رآها لهما في الجرائد .

رآه احدهما وقال : « اقول ، انت الولد صاحب الحصان الغامض ؟ » .

أومأ أليك برأسه أن نعم .

غمغم فارس غازي الشمس : « وهكذا فأنت ستركب فعلاً في السباق ! ظننا انك مجرد جزء من احدى خدع الدعاية والاعلان . أليس كذلك يا ديف ؟ ».

جذبه الفارس الآخر من ذراعه وقال : « هيا ، لا تُضع الوقت » ثم تطلع الى أليك وقال : « الأحسن ان تأخذ الأمر على مهل في هذا السباق ، يا غلام » . ثم انطلقا سائرين .

ارتفعت موجة الغضب في نفس أليك فيما سار نحو الاصطبل . من يظن هذان الرجلان نفسيهما ، على كل حال ! لمجرد انهما من المشتغلين القدماء في هذا النوع من اللعب ، راحا يظنان انهما يمتلكان ساحة السباق .

اخرج هنري الأدهم من حظيرته حين عاد .

سأل : « كل شيء على ما يرام ، يا غلام ؟ » .

ـــ « كل شيء على ما يرام » .

جعلت الضوضاء الآتية من بعيد ، الجواد عصبياً فراح يعض العليكة التي في فمه . حك أليك عنقه .

واصل هنري الكلام قائلاً : « مجرد اشيـــاء قليلة اريدك ان تتذكرها ، يا أليك . ليس هناك الكثير مما أخبرك به عن معاملة الأدهم وتسييره ، انت تعرف عنه اكثر مما اعرف . انت فارس ممتاز ، وقد علمتك كل الحيل التي اعرفهـــا ، والآن اصبح بيدك انت ان تستخدمها . ان هذين الفارسين الآخرين أمهر فارسين عرفتهما الحلبة . لن يدعاك تفلت بشيء ، لكنهما لن يحاولا اي شيء خارج عن القواعد والأصول . انهما شاطران لكنهما ليسا قذرين . وهما هنا لـكي يربحا ، ولكن .. هكذا انت ايضاً . تذكر ان تحتك حصاناً رائعاً كالذي تحت كليهما » .

قاطعه أليك قـــائلاً فيما نظر الى الأدهم مزهواً : « انا واثق من ذلك ، يا هنري » .

واصل هنري الكلام : « لا استطيع ان آمرك بأن تكبحه ، لأنك لن تستطيع ذلك . ابث عليه واركب كما لم تركب قط من قبل : اذا كان الجواد هو الجواد

الذي يحسبه ، فلسوف يفوز على طول الخط ! » .

كان اعصار اول حصان يخرج من الحظيرة الى السباق . فقوبل بهتاف وتصفيق وهو في طريقه الى حظيرة خيل السباق . كان يجلله رداء احمر ملتهب يلبس غمامات حمراً ، وكانت رجلاه الأماميتان ملفوفتين بشريط .

بعد بضع دقائق اقتيد غازي الشمس من الحظيرة وهو يكاد يكون محجوباً كله بدثار ابيض من الصوف . كانت أرجله الأربع كلها ملففة . كان يضرب الأرض ، في سيره ، بعصبية ورأسه الصغير يتلفت حوله في خبث ، وقد ارتفع هتاف اخر من الجمهور المحتشد حول الحظيرة حين رأوه .

ثم أطبق على الحشد صمت فيما ظهر الأدهم ، وهو مغطى بثوبه الأسود الجديد، يصحبه نابليون العجوز . قاده أليك من حبل الرصاص المشدود الى لجامه . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين فترك أليك الحبل ينفلت من خلال أصابعه حتى سقط . اتقدت عينا الأدهم حين رأى الجوادين الآخرين . تذكر أليك القتال الذي دار بين الأدهم وبين الجواد الكستنائي في ريو ، فشدّد قبضته على الحبل وسار به وراء الجوادين الآخرين بمسافة بعيدة حين بلغا الحلبة .

حطم السكون زعيق رجل بصوت عال : « ها هو الحصان الغامض ! » ثم بدأ كل شخص يتكلم . لم يكونوا قد توقعوا أن يروا أي شيء كالأدهم . سمع أليك رجلا يغمغم : « انه اضخم حتى من غازي الشمس ! » وبعد بضع دقائق نادى احد موظفي ساحة السباق : « ليمتط الفرسان خيولهم ! »

خلعت الأدثرة عن الخيول . واسرع هنري الأدهم ثم رفع أليك الى السرج . وقال له وهما يسيران حول الحلبة في بطء : « دع الآخرين ينطلقان اولا ، لكي لا يكون هناك اي مشكل » . كان الأدهم يحدق في الحصانين المتقدمين عليه بمسافة بعيدة . ارتجف منخراه وهز رأسه في عصبية . كان أليك يعلم ان وجود نابليون وحده الى جانبه هو الذي ابقاه مضبوطاً .

كان صف طويل من رجال البوليس يصد الجمهور ويشق طريقاً من حظيرة

خيل السباق الى الساحة . ونفخ في الصور . فرفع الأدهم رأسه وانتصبت أذناه الى امام . قاده هنري نحو ساحة السباق .

وقفا امام البوابة . كان اعصار وغازي الشمس يسيران ، منذ ذلك ، مارين بالمنصة الكبرى في طريقها الى نقطة الانطلاق .

تطلع هنري الى أليك وقال في هدوء : « حسناً ، يا غلام ، أنت سيد نفسك الان ، فابذل جهدك ! »

خفق قلب أليك حين رأى الجمهور المتراص من الناس ، يمتد امامه . قال : « حسناً ، يا هنري ». صهل نابليون العجوز شاكياً حين منعه هنري من ان يتبع الأدهم الى ساحة السباق .

كانت كل بقعة حول أسيجة الدائرة الخارجية مكتظة بجماهير متهيجة . وقد وقف الكثيرون على اعالي السطوح ، التي تبعد مسافة ميل كامل من نقطة الانطلاق. كان انتباههم مركزاً على غازي الشمس واعصار فيما اجتازا موقفيهما . ثم رأوا ، على حين غرة الجواد الأدهم العملاق ،وعرفه يتماوج كشعلة نار تتلاعب بها الريح ، وهو ينحدر في ساحة السباق . نهض المتفرجون من مقاعدهم ورفعت الأيدي المتهيجة المناظير الى العيون .

هتف معلق مشهور من المعلقين الرياضيين مخاطباً مستمعي الراديو في طول البلاد وعرضها « انه الحصان الغامض ! » قال ، وقد تركت يده الميكروفون والتقطت برنامج السباق « انه سجل باسم الأدهم ويركبه أليك رامسي . وهو يثير كثيراً من الهرج والمرج هنا ! انه من اضخم الخيول التي رأيتها في حياتي،ان لم يكن اكبرها . وهو اسود ، اسود كالفحم . انه ضخم وقوي ولا يبدو انه يريد ان يقترب من الحصانين الاخرين . ان أليك رامسي وهو على ظهره يعاني صعوبة في ضبطه والسيطرة عليه . يا الهي ! لقد رأيت كثيراً من الخيول في زمني، لكنني لم ار حصاناً له مثل هذه الحركات ! اني لأقول ان هذا الحصان الذي سماه مسجلنا « خلقة نبيل » سيبرز بروزاً كبيراً في هذا السباق . نعم ، يا سادة ، يبدو ان هذا السباق سيكون اعظم سباق في جميع الازمان ، ان لم اخطىء التقدير ! »

« والان ، ها هو ذا يقترب من خط الانطلاق . اعصار لا يريد ان يقترب منه وهو يبعد عنه . غازي الشمس واقف في مكانه وقد كشر عن اسنانه . ان امام إعلان البدء متسعاً من الوقت . الحصان الأدهم شيطان فريد ! انه يريد الدخول في قتال . ها هم يصطفون الان . ها هو ذا يقفز عالياً في الهواء ، ثم يهوي على غازي الشمس يضربه ! اصغوا الى ذلك الشيطان الأسود يصهل — لم اسمع في حياتي شيئاً كصهيله . لقد ارتفع الى نبرة عالية يكاد ان يكون صفيراً — لعلكم تستطيعون سماع الصفير وها هو أليك رامسي وقد جعله يهبط — ان ذلك الغلام يستطيع ، بالتأكيد ، ان يثبت على صهوة أي حصان . يا له من صراع يدور هناك ، ايها الناس . ان هنا اكثر من ثمانين الف نسمة واستطيع ان اقول دون ان اخشى معارضة احد ، لم يسبق لهم كلهم ان رأوا شيئاً كهذا من قبل ! خذوها مني ان الادهم جواد وحشي — لم يذلل تماماً بعد . حصان وحشي في ساحة السباق ».

« انتم ايها الناس الذين رأيتم غازي الشمس تعرفون ان الخيول التي تشترك معه في السباق لا تزيد عنه وحشية ، ولكنه اليوم قد لاقى نده ولا ريب — في القتال ، على كل حال !

انه يبتعد عن الأدهم الان ! لقد اصبح اعصار بينهما ، ذلك احسن . جعل أليك رامسي يدبر أمره مع الأدهم الان . ان ذلك الغلام يفعل الأعاجيب — لن ارضى بأن اكون مكانه لقاء كل ما في العالم من مال . غازي الشمس لن يقف ساكناً . انه هائج — انه يكره الأدهم . لقد خرج عن الخط . ها هوذا يذهب ضارباً الأدهم ! انه يضربه ! اوه ، اوه ، ان رجل الأدهم تدمي ، لقد كانت ضربة قوية عنيفة .

لم يعد أليك رامسي قادراً على السيطرة على حصانه — انه يشب على قائمتيه الخلفيتين ثم يهوي على غازي الشمس . ليس هناك من سبيل لايقاف هذا الشيء ! غازي الشمس يتراجع كرة اخرى — لا نصيب له مع الشيطان الاسود ! انتظروا ، ها هوذا أليك رامسي يجذب رأس حصانه ، انه يديره . لقد سيطر عليه كرة اخرى . لقد اخذه الى الخارج . غازي الشمس لا يريد مزيداً من القتال ،

لقد عاد الى مركزه عند العمود .

لا يبدو ان الحَكَم سيُطلق الخيل ، بينما هي هناك . ان رجل الأدهم تدمي بصورة شديدة . لا يبدو على غازي الشمس مثل هذا الأذى نتيجة للقتال . ان أليك رامسي منحن ينظر الى جرح الأدهـــم . لقد نهض ، لعله سيترك السباق ، ويا للأسف ـــ لقد انطلقت ! ان الحكم لم يلحظ أن أليك رامسي كان يهبط من سرجه .

اعصار وغازي الشمس يتباريان رأساً لرأس فـــيما ينطلقان مجتازين المواقف . لقد غودر الأدهم عند نقطة البدء . لقد خرج من السباق . كلا ، كلا ، ها هوذا يأتي بعدهما ! ان فارسه نصف جالس وحسب على السرج . لقد وقف الان ! انه يحاول يائساً ان يوقف الأدهم . انه لا يريده ان يركض ورجله في تلك الحال . انه يجب الأعنة في غيظ وحنق ، لكن يبدو ان ذلك لا يجدي فتيلا . يُريد الأدهم ان يركض ، انه يقاتل ليترك رأسه وهواه ! يكاد يجذب أليك رامسي وينتزعه من سرجه والان ، ساط الأعنة من يديه وانتزعها !

انه وراء الحصانين الاخرين بحوالي مائة ياردة ، وهي مسافة ابعد من ان يقطعها ليلحق بهما ، لكنه مستمر في الجري .

لقد قهر اعصار غازي الشمس في الجولة الأولى . وكلاهما يجري تحت وقع السوط . كل منهما يريد ان يزيد من سرعته !

ان فارس إعصار يتعمد مـــد جسم حصانه على طوله ، حتى صارت قوائم إعصار المتحركة في انف غازي الشمس تماماً . تلك حركة بارعة لاعطاء راكبه مجالاً للتنفس بعد ذلك الجرى الذي يكد ولارغام غازي الشمس على الحد من سرعته التي جعلته يطأ اعقاب إعصار ؟

« ولكن الآن فيما يدوران المطفة ، صار غازي الشمس ، مذنب كاليفورنيا يتحرك محاذيا لاعصار ، وفيما هما يدخلان الامتـــداد الخلفي صارا يجريان عنقــاً الى عنق » .

وعلى حين غرة ارتفع زئير يصم الآذان من المواقف ؟ صرخ المعلق بصورة هستيرية : « انظروا ، انظروا ، ان الأدهم يقبل كبيت يحترق . لم تروا في حياتكم حصانا يركض هكذا ! انه قوة كله – جمال كله ، ان المسافة بينه وبين الاخرين اخذت تقل . كيف تقل ! ما كنت لأصدق ذلك لو لم اره بعيني هاتين . ان اعصار وغازي الشمس يتنافسان على ايهما يكون الفائز في الجولة الأخيرة . والأدهم يكاد يكون وراءهما . يا للحركة : يا للخطى الجبارة . لقد جُنّ الجمهور . وقد اجتاز غازي الشمس واعصار عند العطفة وهو في سبيله الى المقدمة . ها هما يأتيان راكضين في الدرب المفضي الى الموقف النهائي » .

بدأ الجمهور يصرخ فيما جاءت الخيول المتسابقة مرعدةً نحوهم . كان غازي الشمس متقدماً امامها . وكان اعصار في المؤخرة – لقد سبقه الأدهم . كان غازي الشمس في المقدمة بمسافة طويلة ، وفارسه يضرب بسوطه . بدأ الأدهم يتقدم ويزداد سرعة . وها هو الان وراء غازي الشمس بمسافة طول واحد . لم يُستعمل سوط لضربه – كان فارسه كعقدة صغيرة ضائعة في عرف الجواد الأسود الأثيث.

اكتسحت الجمهور هستيريا فيما مرت به الخيول للمرة الثانية – لم يكن خط النهاية يبعد الا بمسافة مائة ياردة وحسب . صرخ معلق الراديو : « لن يلحق بغازي الشمس ! » خطف الجواد مجتازاً المواقف وهو يزداد سرعة مع كل خطوة رائعة . وبحماس فجائي حمل على غازي الشمس. وتردد لحظة فيما اصبح في محاذاته. انبهرت انفاس الجمهور فيما اندفعت اذنا الأدهم الى وراء وكشر عن اسنانه . كانت ثمة حركة على ظهره . كانت يد الفارس تعلو وتهبط على قوائم الجواد الخلفية لأول مرة في السباق . الى المقدمة اندفع الأدهم ، ماراً بالوف المصفقين سابقاً بخطوة ، بطول ، بطولين – ثم غاص الصلاق الجبار تحت السلك .

دار الأدهم العطفة الأولى ودخل الامتداد الخلفي كرة اخرى قبل ان يستطيع أليك ان يخفف من سرعته . كان يعلم ان الألم ، وحده ، في رجل الجواد هو الذي يمكنه من عمل ذلك آنذاك . واخيراً اوقفه .

نسي أليك الآلاف المصفقة فيما انزلق ، وهو منهك ، من على ظهر الجواد .

انحنى لينظر الى الجرح ما اغزر الدم ! اخذ أليك منديله ولفه حول رجل الأدهم ليوقف النزف . وقال : « ما كان ينبغي ان تقطلها ، يا ولد » .

هدرت سيارة من نوع (شيشن واغون) دائرة حول الساحة ومتجهة نحوهما مخلفة غيمة الغبار في اعقابها . شب الأدهم على قائمتيه الخلفيتين فيما اتجهت اليهما . قفز هنري منها وجذب رجلاً وراءه .

سأل أليك في لهفة : « أأصيب باذى كبير ؟ هذا هو البيطري ».

— « لا ادري . انه ينزف نزفاً شديداً واعلم انه يؤذيه ! » .

انحنى البيطار ليفحص الجرح . ذهب هنري الى السيارة وعاد يحمل سطلا من الماء واسفنجة وضماداً . نزع البيطري منديل أليك الذي كان الان مغطى بالدم .

هدأت اصوات الالاف الهادرة ، حين ادركوا ما كان يجري على ساحة التسابق وتركزت العيون كلها على الجماعة الصغيرة .

ثم عدل البيطري ظهره وقال : « لقد فقد كثيراً من الدم ، لكن له رجلاً كالحديد . أعطوه شهرين من الراحة وسيكون بخير كما كان من قبل ! » .

نظر أليك وهنري احدهما الى الاخر وكانت عيونهما ندية ، لم ينبس احد ببنت شفة بينما كان البيطري يضمد رجل الادهم . ثم خطم هنري الصمت وقال : « حسنا يا أليك ، اظن انك والادهم فعلتماها ! » .

وقف البيطري وقال : « حسناً . والان اظن انهم ينتظرونكما عند حلقة الفائز » .

فيما رفع هنري الغلام الى السرج ، ارتفعت عاصفة من التصفيق من الجمهور . انتصبت اذنا الجواد الى امام وراح يتلفت حوله في وحشية . ربته أليك على عنقه . وادرك لاول مرة ان السباق قد انتهى وانهما قد فازا . قال مزهواً : « لقد فعلتها يا ولد . لقد فعلتها ! » اندفع الدم يجري سريعاً في عروقه وخفق قلبه على اضلاعه فيما راح الجمهور يصفق لهما وهما عائدان . شب الجواد على قائمتيه الخلفيتين عندما بلغا

المنصة الكبرى .

راحت آلاف العيون تراقب الأدهم اذ راح يتهادى على كثب من الجمهور . لم يكن يبغي الاقتراب كثيراً . لكن لم يبد عليه انه يصارع راكبه . واخترق بعض افراد الجمهور صف رجال البوليس واندفعوا نحوهما . ووقفوا على حين غرة حين شب على قائمتيه الخلفيتين ، وعادوا الى وراء بسرعة عندما جـاء نحوهم منتصب الرأس والذيل . كانت حركته جميلة ، متواثبة ، وهو يقفز بعد كل بضع خطوات بسهولة وخفة عجيبتين . هز الخبراء رؤوسهم هز العالم بما رأوا من حركات الأدهم. قال رجل عجوز : « هنا اعظم جواد وطىء بقدمه اية ساحة سباق ! » .

ركب أليك الأدهم واتجه نحو موقف المحكمين ثم دخل حلقة الفائز . فوقف الجواد ساكناً للمرة الأولى . كاد أليك وهنري لا يصدقان عيونهما . حتى المصابيح الملونة التي كانت تنفجر قريباً منه ، لا تجعله يفعل اكثر من ان يهز رأسه . وضعوا اكليل الورد ، المضفور على هيئة نعل ، حول عنقه .

تلفت أليك الى الجمهور من تحته . وعلى حين غرة توقف ، ايمكن ان يكون ذلك اباه ؟ هتف : « ابي ، ابي ! » . التفت ابوه ولوح بيده . قـال أليك : « هنري ، انظر ! ذلك ابي هناك ! » .

شق هنري طريقه خلال الجمهور وكان في منتصف طريق العودة مع والدة أليك ، حين جعلهما صوت مألوف يلتفتان كلاهما ، قالت والدة أليك : « يبدو اننا جميعاً هنا ! » .

شهق المستر رامسي وقال : « بيل ! » .

وضعت يدها على ذراع زوجها وقالت : « لم أقض عصر يوم كهذا ، حياتي كلها . من الوقت الذي رأيت فيه أليك يبرز على الأدهم وأنا لا أستطيع ان افعل شيئاً حول ذلك حتى النهاية ».

وتوقفت ونظرت الى أليك وهو يجلس ، مزهواً على الجواد ، ثم واصلت الكلام قائلة : « ولكن الان ، كل ما اهتم به هو ان ذلك انتهى وانه سالم » .

قال هنري وهو يشق ، امامها، الطريق نحو أليك : « نحن جميعا يجب ان نفخر به كثيراً » .

منح حاكم الولاية الوسام الذهبي المخصص للفائز المتفوق في ساحة السباق . حين رأى أليك والديه كليهما وهنري ، انفغر فمه ، ونسي ان يصغي الى الحاكم الذي كان يتكلم اليه لم يكن يرى الأشياء ــ لقد كانا كلاهما هناك ! لوح بيده . كان حلقومه متوتراً توتراً منعه من ان يقول شيئاً . ظل الحاكم يتكلم . وهز الأدهم رأسه وخبط الأرض . طقطقت الكاميرات ، وراحت الكاميرات السينمائيـة تطحن ، ومعلقو الراديو يسحبون الميكروفونات وراءهم ويتحدثون في آن واحد ويشقون طريقهم خلال الحشد .

واخيراً انتهى الحاكم . وصفق الجمهور فيما انزلق أليك من الأدهم . رفـع هنري السرج عن ظهر الجواد . وعلى حين غرة اندفع صف من رجال البوليس خلال الجمهور . وجاء بعدهم جيم نيفيل يقود نابليون ، حمحم الجواد ورمى رأسه عالياً في الهواء . اجابه نابليون ومد رأسه نحو رأس الأدهم .

قال جيم : « لقد احسنت ، يا غلام . كنت اعرف انكما الاثنين تستطيعان ان تفعلاها ! » أومأ برأسه نحو نابليون وواصل الكلام قائلا : « كان يكاد يجن وهو هناك ــ اراد ان يقوم ببعض التهنئة هو نفسه ! »

ضحك أليك وقال : « انه يعود الى هنا ، على كل حال »

شق معلقو الراديو طريقهم مندفعين الى أليك . كان احدهم يقول : « لقد حطمت الرقم القياسي العالمي ! » ثم اخذوا يسحبون الميكروفونات امـامهم . اشاروا اليه ان يقول شيئاً .

تردد أليك لحظة . ثم قال : « لقد كان الأدهم في مثل الجودة التي ظنناهـا به . كنا نعرف انهـا فيه ، وقد اثبت ذلك اليوم ! »

ثم تدخل المعلق في الحديث وبدأ يسرد تاريخ أليك والأدهم . التقت عينـا أليك بعيني جيم نيفيل . لقد اخبرهم !

جاء مالكا غازي الشمس واعصار وهنأ أليك . قال المستر فولنس : « لم أر شيئاً مثله طوال مدة اشتغالي في السباق » .

وقال المستر هرست : « ولا أنا رأيت مثله ، لا اتصور انك تفكر في بيعه ؟»

اجاب أليك مزهواً : « كلا ، يا سيدي ، ستسمعان الكثير عن هذا الجواد!»

ضحك مالك اعصار وقال : « اخشى ذلك » .

واستجابة لطلب المئات من المجتمعين حوله ، أخذ أليك يضع وروده اكليل الزهور الضخم المعقود حول عنق الأدهم ، ثم رمى البقيـة في وسط الحشد . وخلال ثوان قلائل كان صيادو التذكارات قد اقتطفوا كل وروده .

شب الادهم نصف شبة على قائمتيه الخلفيتين واقترب نابليون العجوز منه . ابتسم أليك لهنري ولأمه وابيه . حك انف الادهم ، ثم قاد الجواد الضخم خلال الجمهور عائداً به الى شوفان النصر المخصص له .

— انتهى —

الفهرس



طبع على مطابع دار « مكتبة الحياة » للطباعة والنشر



هذا الكتاب

لقد شاهد أليك رامسي الجواد الأدهم أول مرة حين رست سفينته في ميناء عربي صغير على البحر الأحمر. وكان الأدهم حصاناً ضخماً متين العضل، فائق القوة، جميل التقاطيع، قد امتد عرفه كأنه شعلة سوداء. وكان قد لفت حول رأسه خرقة بيضاء غطت عينيه فهو لذلك لا يرى. وقد ارتفع عالياً في الهواء وهيأ رجليه ليرفس من يحاول جره الى السفينة

ولما سمع أليك رامسي صهيله وكان لا يشبه أي صوت سمعه من قبل - أدرك فجأة انه ينظر الى أشد الحيوانات وحشية.

وتحقق حلمه فاذا هو قد ألف الأدهم واذا الأدهم قد ألفه وقام بدور مهم في حياته وصاحبه في رحلاته الطويلة ومغامراته في أمريكا.

إنّ الأطفال على اختلاف اعمارهم ستسرهم قراءة (الجواد الأدهم) لأن كلاً منهم قد يكون أليك رامسي: انموذج الولد الأمريكي المملوء مرحاً وحيوية وشجاعة

(انه كتاب لا بد أن يقرأ)

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

الثمن : ٣٥٠ ق.ل. او ما يعادلها

